

عَصْرُ الْإِسْلَامِ

بقلم

عبد الرحمن الرافعي

الجزء الأول

يشتمل على عهد عباس وسعيد وأهل عهد إسماعيل

الطبعة الرابعة

مقدمة الطبعة الرابعة

نشكره سبحانه وتعالى - وهامى دارالمعارف
بتشاط أبنائها تعيد طبع هذا الكتاب بعد أن أقبل عليه
الباحثون والمثقفون والله ولي التوفيق.

كرّمات المؤلف
سنة ١٩٨٧
عبدالرحمن الراقص

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله . فهذا الكتاب سبق طبعه الطبعة الأولى
سنة ١٩٣٧ والطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ وهو يتناول عهد
عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل .
والله ولي التوفيق

كرّمات المؤلف
سنة ١٩٨٦
عبد الرحمن الراقص

مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في ديسمبر سنة ١٩٣٢ . وشغلت بعدها بإخراج الحلقات التالية من هذه المجموعة ، وقد أهدت من الانتظار هذه السنين قبل إخراج الطبعة الثانية . إذ نسى أن أطلع على ما ظهر خلالها من كتب وتراجم ، ومؤلفات ووثائق عن عصر إسماعيل ، يتفق بعضها مع وجهة نظري في الكتابة عنه ، وبعضها يعارضها ، وقد يكون رداً عليها ، ثم أمنت النظر أيضاً في البحوث والمقالات والمخطوط التي ألفت سنة ١٩٤٥ في دار الأوبرا الملكية . وفي غيرها من المحافل والمعاهد ، المناسبة مرور خمسين عاماً على وفاة الخديو إسماعيل ، وأعدت النظر فيما كتبت عنه سنة ١٩٣٢ ، لعل أكون قد أخطأت في موضع من المواضع ، فأصحح خطئي ، أو انحرفت عن الرأي الصواب ، فأعدل عن رأيي ، ولا تخفافة على الإنسان في أن يعدل عن رأيه إذا تبين له خطأه فالحقيقة بنت البحث ، والعصمة لله وحده ، على أني بعد أن استكملت هذه الدراسة ازدادت اطمئناناً إلى صحة ما كتبت وهدوت عن عصر إسماعيل ، واعتقدت أكثر مما كنت أعتقد أني لم أتجاوز فيها ذكرت له أو عليه ، وهذا هو واجب المؤرخ في التراجم ، فعليه أن يذكر ما للمترجم وما عليه ، أما أن يذكر الحسنات دون السيئات ، أو يقتصر على هذه ويفعل الحسنات ، فهذا ليس من التاريخ الصحيح ، وما لا ينبغي أن يكون أساس البحث والتدوين ، والتاريخ الصحيح يقتضي ذكر الحقائق بأكملها ، لتكون الصور التي يعرضها المؤرخ عن الحوادث والشخصيات صوراً صحيحة ، لا تشويه فيها ولا إيهام .

وعلى ذلك فإني أعيد طبع هذا الكتاب ، دون أن أغير أو أقص منه شيئاً .

فالطبعة الثانية هي ذات الطبعة الأولى . لا تغيير فيها ولا تبديل ، ولم أزد عليها سوى إضافات يسيرة بالجزء الثاني ، لا تتجاوز ثلاثاً ، وقد حرصت على أن أجعلها في هامش الكتاب ، لكي يبقى الأصل كما أخرجته أول مرة ، وأضفت إلى الوثائق التاريخية النص الكامل لللائحة تأسيس مجلس شورى النواب ولائحته النظامية ، وكنت قد لحصت أحكامها في الطبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

بهذا الكتاب ندخل في غمار العصر الحديث من تاريخ الحركة القومية . إذ كان عهد الحداثة
 إسماعيل أكثر العهود صلةً بعصرنا الحاضر ، وأقرباً منا أثراً .
 أخرجنا قبل الآن ثلاثة أجزاء من هذا التاريخ . بسطنا في الأول منها مشأ الحركة القومية
 في تاريخ مصر الحديث . وكشفنا عن الدور الأول من أدوارها وهو عصر المقاومة الأهلية التي
 أفرزتها الحملة الفرنسية في مصر ، واشتمل الثاني على تمة المقاومة الشعبية وقادتها إلى انتهاء
 الحملة الفرنسية ، وتطور الحياة القومية من بعد ذلك إلى ارتقاء محمد علي أريكة مصر بإرادة
 الشعب . ثم أوردنا الجزء الثالث لعصر محمد علي ، وعللنا الكلام فيه عن ظهور الدولة
 المصرية الحديثة . وتحقيق استقلالها ، وتأليف وحدتها القومية بفتح السودان وضمه إلى حظيرة
 الوطن ، وما تم في ذلك من جلال الأعمال .
 وكتابنا اليوم يتضمن الحديث عن خلفاء محمد علي وده عصر إسماعيل ، وقد جسطاه في
 جزأين ، كتاباً مستقلاً ، لإشغاله على صفحة قائمة بذاتها في تاريخ مصر القومي ، وسنقدم
 هذا المجلد فيها نخرجه بمناسبة الله من سلسلة تاريخ الحركة القومية فنعمل لكل عهد منا كتاباً
 مجتمعاً ، فالكتاب الآتي في (الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي) . والذي يليه من
 (مصطفى كامل) ، وعلم جراً .

إن الحقيقة من الزمن التي تولد الحكم فيها جاس الأول . ثم سعيد . ثم إسماعيل . هي
 صفحة حامة من تاريخ مصر القومي ، لأنها بمثابة دور الانتقال من عصر محمد علي إلى الثورة
 العربية .
 القضي عصر محمد علي وإبراهيم بيد أن توطلدت دعائم الدولة المصرية المستقلة وتلبس

الأول ، فأقيمت الشخص كما هو ، وأضفت إليه نصوص اللاتحين ، وأردت من نشرها
 استكمال الوثائق التاريخية الهامة من هذا العصر ، ولم أزد على ذلك شيئاً .
 والله أسأل أن يهتينا قول الحق ، ويغنيا موطن الزلل ، ويهدينا سواء السبيل .

أكتوبر سنة ١٩٢٨

عبد الرحمن الرافعي

حيش المصري . والأسطول المصري . والثقافة المصرية ، ووضعت قواعد النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد .

ثم جاء عهد عباس الأول ، وبصح إعتباره عهد الرجعية والنكسة ، لأن فيه وقفت حركة تقدمه وفترت النهضة التي ظهرت على عهد محمد علي .

ثم كان عهد سعيد ، وبتماز بظهور نهضة وطنية جذيرة بأن تعد من أدوار الحركة القومية ، ترجع إلى فرقة سعيد الوطنية ، وميله إلى غير المصريين ورفضهم ، والعمل على تحريرهم من يدي المظالم . وبث روح القومية في نفوسهم ، والتبؤ بهم للمناصب العالية في الجيش والإدارة ، ولكن إلى جانب هذه المحامد ، بدأت على عهده نفرات التدخل الأجنبي في شئون مصر . بإقراره إنشاء قناة السويس على يد شركة أوروبية ، مخالفاً في ذلك تعاليم أبيه العظيم ، وافتتاحه عهد القروض الأجنبية التي جرت الكوارث على البلاد ، وكانت سلاسلها وأغلالها . ثم جاء عهد إسماعيل ، وهو عصر طويل ، يشتمل فيه تاريخ مصر القومي والسياسي في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويعد عصرًا هاماً ، له أثره النافع ، كما له أثره الضار ، في تطور الحركة القومية ، ذلك لما تمتعت فيه من آمال ، وما قام فيه من نهضة ورفق وعمران ، ثم ما تحطه واقرن به من أخطاء وأرزاء أدت إلى التدخل الأجنبي ، وإذا كانت مصر تنشر إلى اليوم بنتائج النهضة التي قامت في ذلك العهد ، ونجى من غمارها وتلمس آثارها يديها ، فإنها أيضاً تعاني عواقب الأخطأ التي وقعت فيه ، وتدفق عنها حالياً ، من مآلها وحقوقها ومراقبتها ، هذا إلى أن معظم القيود والنظم التي فرضت في ذلك العصر لا تزال قائمة إلى اليوم (١٩٣٧) ، فالتشريع المختلط ، وتغلغل الأجانب في مرافق مصر والديون التي كبلت البلاد بحكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبي في شئون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع إلى عهد إسماعيل .

كان هذا العهد عصر تقدم ونهضة ، إذ نال الخديو إسماعيل من تركيا أقصى ما يمكن من الحقوق والمزايا توصلاً بمصر إلى الاستقلال التام ، وأكمل فتح السودان ، ومد حدود الدولة المصرية إلى منابع النيل . وشواطئ المحيط الهندي ، أدى إلى تحورها الطبيعية ، فكان عمله من هذه الناحية عظيماً مجيداً . وحتى ينظم الجيش وترقية التعليم الخرى ، وإنهاض البحرية المصرية ، وإقامة أعمال العمران في مختلف النواحي ، وبعت النهضة العلمية والفكرية من

مرفدها . بإنشاء المدارس والمعاهد ، وتأسيس الجمعيات العلمية ، وتشجيع التأليف والصحافة . ورعاية العلوم والآداب والفنون ، وأسس نوعاً من الحياة النيابية بإنشائه مجلساً محدود السلطة يعرف بمجلس شورى النواب ، كان له الأثر البالغ في تطور الحركة الوطنية . ففي عصر إسماعيل حدثت نهضة زاهرة ، يزدهر بها تاريخه ، ولكن هذه النهضة قد تعثرت في سيرها لما شابها من إصراف الخديو ويئسه ، وركونه إلى الأوروبيين ، وشديد ثقته بهم ، واعتمادهم عليهم . فأدت هذه العوامل مجتمعة إلى تورطه في القروض الباهظة التي ثامت البلاد بحملها . من حيث لم تكن في حاجة إليها ، فكانت الدريعة التي توسلت بها الدولة الأجنبية لتعت بحقوق مصر الخالدة ، فوقع هذا العبث . وتعددت مظاهره ، فمن إنشاء صندوق الدين ، إلى فرض الرقابة الثابتة على مالية مصر ، إلى تأليف لجنة تحقيق أجنبية لفحص شئون الحكومة المالية ، إلى تعيين وزيرين أوروبيين في الوزارة المصرية ، إلى تغفلل نفوذ الأجانب عامة في مرافق البلاد ، فهذه الأحداث الجسام قد تصدع لها صرح الاستقلال الذي ناله مصر بمجدها وتضحياتها العظيمة من عهد محمد علي .

أثارت هذه الكوارث سخط الأحرار من ذوى الرأي والمكانة في البلاد ، فظهرت في صفوفهم حركة وطنية تردد صداها في الصحف وفي مجلس شورى النواب . وانجذبت غايها إلى إنقاذ مصر من التدخل الأجنبي ، وتقرير النظام الدستوري أساساً للحكم فيها ، وتبادل زعمائها الرأي في اتجاهات عقودها بدار السيد على البكرى ومنزل إسماعيل راجب باشا ، واجتمعت كلمتهم في « الجمعية الوطنية » على المطالبة بتأليف وزارة وطنية خالصة للمصريين . خالية من الوزراء الأوروبيين ، وتقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس شورى النواب ، فاستجاب الخديو إسماعيل لمطالب الأحرار ، وعهد إلى شريف باشا الوزير المشهور تأليف الوزارة الوطنية ، على أن تكون خالية من العناصر الأوروي مسئولة أمام مجلس الأمة (وثيقة ٧ أبريل سنة ١٨٧٩) . فألف شريف باشا الوزارة على هذا الأساس . فكانت أول وزارة مسئولة أجنبية الحركة الوطنية في تاريخ مصر الحديث ، وكان من أعظم أفعالها وأخطأها أنها وضعت دستوراً على أحدث المبادئ المصرية وقدمته إلى مجلس شورى النواب ليتال إقراره ، وخولت ذلك المجلس سلطة جمعية تأسيسية ، تملك حق إقرار الدستور وتعديله . على أن الدول الاستعمارية لم تنظر بعين الرضا إلى ظهور هذه الحركة واطرادها واشتداد

للدكوى

اليوم ختام الخيام المائس لوفاء قديم الوطن المحرم أمين بك الرامى .
اليوم يطوى الزمان خمسين سنوات على احضانك عنا يا أمين ! وذكراك بالية في النصوص
مانكة في الأذهان . يحدها مر الليل وكر الأحوام .
فأول روحك الطاهرة الثانوية في دار الأبدية ، أهدت بتعبات الدكوى ، يرسلها القلب
وخصير بها الشاعر ، وعملها الرجاء إلى عالم الأرواح .
والى ياربه تلك النفس الكريمة ، أفرجه بالدعاء ، أن يسبح عليها آية السكينة
والطمانية ، يا نفس أمين ! اسكنى إلى جوار ربك راضية مرضية ، ويا روح أمين !
سلام ، ورحمة ، وجنة ونعم ،

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٧

عبد الرحمن طراحي

معهما . يجمع كلمة الأمة حركها ، ومناصرة الحديوثا ، قسعت لإحيائها وبذلت مؤامرتها
بالاعراض على أول مشروع مالى للوزارة الوطنية ، ثم عملت على أن تجمع الحديوث ، وكانت
توكيا من الصف وصمو البية نحو مصر بحيث أهابت طلب النول ، وأعلنت نطق إسماعيل
وإسناد منصب الحديوثية إلى توفيق باشا (يوربه سنة ١٨٧٩) .

ثم استمرت المصادمة بين الحركة القوية والمطامع الأوروية ، إلى أن بلغت طورا جديداً ،
هو المعروف بالثورة العربية ، فالثورة من هذه الناحية تعدد فعل للتدخل الأجنبي الذى وقع
في عهد إسماعيل ، فالثورة الأساسية من في يومها المطالب التي اجتعت عليها كلمة الأسرار
في (الجمعية الوطنية) ، والدستور الذى تمخضت عنه الثورة سنة ١٨٨٢ ، مقبوس من
دستور سنة ١٨٧٩ .

• • •

فألى عهد إسماعيل ترجع إذن مقدمات الثورة العربية ، وهى تطور للحركة الوطنية التي
ظهرت في ذلك العهد ، وعنى أن هذه الحركة كانت أسلم عاقبة وأهدى إلى الإيجاب
والتقدير من الثورة العربية ، ذلك أن الحركة الأولى كان قولها نبهة الأفكار والآراء ،
ونصح العقول والقرائح ، وتبادل الرأي والمشورة ، على حين جعلت الحركة العربية وقواها
الاعتداد بقوة الجيش وحسب ، فتصادم العامل الفكرى والمعنوى . في طورها الأخير ،
وتمت صوت الحكمة والتفكير ، إلى جانب صوت السيوف والقطع . ومن ثم تكثرت الحركة
وسبل الرشاد ، وركبت من الشطط ، وانفصح المجال للدساتير الأجنبية تنصب أنماكها ،
والمطامع الاستعمارية تدبر مكابدها ، حتى أثبتت الثورة بالخلال الإنجليزي الذى ما زلنا نعايه
إلى اليوم (سنة ١٩٣٧) .

فليان التطورات التي تماقت على البلاد في عهد خلفه محمد على إلى انتهاء عصر
إسماعيل ، قد خصصت هذا الكتاب ، جاعلا وجهتي هدى إلى استخلاص الحقائق
والمعطيات ، من الجواهر وملايساتها . لتعرف الحاضر على ضيق الماضي . ونصل الأسباب
عسبائها ، والنتائج بمقدماتها . حتى أن يكون لنا في ذلك ما نسترشد به في حياتنا القومية . أو
نستظهر به على ما نحن بسبيله من جهاد في سبيل الوطن .

أسأل الله أن يهبنا من الزلل ، ويهبنا السداد في القول والفعل ، ويوفقنا إلى ما فيه
تحقق الأمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

الرجعية في عهد عباس باشا الأول

(١٨٤٨ - ١٨٥٤)

يصح اعتبار عصر عباس باشا الأول عهد رجعية ، فيه وقفت حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد محمد علي .

ول عباس حلمي الحكم بعد وفاة إبراهيم ، وفي حياة محمد علي باشا ، وهو ابن طوسون بن محمد علي ، لم يرث عن جده مواهبه وعبقريته ، ولم يشبهه صبه إبراهيم في عظمته وبطولته ، بل كان قبل ولايته الحكم وبعد أن تولاها خلواً من المزايا والصفات التي تجل من ملكا عظيماً يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبيل التقدم والنهضة .

نشأة عباس

يذل محمد علي شيئاً من العناية في تربية عباس ولاية الحكم إذ كان أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، وبالتالي أحقهم بولاية الحكم بعد إبراهيم باشا ، فعهد إليه بالناصب الإدارية والحربية . فتقلد من المناصب الإدارية منصب مدير الغربية . ثم منصب الكشخداية التي كانت بمنزلة رأسه النظام . ولم يكن في إدارته مثالا للحاكم البار ، بل كان له من التصرفات ما يرم عن القسوة . وكان يبلغ جده نبأ بعض هذه التصرفات ، فينهاه عنها ، ويحذره من هواقبها ، ولكن طبيعته كانت تتغلب على نصائح جده وأوامره .

وأما من الوجهة الحربية فقد اشترك مع إبراهيم باشا في الحرب السورية ، وقاد فيها أحد الفيالق ، ولكنه لم يتميز فيها بعمل يدل على البطولة أو الكفاءة المتأخرة . وبالحملة فلم تكن له ميزة تلفت النظر ، سوى أنه حديد رجل عظيم أسس ملكاً كبيراً . فصار إليه هذا الملك . دون أن تؤول إليه مواهب مؤسسه ، فكان شأنه شأن الوارث

لتركة ضحية جميعها مورثه بكفائه وحسن تديره وتركها لمن هو غلو من الواهب والزاي .
وكان إبراهيم باشا لا يرضيه من عباس سلوكه وميله إلى القسوة وكثيراً ما هم عليه ترعته
إلى إرهاب الأملين ، حتى اضطره إلى الهجرة للحجاز ، وبقي هناك إلى أن دام الموت عمه
العظيم .

ولاية الحكم

كان عباس باشا متفياً بالحجاز لما عاجلت المنيه إبراهيم باشا ، فاستدعى إلى مصر ليخلفه
على دست الأحكام تنفيذاً لنظام الثوارث القديم الذي يحل ولاية الحكم للأرشد للأرشد
من نسل محمد علي ، وتولى الحكم في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ (٢٧ ذى الحجة سنة
١٢٦٤ هـ) .

أخلاقه

بقي عباس في الحكم خمس سنوات ونصفاً ، كان يدعو إلى عملاً قريب الأطوار ، شاداً
في حياته ، كثير التطير ، فيه ميل إلى القسوة ، سوء الظن بالناس ، ولهذا كان كثيراً ما يأوى
إلى العزلة ، ويحتجب بين جدران قصوره . وكان يشخر لبنائها الجهات المزعجة في الصحراء ،
أو البعيدة عن الإنس ، قبا على سراى الخرقش ، وسراى الخلية بالقاهرة ، قد بنى قصراً
فخماً بالباسبية (التي سميت من ذلك الحين باسمه) ، وكانت إذ ذاك في جوف الصحراء .
وقد شاهد للسيو فردينان دلبس هذا القصر سنة ١٨٥٥ ، فراعته ضخامته ، وذكر أن ترافده
بلغت ٢٠٠٠ نافذة ، وهذا وحده يعطينا فكرة عن عظم القصر واتساعه ، فكانت بين نفسه
مدينة في الصحراء ، وبقي قصراً آخر ثانياً في الدار البيضاء ، الواقعة بالجبل على طريق
السويس المقفر ، ولا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، وقصراً بالملط (ذكره على باشا مبارك في
الخطط ج ٧ ص ٦٣) . وقصراً في بنا على ضفاف النيل ، بعيداً عن المدينة . وهو الذي قتل
فيه كما سيجي بيانه .

وقد أساء الظن بأفراد أسرته ، وبكثير من رجاله محمد علي وإبراهيم ، وغيل له الوهم

أنهم يأثمون به ، فأساء معاملتهم ، وخشى الكثير منهم على حياتهم ، فرحل بعضهم إلى
الأستانة ، والبعض إلى أوروبا . خوفاً من بطشه ، واشتد العداء بين الفريقين طول مدة
حكمه ، وبلغ به حقداه على من يستهترون بفضبه أنه حاول قتل عتته الأميرة نازلي هانم .
واشتدت العداوة بينها حتى هاجرت إلى الأستانة خوفاً من بطشه .

وسعى في أن يغير نظام وراثه العرش ليجعل إبنه إلهامى باشا خليفته في الحكم ، بدلاً من
سعيد باشا ، ولكنه لم يفلح في معناه ، وتقم على سعيد الذي كان يحكم منه ولى العهد .
واتهمه بالتآمر عليه ، واشتدت بينها العداوة حتى اضطره أن يلزم الإسكندرية ، وأقام هناك
ببرايه (بالقبارى) .

وانتشرت الجاسوسية في عهده انتشاراً خفياً ، فصار الرجل لا يأمن على نفسه من صاحبه
وصديقه ، ومن يفضبه عليه ينفذه إلى السودان ويصادر أملاكه . وكان نقي المنسوب عليهم
إلى أقاصى السودان من الأمور المألوفة في ذلك العصر .

وكان عباس مولعاً بركوب الخيل والمجن ، يقطع بها المسافات البعيدة في الصحراء ، وله
ولع شديد باقتناء الجياد الكرمة ، يحلبها من مختلف البلاد ، ويبقى يربيتها حناية كبرى ، ويبقى
لها الاصطبلات الضخمة ، ويتفق عليها بسخاء ، شأن هواة الخيل .

أعماله

سياسته العامة

يختلف عهد عباس عن عصر محمد علي ، فإن حركة النهضة والتقدم والنشاط التي امتاز بها
هذا العصر قد تراجعت كما قلنا في عهد عباس ، وهناك ظاهرة أخرى للفرق بين العهدين :
ذلك أن محمد علي كان يستعين بعلوم العلم والخبرة من الفرنسيين في معظم مشاريع
الإصلاح ، لكن « عباس » لكونه لم يفكر في تمهيد هذه الإصلاحات ألغى معظم هؤلاء
الخبراء واستغنى عنهم ، وقد تضاعف النفوذ الفرنسي في عهده ، ولم يعد إلى الظهور إلا في عهد
سعيد باشا ، ومن هنا تعرف سياسته لتعامل كثير من اللوزنيين والمؤلفين الفرنسيين على عباس ،
فإنه وإن كانت أعماله لا تدعو إلى الإطراء ، لكننا نعتقد أن أحكام الفرنسيين عليه لا تخلو من
التحامل ، لتأثرهم من تضاؤل النفوذ الفرنسي في عهده ، والفرنسيون لما اتصفوا به من الوطنية

يكرهون كل ملك أو أمير يقرن عهده بتجاوز النفوذ الفرنسي في بلاده ، من أجل ذلك تراهم يكتسبون المدح جزافاً لسعيد باشا . ونعتقد أن هذا راجع إلى ميله الفرنسية وعودة النفوذ الفرنسي إلى مصر في عهده . على يد المسيو فرديناند دليس وأمثله ممن اتخذهم سعيد بطائفة وأولياءه .

فعباس إذن قد أخصى عنه الحبراء من كبار رجال الموظفين فرنسيين ، فلم يعد لهم نفوذ لديه . بل لم يكن يعاملهم معاملة عطف واحترام ، واستغنى عن خدمة بعضهم . وعلى العكس ، بدأ النفوذ الإنجليزي في عهده على يد المستر (مري) القنصل البريطاني في مصر وقتئذ ، فقد كان له عليه تأثير كبير ، وله عنده كلمة مسموعة .

ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه المترلة ، سوى أنها نتيجة المصادفة ، فإن للترك والأمراء المستبدين ليس لهم قاعدة مستقرة ، ولا تصدر أفعالهم عن برنامج أو تفكير ، بل ينبعون الهوى في كثير من أفعالهم ، وقد يكون لكفاءة المستر مري دخل فيما ناله عند عباس من النفوذ ، وقيل إنه كان يستعين به في السعي لدى حكومة الاستانة بواسطة سفير إنكلترا لتغيير نظام وراثته العرش ، كما يقول إلى ابنه إلهامى ، وفي رواية أخرى إنه كان يستعين به وبالحكومة الإنجليزية لمنع تدخل حكومة الاستانة في شئون مصر إذ كانت تنهى تطبيق القانون الأساس المعروف بالتنظييات على مصر .

إصلاح الطريق بين القاهرة والسويس

ومها يمكن من السبب فالمستر مري كان له أثر ظاهر في اتجاه أفكار عباس ، ويبين هذا النفوذ من أن أول أعماله بعد ولايته الحكم هو إصلاح طريق القاهرة إلى السويس ورصفه بالحجارة ، فجعله معبداً . تميز فيه العربات بسهولة ، فهذه الفكرة وإن كانت في ذاتها فكرة عمرانية مديدة إلا أن المهرجا هو المستر مري ، وغرضه منها تسهيل سبل المواصلات البرية إلى أفيق عن طريق مصر ، وسرعة نقل البريد البريطاني والسياح بين الهند وإنجلترا . وكانت السياسة الإنجليزية ترمي إلى تعيد طرق المواصلات بين إنجلترا والهند في مصر بواسطة إنشاء سكة حديدية . تصل الإسكندرية بالقاهرة . ومنها إلى السويس ، وكانت تعارض في أن تنشأ بمصر طريق بحرية للمواصلات ، ولذلك عارضت في شن القناة البحرية



عباس باشا الأول والي مصر
من سنة ١٨٤٨ إلى سنة ١٨٥٤

ل بروج السويس ، وحيدت مد السكة الحديدية بين الإسكندرية والسويس ، وحيثما أن شق القناة يسهل على القبول البحرية المناهضة لها في الاستعمار طريق الوصول بسفنها الحربية إلى البحر الأحمر ، ثم إلى الهند ، فيتمتع سلطانها هالك للخطر ، أما فرنسا فكانت على العكس تعيد فتح القناة ، وتعارض في مشروع السكة الحديدية ، لأنه مشروع انجليزي .

السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة

ولقد فازت السياسة الانجليزية بضم عباس إلى وجهة نظرها ، فلم على يده إصلاح طريق السويس . ثم شرع في مد السكة الحديدية من الإسكندرية إلى القاهرة سنة ١٨٥٢ ، وعهد بتخطيط العمل إلى المهندس الانجليزي الشهير بورت ستيفنسون Stephenson ، معاونه مهندسون مصريون . لكن للمهندسين المصريين هم الذين تم على أيديهم إنشاء الخط كما يقول السيوريو^(١) Meru. ومنهم من صار لهم فيما بعد شأن كبير وقتلوا كبرى المناصب ، مثل سلامة باشا إبراهيم ، وثاقب باشا ، ومظهر باشا ، وبعثت باشا ، واستخدم عباس في تعبيد الطريق وتركيب القضبان الختود والبشارة المصريين ، وأنشئ من سكة الحديد في عهده الخط الموصل بين الإسكندرية وكفر الزيات (سنة ١٨٥٤) ، وتم الخط بأكمله في عهد سعيد ، وبش السيوريو لردبان دلتيس من نجاح مشروع شق القناة ، ولم يعاوده الأمل إلا بعد أن تولى سعيد باشا الحكم كما سيحيى بيانه .

وإذا نحن صرفنا النظر عن التراحم السياسي بين إنجلترا وفرنسا ، فما لاشك فيه ، من وجهة النظر المصرية ، أن مشروع السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة وبين هذه والسويس أنفع للبلاد ، وأبعد عن الضرر من مشروع القناة . فإن مصر لم تستطع شيئا من فتح قناة السويس . بل كانت القناة شؤما عليها كما ستفصله في موضعه ، ولأن السكة الحديدية قد نهضت بعمران البلاد التي مرت بها . بخلاف القناة .

لإصلاح طريق السويس ، والشرع في مد السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة ، هما من أول ما فكر فيه عباس ، وهما من المشاريع الجليلة ، وقيل هذا العمل الوحيد الإنشائي

الذي يذكر لعباس ، لأنه لا يخفى أن السكك الحديدية هي من أعظم دعائم العمران والتقدم ، وكانت هذه السكة أول خط حديدي أنشئ في مصر . بل في الشرق قاطبة ، مصر قد سبقت دول الشرق في أعمال العمران ، ولا يخفى أن تركيا وهي أقوى دول الشرق وقتئذ تأخرت عن مصر في مد السكك الحديدية واستخدام لقطارات البخارية ، وإتلك لتلمح تقدم مصر وسبقها تركيا في ميادين العمران حينما زار السلطان عبد العزيز مصر سنة ١٨٩٣ ، فانه ركب القطار من الاسكندرية إلى القاهرة فلكه اعجب ، لأنه لم يكن رأى القطار البخارية في حياته من قبل^(٢) .

ضبط الأمن

وعنى عباس باستيابة الأمن ، فحارب على أيدي الأشقياء وقطاع الطرق ، وطاردهم وعاملهم بالقسوة ، فقتلوا بأسمه ، واقطع دابرهم ، وأمن الناس شوارعهم ، فاستتب الأمن في عهده ، وهذا من غير أماله .

المدارس والمصانع

أما المدارس ، فقد سادت حالتها في عهده . ألقى معظمها (بعد الذي عطل منها في أواخر عهد محمد علي) ، واقفلت أبوابها . بين عالية وقاهرة وإسكندرية ، ولم يبق منها إلا التدريس ، وكأنما كان عباس يكره العلم والتعليم . لأنه لم يكن يخالق معظم المدارس ، بل أخذ إلى السودان طائفة من كبار علماء مصر في ذلك العهد ، مثال رفاعة بك رافع . ومحمد بيومي أفتى ، ودقة أفتى ، بحجة إنشاء مدرسة ابتدائية بالخرطوم ، والسبب الحقيقي هو إبعادهم وتقييد من مصر . وقد سادت حالتهم كما بينا ذلك تفصيلا في ترجمة رفاعة بك رافع^(٣) ، ومات منهم هناك محمد بيومي كبير أئمة الهندسة والرياضيات في مدرسة الهندسة^(٤) .

(٢) انظر كتاب . سياسة السلطان عبد العزيز من الأستانة إلى القاهرة ، لمصير جازدى من ١٩ و ٥٣ و ٦٠ .

(٣) راجع كتابه ، مصر محمد علي ، ص ٤٨٨ (من الطبعة الأولى) .

(١) في كتابه (مصر الحديثة) ص ١٠٢ . وللمير مريو مناصر لمراسل سعيد وإسماعيل .

• حتى من تلاميذ المدارس التي ألقاها عدداً منهم أدخلهم مدرسة أنشأها ١٨٤٩ ، و بعد
مصر ، إشارة إلى أنه أحرر تلاميذها من هي طلبه المدارس ، وكانت هذه المدرسة بمثابة
مدسة عهد به حربية

وقد سبق من التعامل والمصالح بنى أنشأها جده بحجة لاقتصاد في صرف

البعثات

وأرسل إلى أوروبا ١٩ طالباً من تلاميذ المدارس المصرية لإتمام دروسهم بالمدارس
الأوروبية ، على أنه استدعى معظم أعضاء البعثات الذين كانوا يتلقون العلم في فرنسا منذ عهد
محمد علي

السودان

لم يمن عباس بالسودان عنايه جده به ، ولم يكر يوما في زيارة ذلك الإقليم العظيم الذي
بعد لحرقه المبرك لمصر ، ليشارك نفسه شئون البلاد وأهلها ، ويعرف أحوالها كما فعل محمد علي
الذي لم تحتمه شيخونته ومشاغفه العديدة من أن يحوب السودان باحثاً مسطراً

الجيش والبحرية

أخذ عباس بعض الإصلاحات الحربية التي فكر فيها إبراهيم باشا قبل وفاته ، كتجديد
الاستحكامات ، وإنشاء الطرق الحربية ، وبما عدا ذلك فإن الجيش والجيش لم يكن موضع
عنايته ، وقد تسرب إلى إدارته الخلل وسوء النظام بعد أن كان مصر بأكملها في النظام
والكفاية على عهد محمد علي ، وزاد في انحلاله أنه أدمج فيه نحو ست آلاف من
الأرمن ، جعلهم خاصة جنده ، وسلحهم بالبنادق ، فكانت هم في عهد محمد علي
والسقوط ، وشتموا بأنوفهم على المصريين ، جنوداً وفرداً ، وحرد عباس الأميين من
السلح ، وحظر عليهم حمله ، صارت الإرامود في الأرض صاوتاً ، عما اشتهر بهم من الحزم

والعسف والإرهاق ، وفي هؤلاء الاحطاط قوام الجيش في عهده .
وظل سيدان باشا القرباوي قائداً حام للجيش المصري ، ولكن يده غشت من لصوص
به وإصلاح شؤنه

وسامت حالة البحرية بعد أن كانت زاهرة ، وأخذت في الانحلال ويرجع ذلك إلى
مهملي عباس أعمال العساف حمة . ثم إلى سيب خاص ، وهو كراهيته لعمه سعيد باشا ومعلوم
أن سعيد كانت شأنه في البحرية ، وكان قائداً عاماً للأسطول في عهد محمد علي . فلما تولى
عباس لحكم حقد على البحرية بجملة واحدة ، لحقده على سعيد باشا فأعمل شأنها ،
وتمطت أعمال الترسانة ، ووقف إصلاح السفن ، فخرى إليها العطب والتلف .

إشتراك مصر في حرب القرم

بقى الجيش المصري رغم ما أصابه من الخلل قوة لا يستهان بها ، وظهرت بسالته في حرب
القرم ، وهي الحرب الوحيدة التي شاخت مصر غيرها في عهد عباس .

ثبت نار القتال بين تركيا والروس سنة ١٨٥٣ ، فطلب السلطان عبد المجيد من عباس
باشا أن يمدد بالهند والأساطيل ، فلقى عباس طلبه ، وكانت دار الصناعة (الترسانة) في ذلك
الحين محطلة كما قدمنا ، فعاد إليها النشاط العمل ، واستدعى إليها العمال الذين كانوا مصروفين
عنها ، وجهر الأسطول المصري . وعهد بقيادته إلى الأميرل حسن باشا الاسكندراوي ، أحد
خبرجي البعثات في عهد محمد علي^(١)

وأعد حملة مؤلفة في بدء الحرب من نحو ٢٠ ٠٠٠ مقاتل بقيادة سنجر باشا فتحمي أحد
القواد الذين حاربوا تحت نواء إبراهيم باشا في حروب سوريا والأناضول ، فأقلعت الحملة على
ظهر لبحارة المصرية ووصلت إلى الاستانة ، ومضت إلى ميدان القتال على سر المادون .
ورابط معظم الجيش المصري في (سسريا) وكان الروس يتاجمونها ، وعلى المصريين بلاه
حسناً في المناقعة عنها ، وأقاموها حصصاً حربية نظافية العرب ، كان له فضل كبير في الدفاع .
فاستطاع الجيش المصري أن يكسر هجمات الروس سنة ١٨٥٤ ، واستمرت الحرب إلى عهد

(١) ترجمة له في الجزء ثانياً من تاريخ حركة القومية (عصر محمد علي من ٥٣٩ من الهجرة الأولى)

وقد ساعد الأسطول المصري في الحرب البحرية ، فسار قسم منه إلى شواطئ الأماصون
شمالية بالبحر الأسود ، ولكن السفن الروسية أوقعت به ، ونشركت بقية السفن في نقل
تقنيات الحربية إلى ثغور البحر الأسود ، وبقيت تؤدي واجباتها إلى انتهاء الحملة

مقتل عباس

اتعمقت الروايات على أن عباس مات مقتولا في قصره بينما ، وهذا أمر مقصود بصحته ،
ولكن الخلاف في رواية مقتله ، وليس عجيبا أن يختلف الرواة في ذلك ، فإن قتل عباس كان
نتيجة مؤامرة من مؤامرات القصور ، وهذه المؤامرات لا يسهل اكتشاف حقيقتها ، أو الاتفاق
على روايتها ، لما يكنسها من الأسرار ، ولأنها تقع في جنح الظلام ، بعيدة عن الأنظار ،
فلا يعرف الناس غير إلا ما تنتقله الألسنة بعد وقوعها ، ومن هنا ينشأ الاختلاف في الرواية ،
وبدلتها عن مقتل عباس روايتان ، إحداهما ذكرها إسماعيل باشا سرهنگ في كتابه (حقائق
الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٦٥) والأخرى ذكرتها مدام أولمب إدوار كما صممتها بمصر
في أوائل عهد إسماعيل ودونتها في كتابها (كشف الستار عن أسرار مصر ص ١٤٣) .
ويؤيد من رواية إسماعيل باشا سرهنگ ، أن (عباس) كانت له حاشية من المالك
يقرهم إليه ويصطفيهم ، ويتخذ منهم خواص جلده ، ولم يده من منزلة ، جده يصدق
عليهم «رب» العسكرية العالية ، على غير كفافة يستحقونها ، حتى صار أكثرهم رتبة قائمقام
وكان لهم كبير من خاصية غلمانة ، يسمى خليل دوريش بك ، وعرف بها بعد بحسن بك
الصغير ، وقد أساء هذا الرئيس معاملة أولئك المالك ، فاستطالوا عليه بالهمز واللمز ،
وخاصة لأنه كان صغير السن . فاشتدوا من حدائنه فغضبوا الأقاويل . فخط عليهم ، وشكاهم
إلى مولاه ، فأمر بجلدهم ، فجلدوا ، وجردوا من ثيابهم العسكرية . وألبسهم شتى اللباس
ورسلهم إلى الإصطبلات لخدمة الخيل . فمر ذلك على مصطفى باشا ، أمين خزنة عباس ،
لأنهم كانوا من أتباعه المقربين إليه . فعسى جهده لدى سيده ليعفو عنهم . فلم يزل يادى الأمر
بعينه ، فلما ذهب عباس باشا إلى قصره بينما يصحبه أحمد باشا بك وإبراهيم باشا الألق
محافظ العاصمة ، وجاءا مصطفى باشا أن يطلبوا المعفو عنهم ، فطلبوا ذلك إلى عباس فأجاب

منفسها . وأصدر أمرا بالفر عنهم . وردهم إلى متاحيم . فجهادوا إلى بنها ليرفرو واجب
سكنهم . ولكنهم أصبروا القنك به انتقاما لما أوقع بهم . فاشتدوا به مع غلامين من
خدمة سراي . يدعى أحدهما عمر وصنى والآخر شاكرك حسين . واتفق الجميع على قتله
وكان من عادة عباس عند بومه أن يقوم على حراسته غلامان من محبيكه . في ليلة ١٨ شوال
سنة ١٢٧٠ (١٤ يولييه سنة ١٨٥٤م) كان الغلامان المذكوران يتوليان حراسته ، فجاء
المؤتمرون في حلق الليل على اتفاق معها . وفتحوا الباب ، فدخلوا غرفة الأمير . وهربوا ،
ولما أرادوا القنك به استيقظ وحاول النجاة ، فصدده عمر وصنى ، وتكاثر عليه المؤتمرون .
وقطروه ، ثم أوعزوا إلى الغلامين بالحرب فهربا ، وكتم المتآمرون الخبر إلى اليوم التالي ولما لم
يستفيظ الأمير في مواعده دخل عليه أحمد باشا بك وإبراهيم باشا الألق فوجداه مقتولا ،
فدعوا لخدمته الفاجعة ، واتفقا على إخفاء الخبر حتى نقل الأمير القتل إلى القاهرة في عربة .
ووصلوا به إلى قصره بالحلمية ، وهناك دأب خبر قتله .

وأراد جهادة من أنصار عباس . وعلى رأسهم إبراهيم باشا الألق أن يجعلوا الحكم من بعده
لنجله إبراهيم إمامي باشا الذي كان وقتئذ بأوروبا . فاتفقوا على استدعائه ليولوه الحكم ،
ويعتصروا عنه عمه سيد باشا أكبر أنجال محمد علي وأحق الأمراء بالولاية طبقا للنظام القديم .
وكان سيد باشا وقتئذ بالإسكندرية ، يقوم بمرأته بالقباري . فكتبوا سرا إلى محافظ
الإسكندرية إسماعيل سليم باشا . وأبعدوه بما اتفقوا عليه . وطلبوا إليه القيام على التفرغ حتى
يخصر إمامي باشا . فلما تلا الرسالة لم يشاطرهم رأيهم . لعله أن الحكم من حق سيد باشا ،
فقصده إليه من لوز . وأوصى إليه فحوى الرسالة . فشكره سيد باشا على إخلاصه . وذهب
صحيته إلى سراي رأس التين . وأعلن اعتلاءه العرش . وأجريت حفلة الجلوس . وأطلقوا
المدافع . ثم سافر سيد باشا إلى القاهرة يصحبه أمراء الأسرة الحاكمة الذين كانوا مبتعدين عن
العاصمة لا يتهم بدين عباس من المهاد والتمور ، فلما وصلوا إلى القاهرة ذهب سيد إلى القلعة
وتولى زمام الحكم

تلك حلالة روية إسماعيل باشا سرهنگ

أما روية مدام أولمب إدوار فحلالتها ، أن الأميرة نازلي هانم حبة عباس هي التي
اقتدرت به وهي في الاسانة ، وأخذت مملوكين من أتباعها لقتله ، واتفقت وإياها ، على أن
يعرضها نفسها في سوق الرقيق بالقاهرة ، كي يشترىها عباس ويدخلها في خدمته . وكان

حرارة مصر حرة من الفحل اندبر الأحياء التي كبلها بها خلفاؤه من بعده . وكان يجتهد دائما في سد عمر الميرمية ، دون أن يدرك غروص . ولم يكن يحيل إلى صبح لأوروبيين يشتدوا باستئثار مراقب البلاد . فهذه مدد عبد الله ذكر له سحر . ويمتاز (من هذه الناحية) على سعيد وإسماعيل . فحفظا سعيد باشا أنه صبح المسير فرديتار دليس . ويمتاز حمزة شاه السويدي . واقتنع عهد الامراء من خارج ، ونظما إسماعيل أنه كبل مصر بالديون الخفيفة التي فرضها من ليون الأوربية

• • •

• • • من حيث من الحال . مما يرغب وكيل الأمير في شرائها ، فجاهد الصخرة فعلا .
• • • من أن رآها يوما وكيل الأمير ، فرائه جالسا ، فاشترىها وأدخلها سراي
• • • فأعجب بها عباس . وعهد إليها حراسته ليلا ، فالت مادام ألومب دوار ، فها
• • • كانت الليلة الأولى لم يجرؤ لملوكان على ارتكاب القتل ، لأنها خشيا بأس عباس ، إذ كان
• • • قوي النية . شديد البطش ، وشافا أن يقاومها ويسجس فتكها ، فينكل بها شر تكييل
• • • ويورد لها موارد اهلاك المحرم ، فانخفضت الليلة الأولى بسلام ، وموت أيام عدة وهما
• • • يستجمعان قوتها لإنفاذ القتل عند سوح العرصة . حتى جاءتها النوبة ثانية لحراب مولاها ،
• • • فاعتراها أن يكونا أكثر شجاعة من قبل ، فلم يكده يستغرق عباس في النوم حتى انقضا عيه
• • • وقتلاه ، ولم يدعها له الوقت ليصبح أو يقاوم ، ولما أرنكا المجربة زلا اصطبلات الخيل الملحقة
• • • بالسراي ، وطلبا إلى السائس أن يجهز لها مورا جوادين بحجة أن الباشا يطلب حاجة له من
• • • قصره بالعباسية ، فلم يشك الخادم في الأمر ، وجهز لها الجوادين لملارها عدوا إلى القاهرة ،
• • • ومن هناك قرا إلى الاسكندرية ، حيث تقدمتها الأميرة تازلي مكافأة صالحة على إيفاد المؤامرة .
• • • وتقول مدام أولمب أدوار إن إلهامي باشا تعقب المطوكن القاتلين ليأثر لايه ، فالتق
• • • بأحد هما في الاسكندرية ، فقتله رميا برصاص مسدس ، ولم يستطع اللحاق بالثاني ولم يعرف له على
• • • مكان . وقيل أنه أدى إلى بلاد الأرتامود فراراً من القتل^(٥) .
• • • فالرويات مع اختلافها في بيان المحرضين على القتل وطريقة ارتكاب الجريمة متفقان كما
• • • ترى في أن عباس مات مقتولا إثر مؤامرة دبرت لقتله وأخذت في قصره بها

محنة عباس

كان عهد عباس كما ترى خلوا من أفعال البهضة والعمرة ، اللهم ما كان من إنشاء سكة
الحديد بين القاهرة والإسكندرية ، وإصلاح سكة السويس البحرية .
حل أن لعباس ميزة يجب أن يذكرها له التاريخ ، وهي أنه لم يفتح على مصر أبواب
تدخل الأجنبي ، فلم يمكن للأجانب في البلاد ، ولم يجد يداه إلى الاستئذان منهم ، بل ترك

(٥) كشف السراي عن أسرار مصر لأمير أولمب أدوار

الفصل الثاني

الهيئة الوطنية في عهد سعيد باشا

(١٨٥٤ - ١٨٦٣)

من الهيئات الوطنية ما يصدر عن الشعب ورعايته ، ومنها ما يكون مصدره الملوك والحكام ، ويمتاز عصر سعيد باشا بظهور هيئة وطنية جديدة بأن حد دورا من أدوار الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث

وترجع هذه الهيئة إلى ميول سعيد باشا ذاته ، فقد كان ذا نزعة وطنية ملموسة ، نشأت فيه قبل أن يتولى الحكم ، ولازمته بعد أن تولاه ، وظهرت آثارها في كثير من إصلاحاته وأعماله ، وقوام هذه النزعة أنه كان يميل بموارحه إلى غير المصريين ورفاهيتهم ويعمل على تحريرهم من نير المظالم التي أصابهم ، ويخفف عنهم عبء الضرائب التي يتهدون بها ، ويثبث فيهم روح الوطنية . ويشجعهم على تولد للنائب العالية في الجيش والإدارة بعد أن كانت من قبل وقتها على الترك والشراسة .

نشأته

هو ابن محمد علي الكبير . ولد سنة ١٨٢٢ ، ونشأ في حجر أبيه . محروفاً بطفه ورعايته . وكان أبوه يهره ويحتقير برينته وتكميمه ، وتشتت لثاء الحسة واحترمه الملك البحري فقربه على فنون البحرية وجعل شأنه شأن تلاميذه . ولعل هذه النشأة هي حسب إلى عصره سادى الديمقراطية . فقد كان أثناء دراسته ومراحه زميلاً لطائفة من التلاميذ . هي خصصهم أبيه لدراسة العلوم البحرية . يعيش هيشهم . ويسير على هيجهم . رينصر . كايبر الطالب إلى أقرانه وأصدقائه . ولما أتم دراسته انتظم في خدمة الاسطول فوجداناً لإحدى اسوارج التي كانت ترفع علم مصر فوق ظهر البحار . واعتاد النظام الذي هو أساس الحياة العسكرية فكان

الضريبة من ثمنها ، فظهر الفلاحون بالراحة والطسابة والرخاء وحسن المعاملة ، ووقف تيار الهجرة من القرى .

وقد ألقى أيضاً صربية الدحولية التي كانت تجبي عن المحاصيل والمتاجر بما يتبادلها المدن والقرى في داخلية البلاد ، وهذه الصربية مصدر إعانات وإرهاق الأهالي ، كما أنها عبء تحول دون حرية التجارة الداخلية ، إذ كانت الحكومة تقتضي على التجار ١٢ في المائة من قيمتها عند دخولها أي مدينة أو قرية ، وهذا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار واشتداد العلاء ، ويصحف حركة المعاملات ، كما أن طريقة تحصيل هذه الضريبة تنطوي على نوع آخر من الإرهاق ، إذ كانت سبباً في موكولة بل مقترمين يتزعم الأهالي أكثر من قيمتها ، فألغواها فيه تخفيف عن الأهالي وتخفيف من التجارة الداخلية مما كان يتعرضها من انقبات والعراقيل .

لغة المعاشات

ومن أماله الاجتماعية سنة لغة المعاشات للموظفين المتقاعدين ، وهي الأساس الذي بنى عليه نظام المعاشات المتبع في مصر لموظفي الحكومة .

أعمال العمران

تطهير ترعة المحمودية

هي سعيد باشا بتطهير ترعة المحمودية ، ذلك أنها منذ إنشائها في عهد محمد علي لم تكن الحكومة بتطهيرها ، وانقضى عهد عباس دون أن يكر في أمرها . فلما تولى سعيد كاد الطمس المزاحم على مدى السنين بطورها ويصد استثمارها . فلا تعود صالحة لمروء السقي ، ولا تجري فيها مياه تروى بالمقادير التي يتطلبها العمران .

فاحتزم سعيد باشا أن يطهرها ، ويكاد تطهيرها في هذه الظروف يشبه أن يكون استثماراً لها من جديد ، لأن الطمس كان قد سد قاعها ، وقد استشار للسيد مرسيل بك كبير مهندسين قبا يلزم من أعمال وإختراد لإجراء هذا العمل العظيم . فحسب مقدار ما يجب رفعه من الأرض من مدها . سبع ثلاثة ملايين متر مكعب ، على طول التربة الذي يبلغ ثمانين كيلو متراً ، وقدر

بـ مائة بربع متر ونصف متر في اليوم ، فاعمل بقتضى سبعة وسبع مائة عمل . وبنيت من تطهير سبعة على المدها في ثلاثين يوماً .

فأصدر سعيد باشا في مدينته بـ مائة بربع متر من العدد من الفلاحين . ولم يكف المديريين بـ مائة العدد المطلوب . بل صدعت أهمه . وأرسلت ٥٠ ألف عامل . فخرج هذا العدد على طول أربعة ، وورعت عليهم القفوس ، فمعدت لئس لكل خمسة من العمال ، واحد منهم يعمر الأرض بنفسه ، والثاني يملأ المقاي من الردم ، والثلاثة الآخرون يحملونها إلى جانب التربة ، حيث أمر سعيد باشا بإنشاء طريق راعي مبيد ، عرضه عشرة أمتار ، وقد سار العمل على هذه الوثيرة ، وهي سعيد باشا بالسير على صحة العمال ، فأنحصر أطباء يلاحظون حالتهم الصحية طول مدة العمل ، وتم تطهير التربة وإنشاء الطريق في اثنين وعشرين يوماً ، دون أن يموت أحد من العمال . بخلاف ما وقع حين إنشائها في عهد محمد علي ، ولم يزد عدد المرحى للذين أعياهم العمل عن خمسة في الألف^(٣) .

فكان هذا العمل الضخم وإتمامه في هذه المدة القصيرة مدعاة للإعجاب ، لما تجل فيه من مقدرة الفلاح المصري على إنشاء أعمال العمران التي تنو بها الحاجات من الشعوب الأخرى .

وقد كان نجاح هذا المشروع مما شجع السيد فردينان دلسبي على إخراج سعيد باشا بتطهير الآلاف من الفلاحين في احتفال قناة السويس ، فرضى بتأثير هذه الإغراء أن يسخر الألوف للزراعة منهم في عمل حاد بالمرز النيل على مصر والمصريين .

السكك الحديدية والتلغرافات

توفي عباس قبل إتمام الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية ، فأتمه سعيد باشا سنة ١٨٥٦ وسار الخط عن هريق كمر الزيات ونها حتى وصل إلى العاصمة ، ولم تكن الكباري هبنت على النيل . فكان القطار عند اجتيازه الفرعين ينقل على مراكب خاصة تسير به من بر إلى آخر .

(٣) مروي - مصر الحديثة ص ١٢٣

وأشأ حطوطا لتغرافية على الطريقة الحديثة من الإسكندرية والقاهرة والسويس بعد أن كان الموجود منها في عهد محمد علي على طريقة (شاب) القديمة
ومد الخط الحديدي بين القاهرة والسويس وكتبته محطة الإسكندرية والقاهرة ، وفتح المواصلات سنة ١٨٥٨ ، فعاد على ميناء السويس وعمرانيا بالقوافل الجملة . لأنه كان سبباً في زيادة ورود السفن التجارية إلى هذا الثمر لنقل متاجرها ووكلها إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية بطريق السكة الحديدية ، منبسطت حركة العمران والتجارة فيها ، ولما كثرت توافد السفن إليها شرع سعيد باشا في إصلاح مينائها
ومن أعماله في العمران الاحتفاظ بالآثار المصرية وجمعها في مخازن أعدت لها في وفاق ، وعهد بيده لمهمة إلى العالم الأثري ماريت (باشا) كما سيجيء بيده ، وعهد إلى العلامة محمود بك (باشا) الفلكي الرحلة إلى دقة لرصد كسوف الشمس بها ، فقام بيده المهمة واختم هذه الرحلة لتحقيق ٤٧ موقعاً من المواقع الفلكية بين أسوان ودقة .
وبعد عودته كلفه سعيد باشا وضع خريطة مفصلة لقطر المصري ، فقام بهذا العمل غير تمام ، واشترك معه في أدائه طائفة من المهندسين المصريين .

إصلاحاته الحربية وبثه الروح القومية في الجيش

بشعر سعيد باشا بميله إلى الجيش ، ولعل نشأته الأولى على ظهر الأسطول حيث إليه الحياة الحربية ، بركة كانت أم بحرية ، فعلى بعد أن ولي الحكم بتربية شؤون الجند . وكثيراً ما كان يصرف أيامه في معسكر الجيش ، وتعرض عليه شؤون الحكومة وهو وسط جنوده ، ويطلب له أن يسير منتقلاً في أنحاء البلاد .
ولقد بذل جهداً كبيراً في سبيل ترقية الجيش من الوجهتين المادية والمعنوية ، وصيغته بالمصنعة الوطنية . وذلك أن الجيش كان قد اضمحل في عهد عباس الأول ، كما تقدم بيانه . وعند الروح التي كانت تعيس عليه صفات العظيمة والبطولة في عهد محمد علي وإبراهيم . فعزل سعيد علي أن يرد إلى الجيش صيغته الوطنية ، وبذل جهداً كبيراً في إصلاح حاله فقرر تعصير مدة الخدمة العسكرية ، وجعلها في الوقت نفسه إجبارية للجميع ، وكان هذا الإصلاح أثر حسن في ترويض الانضباط في سلك الحندية إلى الأهلين ، لأن لتجديد محسب

النظام القديم كان مفصلاً على الطبقات الفقيرة (وهو الآن كذلك مع الأسف - سنة ١٩٣٢ -) ، فقرر في أدهاء الناس أن الخدمة العسكرية سخرة تنتمي بها تلك الطبقات ، وما زاد في نفور الأهلين منها طول مدة التجنيد ، فكان المهندسون تطول لحياتهم من أهلهم ، وكثير منهم كانوا يلتقون حفيظهم في الحروب المتواصلة التي حدثت في عصر محمد علي ، فيجهل أقرباءهم مصيرهم .

للاصلاح هذه العيوب قصر سعيد باشا مدة الخدمة العسكرية ، ثم عسما على جميع الشبان ، على اختلاف طبقاتهم . فبجبل متوسط الخدمة سنة واحدة ، وبذلك أدخل في نفوس الناس الضمائية على مصير أبنائهم المهندسين ، واعتدوا بشعرون بأنهم سيبدون قريباً إلى قراهم وعائلاتهم ، وأمر أن تصمم الخدمة العسكرية ، بحيث يقتصر أبناء المشايخ والعلماء وأقاربهم كسائر الملاحين ، ولا شك أن هذه الوسيلة من شأنها أن تنهض بمجسدى الحندية ، وتزجج الشبان في الخدمة العسكرية ، لأن العلم والمشايخ هم في الجملة خلاصة أعيان البلاد ، فدخلوا أبنائهم في سلك الجيش تكريم للجدية ، وتقويم لشموس الشبان إذ يشعرون أن التجنيد واجب عام ، يشترك فيه الأصفياء والفقراء على السواء .

وعلاوة على ما تقدم ، فإن سعيد باشا على بتربية حالة الجنود والرفية عبيهم من جهة الغذاء والسكن والملبس وحسن المعاملة ، حتى أعتدوا يشعرون أنهم تحت لواء الجيش أحسن حالاً مما كانوا عليه في قراهم ، طعاماً ، وسكناً ، وملبساً ومظهراً .

وكان لهذا الإصلاح أثره في إيلاف الأهلين الخدمة العسكرية ، وفي تقدم حالة البلاد الاجتماعية ، لأن المهندسين إذ يوردون إلى القرى بعد انتهاء مدة خدمتهم كانوا يتقنون إليها مبادئ النظام والتقدم والنظافة التي تعودوها في ظل الحندية .

ولو استمر العمل بهذا النظام طويلاً لألغت الأمة الخدمة العسكرية ، ولاعتادها الشبان من مختلف الطبقات

وكان سعيد باشا عيلاً إلى ترقية الصباط المصريين وإعطائهم حقوقهم في التقدم ، وفي عهده ارتقى كثير منهم إلى المراتب العسكرية العالية ، بعد أن كانت محصورة في الترك والشرابكة ، وقد نقل عنه عرابي باشا خطبة ألقاها في مأدعة قصر النيل ، تدس على عواطف وطنية شريفة ، قال مخاطباً الحاضرين من العلماء والرؤساء الروحانيين وأفراد الأسرة الحاكمة ، وكبار رجال الحكومة الملكيين والعسكريين

«أيها الأخوان . إني نظرت في أحوال هذا الشعب المصري من حيث - يح - وجوده مظلوماً مستعبداً لغيره من أمم الأرض . فقد توالى عليه دول ظالمة بكثرة . كحرب الردة (الحكوس) والآشوريين ، والفرس ، حتى أهل ليبيا والسودان واليونان . والرومان ، وهذه قبل الإسلام . بعد تعبد على هذه البلاد كثير من الدول بعده . كالأيوبيين . والسلاطين ، ومنه صلبين من حرب ، وترك . ولاكرد ، والشركس . وكثير ما عذبوا مرسا عليها حتى حلبها في وائل هذا القرن في زمن (يوناتون) . بحث في معتبر مصر مصرنا . فوجد على أن ربي بناء هذا الشعب وهذه تديناً . حتى أحصاه صاعداً لا يحصى ببلاد خدمة صحيحة نافعة ، ويستقى بنفسه عن الأجانب ، لقد وطئت ناسي على يراز هذا الرأي من الفكر إلى العمل »^(١) .

ويقول عرابي باشا في مذكراته تعليقاً على هذه الخطبة ، إنه لما انتهى سعيد باشا من إلقائها خرج المدعوون من الأمراء والعظماء خاضعين ، حائقين ، مذهوشين مما سمعوا ، وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تهلل فرحاً واستبشاراً . ويقول إنه اعتبر هذه الخطبة أول حجر في أساس مبدأ (مصر للمصريين) . قال : « وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضع أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية الكريمة »

هذا ما يقوله عرابي باشا ، وهو قول لا يخار عليه ، ونضيف إليه أنه لو بقيت هذه الروح سالفة في عهد خلفاء سعيد باشا لما كانت البلاد في حاجة إلى شيوخ الثورة العرابية ؛ لأن هذه الثورة قامت لتحقيق المبدأ الذي إبعده سعيد باشا . فلو سار خلفاؤه على هذا المبدأ لم تعرض البلاد دوا إليه لمر بيوت في سكون وسلام ، ولكانت البلاد في حي عز قدام تلك الثورة ، التي مها قيل لها أو عليها ، فلا يستطيع أن يغفل تلك الحقيقة الحقيرة ، وهي أنها أصبحت ماضياً في الإحتلال الأجنبي . وليس ينبغي أن الاستقلال والاحتلال ضدان لا يجتمعان

ومن أعياه أخرى إنشاء (القلعة السعيدية) بالقناطر الخيرية . وكاد يقيم بها أنجياناً وجعلها بحيث تستطيع صد هجمات الأعداء من القاهرة إذا جاءوا من طر

على أن سعيد باشا كان لا يستقر على وثيرة واحدة في اهتمامه بشئون الجيش . ومرجع ذلك إلى ضعف إرادته ، وقلة حرمه . وتقلبه في الرأي . وقد كان هذا الخلل من مواضع ضعفه . فكثيراً ما لوحظ عليه أنه يرى في يومه يقبض ما رآه بالأمس . ولا يشت على رأي واحد فيها

(١) مذكرات عرابي (مكتب نشر من سر الأسرار) ص ١٦

هو يحيى بزيادة عدد الجيش إذا به بصره . فلا يبقى منه إلا التز اليسير في سنة ١٨٥٦ صرف معظم الجيش . ولم ين منه إلا ست أروط من المشاة ، ثلاثة لفرات من عربات ، وبنوك من المدفعية . ولما سفر في رحلة إلى السودان أواخر سنة ١٨٥٦ اصطحب وطفين من الجيش وبقى لأروط الأخرى بالقاهرة والإسكندرية وبين سويس . ثم جميع الضباط وجعل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية بالقناطر الخيرية . وذلك لحوجه من أن يقوم الجيش ثورة في البلاد أثناء غيابه بالسودان

وفي سنة ١٨٦٠ أعاد الجيش ثانياً وأعاد إليه الضباط ، ونظم فيلقه . وكان قرصه الاستعداد للقتال حينها تؤثرت العلاقات بينه وبين تركيا . بسبب مسألة قناة السويس . وقاد معه هذا الجيش وحسبته في مروط . وأقام هناك ثلاثة أشهر كان لا يثقل خلالها بحرى اندارات لحربه . وكان عدد الجيش وقتئذ ٦١,٠٠٠ مقاتل كما أحصاه إسحاق باشا سرهنت في كتابه (ج ٢ ص ٢٧٥) ثم صرف معظم هذا الجيش بعد أن عادت العلاقات الودية بينه وبين تركيا .

وفي سنة ١٨٦٢ أعاد تنظيم بعض الفرق ، وكان لا يقر له قرار إلا بين جنده ويلازمهم في معظم أوقاته .

وذكرته الميورديان دلبيس أنه نقص الجيش من سبع ألفاً إلى ثمانية آلاف أو عشرة آلاف مقاتل . وذلك لكي ينحصر أكبر عدد من القنزمين لأعمال الحفر في قناة السويس^(٢) ومن هذا يتبين لك أن القناة . علامة على ما جلبته مصر من المضار كما سيحيى بيانه ، كانت من أسباب الضمحلل الجيش المصري .

البحرية

قلنا أن سعيد باشا نشأ نشأة بحرية ، وانتظم لملك الأسطول قبل أن يتولى الحكم . فكان ميالا لنظيمه شأنه إلى إحياء البحرية المصرية ، بعد ما أصابها من الضمحلل والإهمال في عهد عباس

(٢) وثائق من تاريخ القضاء كلسو غريبات دلبيس ج ١ ص ٢٢٢

وقد وجه حاجته فحلاً إلى ترقية شأن الأسطول . فلما عادت السفن الحربية المصرية من حرب القرم ، أمر بإصلاحها وإنشاء سفن أخرى جديدة ، ولكن الخطرا خشيت أن تعود إلى مصر قوتها البحرية ، التي كانت لها في عهد محمد علي ، فأوعزت إلى الحكومة التركية أن تمنح سمداً من غدة الأسطول . ورأى بسطوط هذا العمل موافقاً لما أراد الأسطول ، فوافق عليه . فصار خطراً يتهدد تركيا كما كان في عهد محمد علي ، فاستمع السلطان لندائهم المجلدوا ، وأصدر أمره إلى سعيد باشا بالكف عن إصلاح سفن الأسطول وإنشاء سفن جديدة إلا بأمره ، فكان ذلك سبباً لاصمحلال قوة مصر البحرية ، وقد ذكر إسماعيل باشا سرهنا في كتابه حقائق الأخبار (ج ٢ ص ٢٧١) أن سعيد باشا إذ رأى أن معظم السفن الراسية أمام دار الصناعة بالإسكندرية لا تصلح للقتال إلا بعد إصلاح جسم وإياها إذا تركت وشأنها أصابها التلف ، أمر بتكسيرها وبيع أنقاضها وإحراق ما لا يصلح منها ، وشرح معظم صباطها ، وأدخل الكثيرين منهم في الوظائف الملكية ، وخاصة في مطابخ الواسعة ، ولما أنشأ إدارة للملاحة النيلية ، وهي التي دعيّت مصلحة (البحريّة) ابتاع لها كثيراً من البواخر النيلية ، واستخدم فيها بعض أولئك الضباط والجنود ، وهناك سبب آخر لاصمحلال البحرية في عهد سعيد ، ذلك أن الدول الأوروبية أخذت تستبدل بالسفن الحربية الشراعية السفن الجديدة البخارية التي صارت الأساطيل الحربية تتألف منها ، ولكن مصر قصرت عن مجاراة الأساطيل الأوروبية في هذا المضمار ، ومن هنا أسعفت البحرية المصرية في الضعف وآلت حالها إلى الاصمحلال

ولو كان سعيد باشا على شيء من العزيمة التي امتاز بها أبوه العظيم لما ترك الأسطول المفسخ الذي بليت مصر في سبيل إنشائه ما بذلت من الجهود يقوده ويتكسر ، وما صدع أوامر السلطان في هذا الصدد ، بل كان عليه أن يعهد الأسطول ، ليصلح ما يخطب من سفنه ، ويحده بإنشاء السفن البخارية بدلا من السفن الشراعية ، لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، وهو الذي كان يحس به أن يقدر قيمة الأسطول إذ نشأ في البحرية يمارس فنونها وعرف مبالغها من الجلال وسحر الشأن

لعل إدراك سعيد شأن البحرية الحربية ، على أنه عني بالملاحة التجارية الداخلية والخارجية ، فأنشأ شركتين للملاحة ، إحداهما بحرية ، والأخرى نيلية

شركة الملاحة النيلية

فالشركة الأولى للملاحة النيلية ، أسست سنة ١٨٥٤ والعرض منها نقل الحاصلات والمسافرين بطريق النيل على البواخر والسبب الذي دعا سعيد باشا إلى تأسيس هذه الشركة أن المراكب الشراعية التي تنقل الحلال والتاجر من دلتا النيل إلى الإسكندرية عن طريق النيل وترعة المحمودية كانت تتأخر في سيرها ، معاكسة الريح . فكانت تقطع المسافة بين القاهرة والإسكندرية في خمسة عشر يوماً . في حين أن البواخر تقطعها في ست وثلاثين ساعة . ولما كانت الإسكندرية تستمد أوقاتها ومواد الغذاء من الداخل . فتأخر السفن الشراعية يؤدي إلى أزمة في الأقوات . وخاصة بعد أن زاد عدد سكانها . هد إلى ما في استخدام مراكب الشراعية من تعطيل مواصلات التجارة عامة . فأسس سعيد باشا هذه الشركة لتسهيل سبل المواصلات النيلية عبر أن عب هذه الشركة أنها شركة أجنبية ، مؤسوها من الأوروبيين . ومعظم رموس أمراء أحييه . ولعل هذه أول شركة أجنبية أسست في عهد سعيد باشا ولم يكن من أعضائها من المصريين سوى رئيسها الفخري (الذي لم يكن له عمل ما) وهو ذو الفقار باشا وزير المالية ، أما أصحاب الامتياز فهم فيما عدا ذو الفقار باشا جماعة من المثاليين الأجانب من مختلف الأعجناس ، وهم السيد رويسر Ruyssenaers فتصل هولندا العام في مصر ، والسيد بولاني Poppoiani ، وكوبنيج بك Koenig Bey سكوتلند سعيد باشا الأوروبي ، وموجيل بك Mougil Bey كبير مهندسي الري . وأيندى Aide وليويدياس ليغونس Lyghouines . ومدة امتياز هذه الشركة ١٥ سنة ، ومن شروط عقد تأسيسها ، أنه عند وقوع خلاف بينها وبين الحكومة فلا يرجع الخلاف إلى التمسك بل بحكم بواسطة التحكيم ، وأن بواخر الشركة ترفع العلم المصري باعتبارها تابعة لشركة مصرية سميت هذه الشركة (الشركة المصرية للملاحة البخارية) ، ولم تكن مصرية إلا بالاسم وكان في إمكان الحكومة أن تشتري البواخر من مالها بدلا من الائتجار إلى رموس الأموال الأجنبية . وقد سوغ ناصر سعيد باشا إعطاء هذا الاسم لشركة أوروبية بقومهم أن يحكمهم عهد في الشركة بالقيام ببعض أعمال الإصلاح في ترعة المحمودية دون تكليف الحكومة المصرية بمقايها .

أخضر همدان باشا عن صلاح مروتها ووسعته . وعهد بذلك إلى شركة روسية تعرف
شركة (داسو) Dussau . وعاهد وباشا على إنشاء حوض عائش لبناء لإصلاح نهر
على بوسع داسو . وقد كتبت عن الإصلاح في عهد الخديوي إسماعيل

حروب مصر في عهد سعيد باشا

الشركت مصر على عهد سعيد باشا في حروبين :
الأولى : حرب القرم
والثانية : حرب المكسيك .

١ - حرب القرم

تقدم الكلام عن اشتراك مصر في هذه الحرب على عهد عباس باشا . وحسن بلاء الجيش
المصري في الدفاع عن (ملبسترا)
وقد استمرت الحرب مدة وفاة عباس . وأرسل سعيد باشا عدة إلى الجيش المصري فيها
وما يذكرون من هذه الحرب أن المصريين عادوا فيها الشدائد والأهول ، إذ كانوا يقاتلون في
شدة البرد خلال شتاء عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ ، ولقي الكثير منهم حتفهم في ميادين القتال ، أو
من قتل الأعداء . وقد دعوا دعاء محمد عن (ألباتوريا) ، وهي مدينة من شعور شبه
حريرة القرم ، احتلها الحلفاء لهزيمة مواقع الروس . انحصرت في شبه الجزيرة
واستشهد سيم باشا (فتحي) القائد العام للجيش المصري في حصار (ألباتوريا) . ذلك
أن الروس حاصروا المدينة مدة . وكان سليم باشا يتولى قيادة المصريين فيها . فيها هو قائم
بقيادة القيادة أصابته مصابه في جهة رية قتلا . ومع أن الروس تقدموا على المدينة . لكن
مقتل سليم باشا كان حصارا كبيرا أصابت الجيش . ووقعت وقد أتت في عوس الحسد
والصعبات

ذكر للسيد (فونجيني) Vingierner نيا مقته في كتابه (سلمان باشا) قال : إن
مصر شملت بالألم الشديد لزومه . إذ هددت فرنسا دنا في الكفاءة الحربية . وحلها بها عن
لحجم اكتسب بشجاعته بحجاب رؤسائه وحمية رملائه .

سبح مآخذ الزعة من النيل ، وتوسيع مصفا في البحر الأبيض المتوسط ، وتخليدها ،
وإنشاء علبات عند المطف لتصفيتها

شركة الملاحة البحرية (الشركة الخليجية)

أما الشركة الثانية فهي شركة مساهمة للملاحة البحرية ، تأسست سنة ١٨٥٧ رئيسها الأمير
مصطفى حسين . برهم باشا . وعلمس إدراجها حط من الزطيل والأحاديث . وهم بون
باشا (وكذا لم يورث) دانا ليريس . وله في عيبه أن يقوم بأعمال الرأس . وعبد الله بك .
واسير ديرنكر Dumreicher وحسن كامل بك . وإسماعيل حوري بك . والسيد بين
وختار بك . وسيد سيري Pasire ، والسيد روسمر . وسعيد افندي ، وهوج توردون
Huge Thurburn والسيد زكالي zakali

وتمت (القومية الخليجية) نسبة إلى اسم السلطان عبد الحميد الذي كان يتولى عرش
السلطنة آنذاك وقتئذ . والعرض فيها سير الزحرف البحر الأحمر . ومنه إلى المحيط الهندي
ثم الخليج لدراس في البحر الأبيض المتوسط . وكانت تقوم بالملاحة بين السويس ونهر
البحر . ونهر النيل والقصور وسواكن ومصروع ونقل الحجاج دعاء وباشا إلى شعور حصار . وما
عاصر أخرى باسم الأملن المتوسط . ومدة إمتارها للآتون سنة . وبواترها ترفع الزاوية
المصرية . ومبارعتها لا ترفع أمام عاكس القصبين بل أمام المحاكم التجارية المصرية . ولما
مستودعات ومطبات في السويس والقصور ومصروع
ولكن هذه الشركة قد سرى إليها الإصطلاح في أواخر عهد سعيد . لعدد إدارتها ،
فحبها الحكومة . ووبت مضمونها على عهد إسماعيل . وعادت الأسهم إلى أصحابها مصفلة على
عشر مئوت صعب مع وائلها ٣٤٠٠٠٠ حبة . وحلت محلها الشركة امبروية التي أنشأها
إسماعيل كما سيجي . بانه

إصلاح ميناء السويس

شغل حركة التجارة والمصر في السويس بعد إنشاء السكة الحديدية التي تصفها
بالقاهرة . وبعد إنشاء الشركة الخليجية للتجارة واتحاد السويس ميناء خطوط الملاحة في البحر

وذلك أنه كان عائداً بأسطوله إلى الإسكندرية لإصلاح بعض السفن . هبت على الأسطول ريح عاصفة ، وتكاثرت عليه القنابل ، ففعل دون احتيازه بوعاز اليوسفور بسلام ، واشتدت مقاومة هذه مدافع البوعاز ، فاصطدمت السفيتان (مدافع جهاد) (والنجدة) بالكنكرتا ، وغرق من هبما من الجنود والضبباط ، وعددهم ١٩٢٠ مقاتل . لم ينج منهم سوى ١٣٠ ، وكان من الفرق حسن باشا الإسكندراني وسنان بك من قواد الأسطول المصري .

وانتهت حرب القرم بمؤثر تركيا وسلطانها على الروس وسقوط قلعة سيستول ، وأبرم الصلح سنة ١٨٥٦ في مؤتمر باريس الذي سلمت فيه لروسيا بمطالب الحلفاء .

٢ - حرب المكسيك

والحرب الثانية هي حرب المكسيك ، وقد تأخذ الدعشة من اشتراك مصر في حرب المكسيك بأمريكا ، إذ لا تاقة لها ولا جعل ، ولكن كذلك شامت ميول سعيد نحو البابون الثالث إمبراطور مرسا في ذلك العهد وصدفته له أن يلقي دعوته حيناً طلب إليه أن عمده بقوة بحرية مصر به تعاون لجيش الفرنسي بها .

كانت للمكسيك جمهورية تحتفلها الفتن والفتورات ، كما هو شأنها إلى اليوم ، وكان يقول رأسه جمهوريتها سنة ١٨٦١ المنيو جوارز Juarez ، هانتت بالبلاد فتة بقصد إسقاطه وإتزع السلطة من يده ، فسادفت هذه الحركة هوى في نفس الإمبراطور نابليون الثالث ، واعتزم أن مصداها لسطع بعده على المكسيك ويؤسس بها إمبراطورية تحت وعاقته . وتفرع على الحق الرعا لأوربية في حرب لأهيه من المضار . فطالب الحكومة المكسيكة بتوسط هذه الحساتر فلما رعبت سب عيبا احترا وأسابيا ، ثم تمت هناك الدون . ثم مضى بهمهم سببته . فهد جرد على المكسيك جيشا د . مصيره إلى فرنسا . وسجدت في خلال الحرب بصلبته سعيد باشا لفرعان ما أمده بكنكية من مخود البودانيي هدهم ١٢٠٠ مقاتل ، يهودهم الكباشي حيرة الله محمد البوداني ، والصلح محمد افندي لأمس ، فغزب هذه بقوه ر . المكسيك سنة ١٨٦٧ ، وأثبتت في الحرب هناك بلاد حسنة . وشهد لها ب . فورى Forey دنت . لجيش الفرنسي بالشحافة إذ قال هي جهودها : « إن هؤلاء

وب قس سبم باشا فصحى ، جعل سعيد باشا على القيادة العامة لأحمد باشا الكمل . ولا يبر لدر من سبم باراك (باشا) من أركان حربه . وكان وقتئذ باعرا بالدرسة الهندسة الحانة ، واشترك في الحرب كما ر . في رحبته بالعص النسخ

ومن لجيش المصري في حرب غزوة نديه مستطاب . ثم شملوه حسن ملاته في القتال فحق السير فانزبته في كتابه (سليمان باشا) ما ذكرته في طها الصلح جريدة الموزبور

عربية قانت

لنت المصريون أنهم سحر الجنود الذين دافعوا عن ألياتوريا . وبالموا هذه المكاة دنبا في حرب الدانوب . واحتسوا وحدهم معظم العصب في الدفاع عن سلبتريا .

وقالت في مواطلي آخر : « إن المصريين يهرون في الجيش التركي وفي البلاد التركية بالعرب . وطرقتهم في القتال تشبه طريقة تلك الشعوب الحربية التي تجسع إلى الشحافة والاقحام . الدكاء والنظام (٢٧)

وشهد لجنرال اسمونت Osment أحمد فواد لجيش الفرنسي في حرب القرم شهادة قيمة للجيش المصري (٢٨) من ٥٧٦ من « كتاب المتقدم ذكره » - « لقد اشترك قسم من الجيش المصري معنا في حرب القرم . وحبب كتب محاطا لاثوريا شاحفت فرقة من ذلك الجيش يبلغ عددها ١٢ ألفا حدى . يؤلفون حرا من جيش مصر باشا ، وزيئت هذه الفرقة في امدادات لفرنسية . كما رأينا وهي يحوس عاز الحرب . حانت مرفق من الزك . وأشهد بها كانت تقوى الفرقين التركيبي في كل الزايا »

وقال السير ميري في كتابه مصر الحديثة بصف لجيش المصري في عهد سعيد باشا لحاسية حرب القرم

« إن كدهم علاج المصري في عهد نظام حرق ، وباعا يده . وما شهور به من الشات والشفاعة في موجهه لأعده . كن هذه المزا كانت عليها البينات ، لألى ميدان القتال عرره . حرب وسوريا في عصر محمد علي فحسب ، بل يحس دفاع الجيش المصري عن سلبه . وسبب . في حرب القرم الأخيرة (٢٩)

وفد عرى لأبرال حسن باشا الاسكندراني قائم الأسطول المصري في تلك الحرب ،

(٢٧) سليمان باشا السير فانزبته من ٥٧٢

(٢٨) مصر حديثة للسير ميري من ١٢

... من حدود بلده السود ، واستمرت الحرب مجددا بين الجيش الفرنسي وهوت
... وسبب لامرصوره في عصبة مكسيك عدة من ابرس وحتل عرشها
... لاسدوق مكسيك شوى سنة ١٨٦٤ . ثم كانت اعلان الحوت (ثورة - حلا
... امريسون من ابلاد وقتل لامرطور مكسيكيا ، ربا بالخاص سنة ١٨٦٧ . وفي عصور
... ذلك ظلت الكنيسة المصرية تكافح في تلك البلاد الحقيقية بقاء وأربع سوت . قتل في حلا
... الكنائس حيرة الله . فحققه للناس اتدى ، وفق عظم وجاهلا ، وم ين منهم بعد رب ،
... الحرب سوى نفة من صباطها ، ونحو ثلثائة من جنودها ، ولما جلا جيش الفرنسي عن
... المكسيك عادت الكنيسة إلى فرنسا ، فاستعرضها الامبراطور نابليون الثالث ، بصحبه «قائد
... المصري شاهين باشا ، الذى كان يزور باريس وقتها ، فنهأ الامبراطور للناس امدى على
... شجاعة الكنيسة وحسن نظمها ، ووزع الأوسمة على بعض المصريين من رجاء ، ورجعت إلى
... مصر في مايو سنة ١٨٦٧ ، فاستعرضها الخديوى اسماعيل سراى رأس البني بالإسكندرية .
... وأمر بترقية طائفة منها ، وأقام لطيف باشا وزير البحرية مأدبة لصباطها تكريماً لهم ولسافر رجاء
... الكنيسة

السودان

مر عهد عباس الأول دون أن يتألم السودان منه التألم ما . ولم يحدث في عهده ما يستحق
النظر سوى إنشاء المدرسة الابتدائية بالخرطوم ، وقد فصلنا الكلام عنها في كتاب « عصر محمد
علي » (ص ٤٨٨ من الطبعة الأولى)

وتولى منصب الحاكم العام للسودان في عهد عباس خالده باشا الذي كان يشغله من عهد محمد علي ، ثم عبد الطيف باشا الذي أنشئت في عهده مدرسة الخرطوم الابتدائية . ثم رسمه باشا وقد مات بالخرطوم ، ثم إسماعيل باشا قوجيلى ، ثم سليم باشا ، ثم علي باشا سرى ولما تولى عباس الأول وحتمه سعيد باشا تار السودان نصياً من اهتمامه ، فقد اقتضى من به فضيلة العناية بهذا الإقليم العظيم المتمم لمصر ، وفي قول عهده جعل علي باشا شركس حاكماً للسودان ، وأوفد أحاه الأمير عبد الحليم باشا للتفتيش على إدارته ، وإصلاح

٨. راجع تاريخ هذه الكتب في البحث السهب المتشورق بقعة مصر Revue d'Egypte (١٨٩٢) (١٨٩٢) ص ١٠١ وما بعدها ، وما ذكره إسماعيل بالذ صرحت في كتابه حقائق (الأخبار ج ٢ ص ٢٧٦

شبهه ، ولكن لا يريد جعل بيده فيه . فلهذا و... جعله يجعل ما بعده . مصر
باعتهم سعد بن زيور . سودان نفسه بتقدم خبره في نفس فرد من هي . ذهب إليه
بصفحة طائفة من خاصه وحده وأصدقائه . مثل رعب باشا . ودر عصار باشا . وبرايم باشا
البراري . وسير فريد . دسيس . والمذكور أنه ساء . وركيل باشا حتى يوارى باشا
وغيرهم ، ووصل إلى الخرطوم في ١٦ يناير سنة ١٨٥٧ واتقوا بأعيان الأهليين . ضدوا له
عرائص بشكون فيها من فداحة الضرائب ، ومطالبة الحكام ، فاستمع لشكايتهم ، وفالم
لخائهم ، وسد رته يوماً فكرة إخلاء السودان ، ولكن أعيان البلاد ومشايخها توسلوا إليه أن
يذهب عن رأيه ، محتجين بأن إخلاء السودان يؤدي لاجاءه إلى تقادم الحالة فيه ، إذ تعدم
القوى . فعدل سعيد عن رأيه ، واعتزم إصلاح حاله . فأمر بإعفاء الأهالي من الخضر عليهم
من الأموال . وحصل الضرائب تمحيصاً عظيم . ووضع قاعدة ثالثة لتقدير قيمتها بأن جعلها
تتبع عدد سواقي في الأقطار ، لأن السواقي تبنى مبلغ حصص الأرض . ودرجه إنتاجها ،
فجعل على مجموع الأرض التي تروى من ساقية واحدة ٢٠٠ قرش ، وأما الأقطار التي تروى
من غير حاجة إلى السواقي فجعل على الفدان الواحد منها صرية تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ قرشاً
وقد عزل الموظفين الترك الذين كان الأهالي يشكون من سوء معاملتهم ، واعتزم تعويد
الأهليين حكم أنفسهم بإنشاء مجالس عليا مؤلفة من أعضاء يختارون من رؤساء العشائر
والعائلات^(١) ، ورفع للمقام من الأهليين ، وفك أسرار الكثيرين منهم ، وسمح بإلغاء
السخرة ، وأمر مديري الأقاليم السودانية بأن يحسوا بمصلحة الأهليين ، وألا يرهقوهم في حيازة
الضرائب ، وقصص ألا يجهدوا إلى الجند في تحصيل الضرائب لما اشتهر عنهم من القوة
ومن إصلاحاته بالسودان أنه أنشأ محطات في صحراء (كروسكو) . لتسهيل نقل البريد
والمسافرين بين مصر والسودان ، وتنظم البريد بين مختلف أنحاء السودان ، وأنشأ نقطة عسكرية
على نهر سوباخ لمنع تجارة الرقيق ومطاردة السحابة

(۹) ذکرِ دِلکِ اَمیو غریبہ دلیلی اور کلامہ (ذکرِ رب ربیب سے) ج ۲ ص ۲۸۸

عصدا عن مصر ، فرجع كل منها إلى سكرته في وزارة الداخلية ، شأن مدير رب لغير مصرى ، وجعل من الخرطوم ومبار مديرية وحدة وهي أراكيل بك وبار مديراً لها ، لكن يشرف على الإصلاحات التي قررها ، وقد بقى بكون منصبه إلى أن تولى سنة ١٨٥٨ ، ثم خلفه حسن بك سلامة حتى عزل ، وخلفه محمد بك واسع

ثم رأى سعيد باشا أن استقلال مديري لأقاليم جعلهم يخشون إلى الاستبداد والظلم ، ربيثون إلى الأهلين ، فألغى استقلالهم ، وأعاد منصب حاكم السودان ، وقاد موسى باشا حدى هذا المنصب ، فكان من أعظم ولاية السودان شأناً ، وله فيه إصلاحات جمة ، منها أنه عين من الأهلين نظار أقسام (أمورى مراكز) ، ومعاونين ، وعقد ورؤسائهم مجلساً ، وس قوانين جديدة لتنظيم الضرائب ، وتسهيل جبايتها

وقد قصد سعيد الرحلات والاكتشافات الجغرافية في أنحاء السودان ، فذكر عند المكتشفين في عهده ، ولكنه لم يجد جدواً في إيفاد بعثات مصرية كالبعثة التي أقرها محمد علي إلى السودان بقيادة البكاشي سليم بك قبطان أحد ضباط البحرية المصرية ، بل ترك أمر هذه الرحلات للمكتشفين الأجانب ، وهي ناحية ضمت وقع فيها هو وإسماعيل من بعده

رحلة سعيد باشا إلى الحجاز

قصد سعيد إلى الحجاز في أوائل سنة ١٨٦١ ، وتدل ملابسات هذه الرحلة على أن لها غرضاً سياسياً ، فإنه لم يتعب إلى الحجاز في موسم الحج واقتصر على زيارة المدينة المنورة ، وكانت الرحلة أنشبه بتجريدة عسكرية ، إذ كان يصحبه من الحشد والحاشية نحو ألف رجل من مشاة وفرسان ومدعية وأتباع ، واحتلفت الآراء في الباعث لسعيد على هذه الرحلة ، ويؤيد من رواية محمد بك صادق (باشا) ^(١٠) الذي رافق الأمير في رحلته أن لها مبرراً سياسياً ، وهو استدعاء الحكومة التركية إياه للحضور إلى الآستانة ، فرفض الذهاب إليها ، واعتزم زيارة المدينة لكي يستعمل الأعداء ويحمد مسوغاً لرفضه ، وبدأ سعيد باشا رحلته في ١٦ رجب سنة ١٢٧٧ هـ (٢٣ يناير سنة ١٨٦١) فغص من القاهرة إلى السويس ، ومنها إلى (الوجه)

(١٠) في بحث التنوير مجلة الجمعية الجغرافية عدد مايو سنة ١٨٨١ ص ٩٩ تحت عنوان المدينة من عشرين عاماً
Medine il y a vingt ans



سعيد باشا والى مصر
من سنة ١٨٥٤ إلى ١٨٦٣

من نحو المحمد ، ثم سارت الحملة براً إلى المدينة المنورة . وصلها في أول شعبان (١٢)
 فبراير) ، وبعد أن دار سعيد باشا قبر المصطفى عليه السلام غادر المدينة في اليوم السادس منه ، وصار
 إلى يبع ، ومنها استقل بالخرة (نجد) إلى السويس فوصل إليها ل ١٧ منه (٢٨ فبراير) .

التعليم

م يوحه سعيد باشا عابه في إحياء نهضة العلمية ، واستمر الجهد الذي أصابها في عهد
 عباس ، وهذا موضع نقّده شديد في تاريخه .

وقد حاول السيو (مريو) ، وهو من المسيحيين بسعيد ، أن يلمس موعظاً لهذا التفسير
 المحجب ، فلم يجد ما يهض بظاهره ، قال في كتابه (مصر الحديثة) :

« لا يخفى أن المدارس قد أعملها عباس ، فأصابها الاصمحلال والتدهور ، وبلغت حين
 تولى سعيد الحكم درجة من التقهقر والتفوضى جعل الباشا يرى من الحكمة إقفالها نهائياً ، بدلاً
 من السعى في تنظيمها . إذ كان السعى عبثاً لا يجدي » (١) .

وهذا دفاع كما ترى لا يسوع عمل سعيد ، إذ ليس من المعقول ولا مما يقبله المنطق أن
 يعالج التقهقر في المدارس بإقفالها ، بل العلاج للشرع هو تنظيمها وإصلاحها ، وإذا كانت
 عزيمة عهد علي قد أوجدت المدارس من العدم ، فأسهل من ذلك إصلاح ما احتل من
 شؤنها

تولى سعيد الحكم وليس بالقطر المصري من المدارس التي أنشئت في عهد محمد علي سوى
 القدر اليسير ، فلم يعمل على إحياء ما انتثر منها بل ظهر عدم اكترائه بشؤون التعليم بلاءه
 ديون المدارس (وزارة المعارف) وكان يديره وقتئذ حيدى شكرى باشا وألقى أيضاً مدرسة
 الهندسة ببولاق سنة ١٨٥٤ ، وكان يولى نظارتها العلامة علي بك مبارك (باشا) فأعده
 سعيد ضمن الحملة التي أرسلها لمساعدة تركيا في حرب القرم وفتح هذه الفرصة لإقفال
 المدرسة ، وألقى أيضاً مدرسة (المفروزة) سنة ١٨٥٥

وأنشأ مدرسة حرية بالقلمة عهد بنظارتها إلى العلامة رفاعة بك رفيع وسميت مدرسة
 أركان حرب .

(١) مصر الحديثة - قسمر مريو ص ٨٢

ثم أعاد سعيد فتح مدرسة الهندسة سنة ١٨٥٨ وجعلها مدرسة حرية نقلها إلى القلمة
 لسمعية بالقناطر الخيرية وسميت المدرسة الحرية ، وأعاد فتح المدرسة البحرية بالإسكندرية .
 وفي عهده أنقلت مدرسة الطب بقصر العبي ، ثم أعاد فتحها سنة ١٨٥٦ وأنشأ بها مدرسة
 للقبالات عهد بنظارتها والتدريس فيها إلى السيدة جليلة نمرهان التي نقلت علومها الطبية في
 مدرسة القابلات القديمة المنشأة على عهد محمد علي والمغاة في عهد عباس .
 وفترت حركة البعثات العلمية فلم يرسل إلى أوروبا سوى ١٤ طالباً .

ومع جمود حركة التعليم إلى هذا الحد فإنه لم يخل على البعثات الأجنبية الدينية بمساعدته
 كي تفتح مدارسها ، لمج إعانات سوية لأرايات البون باستور Bon Pasteur (الراعي
 الصالح) وكانت هي مدرستان بمصر والإسكندرية ، ولراحيات الصدقة بالإسكندرية ،
 ووهب للبعثة الأمريكية بناء بمصر لتتخذ مدرسة لها ، وأعطى أول مدرسة إيطالية أنشأها
 الحكومة الإيطالية بالإسكندرية إحانة قدرها ٢٤,٠٠٠ جنيه ، ووهب لها قطعة أرض في أجود
 جهات الإسكندرية لتنشئ بها المدرسة ، فكانت عنايته بنشر التعليم الأجبي أكبر من عنايته
 بنشر التعليم الأمل ، وهذا من متناقضاته .

نظام الحكم في عهد عباس وسعيد

النظام السياسي

بقى الحكم لى عهد عباس وسعيد حكماً مطلقاً بتولاه وفي الأمر إذ كان يجمع في يده
 السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، فهو المرجع في كليات الأمور وجزئياتها
 وأعمل (مجلس المشورة) الذي أسسه محمد علي وانعقد على عهده حيناً وكان واة لنظام
 شورى (راجع كتاب « عصر محمد علي » ص ٥٧٢) فلم يظهر له أثر في عهد عباس وسعيد

المجلس الخصوصي

ذكرنا في كتاب عصر محمد علي (ص ٥٧٩) أن محمد علي أنشأ سنة ١٨١٧ محمداً دعاه
 (المجلس الخصوصي) ، واختصاصه النظر في شئون الحكومة الكبرى ، وس اللوائح

ونوابين . وإصدار التعليمات لجميع مصالح الحكومة ، وكان يرأسه يريهم . ثم
وقد أعيد تأليف هذا المجلس في عهد عباس الأول بمقتضى لائحة صدرت في ٨ ربيع
آخر سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) وتولى رئاسته الكتخدا باشا وهو أكبر موظفي الحكومة .
وعصاؤه من كبار الدواوين والعلماء ، واختص بنظر المسائل العامة للحكومة ومن اللوائح
ونقوانين وترتيب النظم العمومية وتنصيب رؤساء المصالح الكبرى ، فكان عزلة مجلس
الطراز ، وتولى السلطة التشريعية ، وشاركه فيها مجلس الأحكام . وقد بقى هذا المجلس قائماً
إلى أن دخله مجلس النظار في عهد إسماعيل

الوزارات

وفي سنة ١٨٥٧ أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فجعل منها أربع وزارات وهي الداخلية ،
وقد عهد بها إلى الأمير أحمد رفعت ، والمالية وعهد بها إلى الأمير مصطفى فاضل والحربية
وتولاها الأمير محمد عبد الحليم ، والخارجية وتولاها إسطفان بك أحمد خوجي البعثات في عهد
محمد علي

النظام القضائي

مجلس الأحكام

وكان في البلاد منذ عهد محمد علي هيئة قضائية عليا تسمى (جمعية الحقاية) أنشئت سنة
١٨٤٢ وقد سميت هذه الهيئة منذ سنة ١٨٤٩ مجلس الأحكام ، وهو المجلس الذي كان له شأن
كبير في عهد سعيد وإسماعيل ، وكان بمثابة الهيئة الاستئنافية العليا في البلاد ، ويتألف من تسعة
أعضاء من الكبراء ومن علمائ أجدما حتى والآخر شافعي ، وكان أيت يشار به (المجلس
المخصوص) في السلطة التشريعية

مجالس أو محاكم الأقاليم

بقيت المحاكم الشرعية كما كانت في عهد محمد علي ، وبقى لها اختصاصها في المسائل
المتعلقة بالأحوال الشخصية وانتقال الملكية ، غير أنه أنشئت محاكم أو مجالس جديدة

للمسائل المدنية والتجارية سميت (مجالس الأقاليم) ، بلغ عددها خمسة في بداية
تأسيسها ، وهي (مجلس طنطا) ويختص بنظر قضايا الحرية والموتية والبحرية ، و (مجلس
سمود) ويختص بنظر قضايا الدفعية والشرقية والقبليوية ، و (مجلس العرش) ويختص بنظر
قضايا الخيزة ونسباً وبنى برار وبنى سويق واليوم ، و (مجلس جرجا) ويختص بنظر قضايا
أسيرط وإسنا وقتا ، و (مجلس الخرطوم) ويختص بنظر قضايا السودان
وكان كل مجلس يتألف من رئيس وأربعة أعضاء ، وأربعة كتاب عدد (مجلس سمود)
فأيه يتألف من رئيس وعصوين

وعين لكل مجلس اثنان من العلماء بوظائف معينين أحدهما حتى والآخر شافعي .
وكان (المجلس المخصوص) و (مجلس الأحكام) يصدران اللوائح والقوانين لهذه
المجالس ، فكان بمثابة الهيئتين التشريعتين في البلاد ، ويتبين من ذلك أن مجلس الأحكام فوق
كونه هيئة قضائية عليا كان أيضاً هيئة تشريعية

ولاية القضاء

إن أهم إصلاح قضائي تم في عهد سعيد أنه نال من السلطان حق اختيار القضاة بعد أن
كان العمل جارياً على أن قاضي القضاة المولود من قبل السلطان هو الذي يمينهم^(١٢) .
وهذا الإصلاح فضلاً عما فيه من تحقيق الاستقلال القضائي لمصر فإنه منح مصدرها من
مصادر الفساد في النظام القضائي ، فإن قاضي القضاة كان يعين القضاة حسبما يحل عليه
أهواؤه ، وكثيراً ما يجعل تعيينهم مقابل جعل من المال ، وفي ذلك من إفساد القضاء ما لا يحصى
من الأذهان

إلغاء مجلس الأحكام ثم إعادته

وفي سنة ١٨٥٥ غضب سعيد باشا على مجلس الأحكام ، فأصدر أمراً بإلغائه . ودل
سب هذا الإجراء عتقاد سعيد باشا أن أعضاءه لم ينجحوا طريق الاستفادة ، وقد أمر بإحالة
الدعوى التي كانت من خصائص المجلس على الأمير إسماعيل باشا (الخديو) وكلفه عرض

(١٢) مصر الحديثة للسياسة ص ١

م يرم عروشه على سعيد باشا ذاته ، أى أنه لم يشئ هيئة أخرى مكان مجلس الأحكام
كـ . ولكنه رجع وأمر بإعادة تأليف مجلس الأحكام وأستد رثسته إلى الأمير إسماعيل
ش سنة ١٨٥٦ ، والله من عشرين عضواً منهم أحد عشر عضواً من الأعيان ونسبة من
المدون

ولم يمس عامان على تأليف هذا المجلس حتى عاد سعيد باشا وغصب عليه ، وكان سعيد
مشهوراً بكثرة ثقليه في الآراء والميول ، وسبب غضبه أنه انتهى إليه أن أعضاءه يركبوا رهوة
في قضية عرضت عليهم ، فارتأى إلغائه سنة ١٨٦٠ وألغى كذلك (مجالس الأقاليم) .
على أنه عاد بعد ذلك سنة ١٨٦١ وأمر بإعادة مجلس الأحكام وعين محمد شريف باشا
(الذى صار فيما بعد الوزير المشهور) رئيساً له ، وكان من قبل ناظراً للخارجية ، وأعاد كذلك
مجالس الأقاليم ، ولكنه اقتصر منها على مجلسين ، أحدهما بطنطا ، ويختص بنظر قضايا الوجه
البحرى ، والثانى بأسوط ، ويختص بنظر قضايا الوجه القبلى .

وكان العمل أمام (مجلس الأحكام) ومجالس الأقاليم يجرى طبقاً للقانون العثمانى والقوانين
التي أصدرها سعيد باشا .

وكان مجلساً طعناً وأسبوط يمكنان ابتدائياً في المنازعات ، ومجلس الأحكام بنظر فيها بصفة
استئنافية ، ولما تولى الخديوي إسماعيل أعاد تأليف مجالس الأقاليم بأن حصها في المديرية كما
سيجيء بيانه .

قضاء الأجانب

بقيت محاكم التجارة التي أنشئت في عهد محمد علي قائمة إلى عهد سعيد وإسماعيل وهي
لسمه (مجلس البحار) في الإسكندرية ومصر ، وكاتب المحاميات والصعيات تنظر في
المشاكل الخاصة بالأجانب ، ولكن كثرة نزوح الأجانب إلى مصر وما امتتبه من ازدياد هذه
المشاكل جعل جهات الإدارة لا تستطيع التصريح لسمها ، فأنشئ سنة ١٨٦١ مجلس خاص
باسم (مجلس مصر) أو مجلس القومسيون ، يتألف من رئيس مصري وعضوين مصريين .
وعصرو أوروبي ، وآخر يوناني ، وعصرو إسرائيلي ، وآخر أرمني^(١٣)

(١٣) انظر كتاب الامانة ص ١٢١ يقول من ٨٥ طبعات .

ويختص بنظر القضايا التي ترفع من لأحساب على الرعايا المقيمين ، وللقصليات أن ترسل
مدوناً من بينها حضور المحاسب ، وحكمه تستأنف أمام (مجلس الأحكام) ولم يكن من
حصصه حق الاستئناف ، فصار ، بل كان النظر فيها من اختصاص المحاكم الشرعية
بعد ذلك وقتد محاكم مدونه في بلاد

ثغرات التدخل الأجنبي

جتمعت في سعيد باشا عيان جوهريان ، الأول : ضعف إرادته وقلة حظه من الخرم
والمرء . والثاني : وهو أكبر خطراً وأسوأ أثراً من الأول ، وهو به ثقته بالأجانب ثقة
مطلقة . بحيث لم يكن يقوى على أن يخالف لهم رأياً ، أو يرد لهم طلباً ، وقد اتحد منهم بطانته
وموضع سره ، فامتحت في كيان مصر ثغرات التدخل الأجنبي ، وأهم هذه الثغرات منح
امتياز قناة السويس ، والاستفادة من البيوت المالكة الأجنبية .

١ - امتياز قناة السويس

نظرة عامة

بعد مؤرخو أوروبا ، والفرنسيون منهم خاصة ، مشروع قناة السويس مصخرة سعيد باشا ،
ويقولون إنه هذا العمل قد أدى أعظم خدمة للإنسانية والحضارة ، وهم هنا يقولون إنما
يسطرون إلى هذا العمل من وجهة النظر الأوروبية ، فلا شك أن قناة السويس قد أفادت
التجارة الأوروبية فوائد كبرى . بتقريبها طريق المواصلات بين أوروبا والشرق ، وأفادت أيضاً
الاستعمار الأوروبي ، لأنها مكنت الدول الاستعمارية من إرسال الحملات والتجاريد الحربية
من مصر إلى آسيا وأفريقية لإحصاع ممالك لشرق وشعوبه ، ورفعت من تلك الدول
مشتات اختيار طريق الحظ الأطنطى ورأس الرجاء الصالح ، ذلك الطريق الطويل المعروف
بالمكاره والأخطار .

من لوجهة الأوروبية لا جدل في أن فتح قناة السويس عاد بأعظم الفوائد على التجارة
الأوروبية والاستعمار الأوروبي .

أما من وجهة النظر المصرية . فالمسألة كانت شؤناً على البلاد واستقلالها
 منها دول الاستعمار ، وجعلتها تسعى سعيًا حثيثًا للاستيلاء على مصر . وتضاعف جهودها
 لتدعيم تحقيق هذا الغرض . ومن المضحك أن مساعي إنجلترا خاصة في احتلال مصر قد
 تصاعقت ولتشدت بعد أن شقت القناة أرض مصر ، وحينئذ في ذلك أب أرادت الاحتفاظ
 على هذا الطريق الجديد الوصول إلى الهند ، وتستأثر بوضع يدها عليه ، وهي حينئذ لا أساس
 لها من الحق والإنصاف ولكنها الأمر الواقع الذي توحى به مطامع الفتح والاستعمار . فأنجلترا
 بعد فتح القناة صارت أكثر تطلعا وأقوى نفوذاً إلى احتلال مصر ، فلا عجب أن كانت مصر
 محمية قناة السويس ، تلك حقيقة واقعة ، كان يجب أن لا تهتم بمسألة باشا عندما منح
 امتياز القناة ، وأن يعطى إليها إسماعيل باشا عندما بذل تأييده للمشروع بعد اعتلائه العرش
 حتى وصل به إلى عاقبه .

وإذا كان المؤرخون الإفرنج يمدون مشروع القناة أكبر مقبرة لسعيد باشا . فإننا نمدده
 بالعكس أكبر خلطة له في تاريخه ، لأنه بسببه هذا قد فتح باب التفتت الاستعماري في مصر
 على مصراعيه ، وجعلها هدفاً للمطامع الأوروبية .

ويريد أن يثبت أنه كان عالماً برأى أبيه العظيم محمد علي ومعارضته في فتح القناة ، وعلم
 عندما منح امتياز أنه خالف وصايا أبيه الذي كان يمد القناة يوسفياً ثانياً بحمل مصر
 واستقلالها عرضة للخطر .

إن المسألة المصرية قد دخلت دوراً جديداً بعد فتح القناة ، إذ صار ينظر إليها كأنها هي
 مسألة قناة السويس ، فكأنها أصبحت فيها ، وتبدلت أوضاعها تبعاً لهذا الازدواج . وصار
 ينظر إليها من ناحية الدول الاستعمارية مرتبطاً بوجهة نظرها في مسألة القناة . ومعموداً . فخطر
 جعلت حصصاً في مسألة القناة أو تسعى جهدها في وضع يدها عليها وعلى لاصح إلى
 تخارها . وأن يكون يدها مفتاح القناة ، ولدت وصفت نصب عجيباً أن على مصر بعد أن
 فتح هذه الطريق البحرية الخطيرة لواصلتها إلى مستعمراتها في الشرق .

فصح مسألة بعدد في تأثيره لاستعماري بالنسبة للمسألة المصرية غروب مصر
 هناك أن الحملة الفرنسية جعلت إنجلترا تتطلع إلى احتلال مصر ، كحدث كان شأن قناة
 السويس . والفارق بين الحادثين أن إنجلترا قد أعمقت في تحقيق مطامعها التي أثارها الحملة
 بمرسية . وريدت عن الكفالة دون أن تنال منها مبالاً . وسويت المسألة المصرية في مصر

محمد علي طبقاً لعاهده لندن سنة ١٨٤٠ ، بحث المعاهدة التي كلفت مصر استقلالها الداخلي
 لها . وبقيت المسألة مصرية ساكنة على مباح ذلك لعاهده من أن فتح القناة . ومن ثم
 بعثت أوضاعها . وسعت إنجلترا من جديد في تحقيق طامعها القديم التي أحسب حلال
 الصنف لأول من غرب التاسع عشر . فلا حرج أن كان فتح القناة مقدمه دور جديد بمسألة
 مصرية . ولقد كان هذا الدور شؤناً على البلاد . إذ ختمت فيه لطرف سبعة من مكسب
 تخلف من تحقيق طامعها في مصر . فإن فتح قناة في دمه ، وبيع إسماعيل أسهم مصر فيها إلى
 حكومتها الأخيرة . وهذا الأخير أن خطر أو خطره هو لاحتلال

فبعد ما لم ينظر إلى القناة كعمل حيوي لمصر ، وأغلب نظر أنه لم يوازن بين مزاياها .
 ومقارنها . بل نظر إلى فائدتها للإنسانية فحسب ، ولقد زينت له مصائح السيوفيين
 وليس أنه بهذا العمل يعد من أكبر خدمات الحضارة . ويدعى أن النظر إلى القناة من وجهة
 فائدة للإنسانية هو وهم لا يبيح بالألم إلى نقدر معنى الوجود والحياة ، لأن حياة الأمة
 واستقلالها مقدمان على كل خدمة عامة للإنسانية . وليس في تاريخ الشعوب قديماً وحديثاً أمة
 رغبنا أن تضحي بأية مصلحة لها منها ضللت . بله استقلالها ، في سبيل خدمة الإنسانية .
 فالحق أن هذه الأوهام لا تخرج إلا عن الأمم المستضعفة ، فبما عن عكس يرى الأمم التي
 تتجدها مثلاً للتقدم والعظمة تنبأ بذلك الأوهام ، وتضحي بمصالح الأمم والإنسانية جميعاً
 لتحقيقاً لأطماعها الاستعمارية بل تشيخ كل الوسائل في سبيل السيطرة على العالم ، واستعباد
 لشعوب

من أصعب النظريات وأبعدها عن العقل والمنطق أن يقال إن سعيد وإسماعيل يستحقان
 الإعجاب لأنها حملتا الإنسانية بإنفاذ مشروع القناة . والحقيقة المؤلمة أنها بمسئلتها هذا قد مهد
 السبيل لاحتلال إنجلترا مصر

والآن سنقول من أجل إلى التمهيد فنقول : إن سعيد باشا منح السيوفيين امتياز
 القناة قد جلب على البلاد مصر جسيمة تذكرها فيما يلي .

أولاً : أن القناة عرضت استقلال مصر للخطر . ولم يكن هذا الخطر ليحس من ذي
 بصيرة في الأمور . فقد أدركه سيميون لأوروبيين من يومئذ في مشروع
 وما يذكر في هذا الصدد أنه دائماً مع الامتياز كتب المستر بروم Bruce فصل إنجلترا
 لـ من وقد برز حذره بسبب الخطر . وتكون في حاتم رسالته فتح هذه سيدي إلى

دياد المواصلات التجارية بين أوروبا والبلاد الواقعة على البحر الأحمر ، وستتطعم مراكز الدول الأجنبية في هذه البلاد .. ومن المتظر أن تحدث منازعات بينها وبين تلك لشعوب فتتخذ دويحة إلى التدخل المسلح في شئونها وهذا التدخل يقضى إلى الاحتلال السام . ويتوقع أن تحدث هذه النتائج في مصر فليها :

فهذا التزو الذي أحركه القنصل الإنجليزي سنة ١٨٥٤ هو ما كان يجب أن يتوقعه كل من عنده قليل من بعد النظر في السياسة ، وهو ما وقع على مر السنين ، فإن إنجلترا بعد أن تم فتح القناة سمحت سميتها في احتلال مصر ، ولم ها ذلك سنة ١٨٨٢ أي بعد اثني عشر عاماً من افتتاح القناة للملاحة ، إذ كان افتتاحها سنة ١٨٦٩ ، ومن مصادفات القدر أنه عندما فتحت القناة كان للسفر غلامسون على رأس الورادة الإنجليزية ، وعندما احتلت إنجلترا مصر سنة ١٨٨٢ كان هو أيضاً يشغل هذا المنصب .

ويدخل في هذا السياق ، أنه لما اشتدت معارضة إنجلترا في فتح القناة ، وجرت مفاوضات بشأن إتقانها بالدول عن مطرئتها ، كان مما اشترطته الحكومة الإنجليزية لموافقتها على المشروع احتلالها السويس ، وجايتها للقناة ، فبينما من ذلك أن إنجلترا لم تكن تحقق نياتها الاستعمارية نحو مصر عند إنشاء القناة ، ولم يكن حقيقياً أن هذا المشروع يجعل استقلال مصر هدفاً لمطامعها الاستعمارية

وفي هذا الصدد يقول مؤلف (تاريخ مصر المثل) وهو من الكتاب الأوروبيين المشهود لهم بالاعتدال وأصانة للرأي : « إن منح امتياز القناة إلى السويس دليس قد فتح أبواب الدلتا على مصراعها للأوروبيين »^(١٢)

ويقول المسير كوشري Cocheris : « إن هذه الاتفاكات المالية والتدخل الأوروبي المشعوم في شئون مصر يرجع في الحقيقة إلى سنة ١٨٥٤ وهي السنة التي منح فيها امتياز قناة السويس إلى السويس دليس »^(١٣)

ثانياً : أن سعيد باشا يقوله إنشاء القناة على يد شركة أجنبية فتح ثغراً ثابته مستحق الأجنبي ، وكان الضرر أخف وطأة لو فتحها مصر بنفسها ولحسابها

(١٢) تاريخ مصر المثل ص ٣ قرئت في بيان ١٩٠١ (مجلة المسير بايونر Papouet) ويعد كتابه من أهم المراجع في بلاد حالة مصر الحالية على عهد سعيد وإسماعيل

(١٣) المركز الدولي لمصر والسودان للمسير كوشري ص ٦٧

ثالثاً : أنه أسرف في منح الشركة امتيازات وحقوقاً جعلتها مبركة مصر في سيادتها وحطت بها حكومة داخل الحكومة كما ينبغي . بيانه

وأجلاً : لم تستد مصر من الوجهة الاقتصادية فائدة مآمن القناة سبل على العكس أضرتها اقتصادياً ، لأن طريق التجارة بين أوروبا وشرق تحولت من داخل مصر إلى القناة المائية التي أصبحت ملكاً لشركة أوروبية ، فحسرت مصر الأرباح التي كانت تعود عليها من مرور القناجر في وسط الدلتا بطريق النيل أو السكك الحديدية المصرية ، وانتقلت هذه الأرباح إلى شركة لقناة . وهذا من غير شك خسائر كبيرة .

خاصة : على الرغم من مضار المشروع لمصر فإنها أخفقت عليه من مآلها بيماً وستة عشر مليون جنيه ، بذت في أسهم اكتسبت فيها ، وأعمال تدارت عنها ، وأعمال قامت بها ، وتعرضت أذنها للشركة ، وقد خسرت هذه الملايين في وقت كانت أرباحها تكون إليها ولإتقاد مشروع كان شؤماً عليها من كل الوجهة

ولئن عادت القناة يوماً إلى مصر فلا يمكن أن ننسى أن مصر خسرت فيها ثمةً باهظاً وتضحيات جسيمة ، ويكفي أنها بذلت لها ستة عشر مليون جنيه من أموالها ، ثم حرمت ما هو أعز من المال ، وهو الاستقلال ، وعندما تسترد مصر استقلالها تاماً فتكون قد حرمت استقلالها بسبب القناة رديحاً طويلاً من الزمن ، وهو حرمان لا يبرص بمال .

نبذة وجيزة في تاريخ المشروع

لم يسس لحكومة مصرية قديمة أو حديثة أن وصلت البحرين الأصغر والأحمر بقناة ملحة عنق بوزخ السويس

في عهد الفراعنة والفتح الإسلامي

وإنما وقع الاتصال عن طريق النيل ، فكانت قروعة الفراعنة لقدمه مخرج من فرع النيل الميولرى القديم ، وتسير بمحاذاة وادي الطميلات ، ثم تنحني جنوباً فتعبرق البحيرات المرة ثم تنصب في البحر الأحمر

وفي عهد الفتح الإسلامي أنشأ عمرو بن العاص « الحنيج » للمروء عنيج أمير المؤمنين .

٥
 بعد الحفنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣ هجرية ، وكان يصل الليل بالبحر الأحمر ، ويبدأ من مصر القديمة ، حيث يندى خليج مصر اليوم حتى القاهرة ومنها إلى بحرية . ومنها إلى القنطرة ، ثم يتبع آثار ترعة الفراعنة القديمة .

في عهد الحملة الفرنسية

وفي عهد الحملة الفرنسية فكر نابليون في أسلافه في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية (ص ١٢٤) في وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، وعهد بطرس هذا المشروع إلى المسير (لويير) كبير مهندسي الري والطرق والحسور ، فتمشى عامين في درسه وفحصه ، وعاون فيه بعض مهندسي الحملة ، وقدم تقريراً إلى نابليون بعد مغادرته مصر ، وكان تصمم المشروع كما وضعه المسير لويير أن تمر قناة من السويس إلى البحيرات المرة ، ويغادر حفر خليج أمير المؤمنين إلى أن يتلاقى مع بحر موسى بقرب بوباسط (الزقازيق) ، ومن بحر موسى إلى مرج دمياط ، ومنه إلى ترعة الفرعية ، ومنها إلى فرع رشيد ، ومنه إلى الإسكندرية بواسطة ترعة الإسكندرية ، وحيد المسير لويير أيضاً فكرة وصل البحرين رأساً بواسطة ترعة أخرى تمرق بروج السويس ، فيما بين بيلوز (العلية) على البحر الأبيض المتوسط ، ومدينة السويس على البحر الأحمر ، غير أنه اعتقد خطأ أن البحر الأحمر يعلو عن سطح البحر الأبيض بحو تسعة أمتار ، وقد نشر لويير مشروعه في كتاب (تخطيط مصر) بالخزنة الحادية عشر ، ومنه بحث مستفيض عن تخطيط ترعة الفراعنة القديمة ، وخليج أمير المؤمنين ، وتخطيط الجهات التي يتخذ منها المشروع ، ونقشات إنقاده ، ويقع هذا البحث في أكثر من ثلثائة صفحة ، وهو من أجل الأبحاث التي وضعها علماء الحملة الفرنسية

في عهد محمد علي

جاء المسير فرديناند دلسس إلى مصر لأول مرة سنة ١٨٣١ ، على عهد محمد علي باشا ، سرياً منصب مساعد للتفصيل لفرنسي ، فأبدى الباشا نحوه عطفاً كبيراً لما كان يبه ويؤيد به . فكانت ماتبو دلسس Mathieu Delessacs من صلات الصداقة القديمة منذ كان طفلاً في فرنسا في مصر سنة ١٨٠٣ . وعمل فرديناند دلسس بالأمير محمد سعيد ، إذ عهد

إليه أمره أن يعي بتربيته الرياضية ، فظم لأمره من يده أنواع الرياضة والمهارة في ركوب الخيل ، ومن هنا نشأت صلات الود بينه . واستمرت صداقتها طويلاً حياة سعيد باشا وقد وقع في يد السيد دلسس وهو في الإسكندرية تحت المسير لويير عن وصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر . وأكسب على هذا الصداقة يديته درساً دقيقاً ، فلم يلبث أن انجذبت نفسه إلى تحقيق مشروع الاتصال بين البحرين بقناة بحرية ، ثم انقل من منصبه بالقاهر المصري ، وطوحت به المناصب السياسية إلى مختلف الأقطار ، على أنه كد لا يتأبط بمكر في أمر هذا المشروع

لجنة سنة ١٨٤٦

وكان مشروع وصل البحرين بقناة ملحة موضع البحث والتفكير في أوروبا بين مختلف المهندسين من يوم أن وضع المسير لويير تقريره عند في عهد نابليون ، وكاه الخطأ الذي وقع فيه المسير لويير إذ ظن أن البحر الأحمر يعلو عن سطح البحر الأبيض بنحو تسعة أمتار عقبة يراها رجال الفن حائلة دون إمكان وصل البحرين عن طريق بروج السويس على أنه في سنة ١٨٤٦ تألفت من بعض المهندسين من مختلف الأمم لجنة لدراسة مشروع حفر القناة ، وجاء أعضاؤها إلى مصر لفحص المشروع في أواخر عهد محمد علي . واستمروا على عهد عباس ، وعاونتهم الحكومة في إجراء تلك المباحث ، وعهدت بتخطيط المواقع إلى بعض كبار المهندسين مثل لبنان بك (باشا) وسلامة أفندي إبراهيم (باشا) وإبراهيم بك رمضان وطائل أفندي وغيرهم ، وانتهت اللجنة إلى فرق مستوى البحرين ليس أمراً ذا بال ، ورأت الوصول إليها بشق ترعة تحتاز الدلتا

وكان محمد علي عند البداية معروفاً عن مشروع القناة ، غير راغب فيه ، لما يتوقعه إذا تم من العرق والوجعة . فلم يستجب لدعوة المهندسين والملايين الأوروبيين الذين رثوا له المشروع ، بل كان يرددهم بلطف وحكمة . ويمسهم ويمسهم ، وفي الوقت نفسه يفسر الإعراض عن هذا المشروع حتى انتهى حكمه .

وقد بلغ به حد النظر أنه لم يقبل أن يعهد إلى شركة إنجليزية مدسكة حديد بين القاهرة والسويس ، حتى لا تكون هذه السكة درنة إلى لتخلص الأجبي ، وكذلك أعرض عباس

١- لأول من مشروع القناة ، وضرب صفعاً على أبحاث اللجنة ، وحارب سيو فريدان
دلس أن يضعه بمائدة المشروع ، وأرسل تقريراً عنه إلى السيد رويس Ruysenaers قنصل
هولندا العام في مصر ليحرضه على عباس ، ولكن الفكرة لم تلق من الأمير قبولاً . وبعد فكرة
ب تسهيل سبيل المواصلات بطريق البر بين الإسكندرية والسويس . بدلاً من شق ترعة ملحة
في البحرين ، فأصلح الطريق بين مصر والسويس ، وجعله صالحاً لمرور العربات من عناء
ولا مشقة ، ثم شرع في إنشاء سكة الحديد بين الإسكندرية والقاهرة كما تقدم بيانه . وبس
السيد دلس من نجاح مشروعه على يد عباس الأول .

في عهد سعيد

فلما مات عباس وتولى الحكم سعيد باشا استبشر السيد فريدان دلسي خيراً بنجاح
فكرته ، على يد صديقه القديم ، فأرسل إليه يتهنئ بارتقاء العرش ، ويطلبه مزمعاً على الحضور
ليقدم له فروض التهنئ ، فاجابه سعيد على تهنئته ، واستدعاه إلى مصر فسرعان ما جاء
الإسكندرية (في نوفمبر سنة ١٨٥٤) ، وقابله الباشا بمضافة كبيرة ، فأكفراً صلاته القديمة ،
ثم اصططحبه في رحلة من رحلاته الحرية التي كان يسير فيها على رأس جندته . وسار معه من
الإسكندرية إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية ، وكان الأمير يقود في هذه الرحلة حيث
مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل

ماضم السيد دلس هذه الفرصة ليغاثع سعيد باشا في أمر المشروع ، وكان لهارته في
ركوب الخيل أثر في تمهيد السبل لنجاح مساهمته ، ذلك أنه امتلأ صهوة حواد أهداه له
الأمير ، فوثب به يوماً من حاجز من الأحجار ، على مرأى من قواد الجند من حاشية سعيد ،
فأعجبوا به بمهارته وفروسيته ، وفي مقدمة المصحين به ذو الفقار باشا وزير المالية الذي كانت
له منزلة كبيرة لدى سعيد باشا

في اليوم التالي . فاتح السيد دلس سعيد باشا في أمر المشروع ، وزيّر له أنه إذا وقع
اليده حظه ذكره واكتسب ثناء العالم بأسره (١٦) ، بالرغم من أن سعيد باشا كان يصرح بأنه
لا سائل وصايا إليه في الإعراس عن فتح القناة ، فإنه صنف أمام إغراء السيد دلس .

(١٦) مرسلات وريب . ١٥ - من قناة السويس السيد دلس ج ١ ص ٤

وقبل المشروع ، ووعده بمساعدته ، وتزويده في حقيقته ، واستدعى قواد جندته ، وعرض عليهم
الفكرة ، وكانوا متأثرين إعجاباً بفروسيه السيد دلس ، فادعوا إلى استحسان المشروع .
دون أن يحشوه ، أو يواروا بين مصره ومزايده ، فكأنوا هم وسعيد في قصر النظر سواء
فانظر إلى ما صارت إليه شؤون الدولة في عهد سعيد ، وكيف كانت عظام الأمور يت فيها
من غير بحث أوروبية ، ولا نظري عراقب ، وهذا من أسباب الضعف الذي أصاب مصر في
عهد خلفاء محمد علي ، وإنه لما يدور إلى العتشة والألم بما ، أن مشروعا خطيراً كقناة
السويس يقر في رحلة صحراوية ، من غير تمحيص ولا تفكير ، وأن عرود إعجاب رجال
الدولة بفروسيه السيد دلس ومهارته في ركوب الخيل كان كافياً لإقرار المشروع . !
، ولم يفت السيد دلس ملاحظة هذه الحقيقة المؤلمة ، قد أشار إليها ، في شيء من التكميم
والسخرية ، قال في هذا الصدد : « جمع سعيد باشا قواد جندته ، وشاورهم في الأمر ، ولا
كانوا على استعداد لتقديم من يبيد ركوب الخيل ويقفز بجواده على الحواجز والمخادق أكثر من
تقديمهم للرجل العالم المثقف ، المحلوا إلى جانب ، ولا عرض عليهم الباشا تقريراً عن
المشروع ، بادروا إلى القول بأنه لا يصح أن يرضى طلب صديقه ، وكانت النتيجة أن مسحى
الباشا ذلك الامتياز العظيم » (١٧) .

وقال في موضع آخر : « بعد أن قبل سعيد باشا المشروع واستدعى قواد جندته ، ودعاهم
إلى الجلوس أمامه ، وقص عليهم الحديث الذي دار بينه ، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم في
مشروع صديقه » ، فلم يكن من هؤلاء المستشارين ، وقد فوجئوا بهذا الاقتراح وهم أقلد
على إنشاء الرأي في مناورات الخيل منهم في التكلم عن مشروع عظيم لا يستطيعون فهم
مرامي ، إلا أن نظروا إلى بلاء أعبيهم ، كأنما يريدون إيهام أن صديق مولاهم الذي رأوه
يقفز على الحائط راكبا جواده بثلث المهارة ، لا يمكن أن يدل إلا بأمره صافية ، وكانوا أثناء
الحديث يرضون أيديهم إلى رؤوسهم بين آوثة وألمسرى علامة على اللواحقة (١٨)

وذكر عن سعيد باشا ذاته (ص ٥٧) أنه قال له بعد أن سمع الامتياز : « عترف لك
بأنى لم أفكر طويلاً في الموضوع ، وإنما هي مسألة شعور ، وبس من عاقد أن أقلد الناس في
ما يتبعون ويطعون »

(١٧) صورة قناة السويس ص ١٥

(١٨) امبو . قناة السويس ص ٤٠

صح امتياز القناة

(٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤)

ولما بلغ سعيد باشا القاهرة أنزل السيد دليس سباً عنده محمولاً بالإكرام والرعاية ، وله تمخض أيام معلومات حتى منحه بمقتضى العقد المؤرخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ اختيار تأسيس شركة عامة لخطر قناة السويس ، واستأجرها لمدة ٩٩ سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة^(١) . وهكذا نال دليس بفضله التي كان يسعى لها منذ ثلاث وعشرين سنة وهذا العقد هو المعروف بعقد الامتياز الأول : تميزاً له عن عقد الامتياز الثاني المؤرخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ الذي سجد الكلام عنه .

وقد عهد سعيد باشا إلى مهندس لبنان بك ، وموجيل بك . أن يرافقا السيد دليس إلى برزخ السويس ، لدرس المشروع وتطبيقه على طيبة الأرض ، ورفع تقرير إليه عن نتيجة مباحثهم ، وكان رأياً من قبل في جانب المشروع .

فقام للمهندسان الفرنسيان والسيد دليس بهذه المهمة ، وانتهى بهم البحث إلى الاتفاق على طريقة تنفيذ المشروع ، وهي أن تنشأ القناة مستقيمة في أقصى نقطة في البرزخ : بين موقع بيلورة (بور سعيد الآن) على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر .

حصص التأسيس

ثم جمع السيد دليس من بعض المالكين حصص لتأسيس لشركة قناة التي أزمع تأليفها ، وجمعت قيمة الحصص خمسة آلاف فرنك (٢٠٠ جنيه) وحصص فيه هذه الحصص لتعقدات المشروع الأولى ، على أن تحول قيمة الحصص إلى أسهم خاصة في الشركة عندما يتم تأسيسها .

(١٩) حسب عقد للملاحة يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ في أن هذه الامتياز تنهى في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ويصح القناة من ملك مصر .

لجنة دولية لدرس المشروع

وانتخب السيد دليس باعقائه مع سعيد باشا (في نوفمبر سنة ١٨٥٥) لجنة دولية من المهندسين الفيين لدراسة المشروع ثانية ، بعد اطلاعها على تقرير لبنان بك وموجيل بك ، لتبدي رأياً في صلاح المشروع وإمكان تنفيذه ، وذلك حتى يطمئن الناس إلى نجاحه ، فقبلوا على الاكتتاب في أسهم الشركة عند تأليفها .

مذهب أعضاء اللجنة إلى برزخ السويس ، وأجروا مباحثهم الهندسية ، ووافقوا على المشروع كما وضعه لبنان وموجيل ، بعد أن ثبت لهم أن سطح البحرين واحد ، وأن الأرض صالحة لاختيار القناة الملحة .

شروط الامتياز

(٥ يناير سنة ١٨٥٦)

ولما أتمت اللجنة مباحثها عرض السيد دليس نتيجة هذه المباحث على سعيد بك ، فأصدر له عقد الامتياز الثاني بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ م - (٢٦ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢ هـ) صدق فيه على الامتياز السابق موجه إلى السيد دليس . وخصت شروط الامتياز التي حولها الشركة ، وكانت شروطاً قاسية ، لا ترضى بها حكومة رشيدة ساهرة على مصالح البلاد ، وهالك خلاصتها .

١ - ماحت الحكومة الشركة امتياز إنشاء قناة السويس بين خليج الطيبة على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر . وإشياء ترعة للبناء العديدة صالحة للملاحة سييه تمتد من سبل ، وتصب في القناة الملحة ، وإشياء رعين دري وشرب يستمدان مياهها من الرعة المذكورة ، ويصلان إلى السويس والطيبة (بور سعيد) (مادة ١ من عقد الامتياز) .

٢ - تنازلت الحكومة للشركة مجاناً عن جميع الأراضي المملوكة لها والمطوية لإنشاء القناة الملحة وترعة المياه العذبة وتوابعها ، وهي مساحات شاسعة على طول القناة وترجع المزمع

١- مصر كبرى مدين من الحاديين " سرب عبا الحكومة بلا مقابل مع إعفائها على رسوم من الضرائب . وتارلت أيضاً عن جميع الأراضي القابلة للزراعة لتستصلحها لشركة وتزويها وتزودها ، مع إعفاء هذه الأطنان من الضرائب مدة عشر سنوات من تاريخ سبها (مادة ١٠)

٢- تحولت الشركة (عدا ما تقدم) حق انتزاع الأراضي المملوكة للأفراد لما ترى لزومها لإجراء الأعمال والانتفاع بالامتياز ، في مقابل أن تدفع الشركة لأصحاب تعريضات عادية ، (مادة ١٢) . ومعنى ذلك ترع ملكية الأفراد لمصلحة الشركة

٤- عن أصحاب الأطنان الواقعة أملاكهم عن صفاف الترع التي تنشأ الشركة إذ أرادوا رى أراضيهم بياها أن يحصلوا على ترخيص بذلك من الشركة في مقابل تعريض يؤدونه لها (مادة ٨)

٥- منحت الحكومة الشركة طول مدة الامتياز الحق في أن تستخرج من التاجم والمهاجر الأميرية كل المواد اللازمة لأعمال اللباني وصياتها وملحقات المشروع ، دون دفع أى رسم أو صرية أو تعريض ، وتكون الحكومة الشركة من الرسوم الجمركية ، والمواد عن جميع الآلات والمواد التي تستوردها من الخارج (مادة ١٣) .

٦- حدد أجل الامتياز بمدة ٩٩ سنة من افتتاح القناة البحرية للملاحة ، وبعد انتهاء هذه المدة تقول القناة إلى الحكومة المصرية (مادة ١٦) .

ولكن هذه المادة قبلت هذا الحق بشرط قد يؤدي إلى تعطيله ، أو يفتح بها للمشاكل ، وهو وجوب أعيد الحكومة في هذه الحالة جميع للمعدات والمعدات Matériel et approvisionnement لأعمال المشروع البحرية ، وأن تدفع للشركة قيمتها التي عسر بالتراضي أو بناء على تقدير الخبراء

وليس ما يمنع الشركة أن تبلغ في تقويم المصداق التي حصصتها أو تمصصها في المستقبل للمشروع . أو أن تصعد الإسراف فيما تعبير الحكومة ، ولكن تخلف العقبات التي تعترض حق مصر في استرداد النعم

ثم إن المادة ١٦ لم تذكر شيئاً عن المنشآت التابعة لها ، كالمواني ، وقد كان العقد الأول (مادة ١٠) ينص على أن شأها شأن القناة في رجوعها للحكومة . دون مقابل ، والعقد الثاني

(٢) ملاحظات ودييات دولان عن القناة للمسير دليس ج ٢ ص ٣٥٦

كما ترى صريح في أسلوب مجحف بحقوق مصر كل الإجحاف . وهذا يدل على الروح من أملت شروعه ، وأغلب الظن أن سعيد باشا ترك تخريجه إلى ، صديقه ، المسير دليس (كما يصعد في العقد) ولم يراجعه في شيء من تصوصه .

٧- تحولت الشركة حق فرض ما تشاء من الرسوم على السفن التي تفرق القناة للمعبرة أو الترع والنور التابعة لها على شرط أن لا تزيد في النهاية المغطى عن عشرة فرنكات عن كل طن وكل شخص من المسافرين (مادة ١٧)

٨- في مقابل الأراضي ولامتيازات المموحة للشركة تحصل الحكومة المصرية على حصة قدرها ١٥ في المائة من صافي الأرباح السنوية (مادة ١٨)

وقد عسرت مصر هذه الحصة سنة ١٨٧٩ ، وذلك أنه لما ارتبكت أحوالها المالية بسبب إسراف إسمايل باعت هذا التصيب إلى البنك العقاري بربما مقابل ٢٢ مليون فرنك .

٩- يكون أربعة أنحاس العمال من المصريين (مادة ٢) . وتعهدت الحكومة ببدل مساعدتها للشركة وتكليف جميع موظفيها وعمالها في جميع دوائر المصالح أن يمدوا الشركة بمساعدتهم لها (مادة ٢٢) . وقد عسرت الشركة هذه التصوص على أنها تعهد من الحكومة بتسخير أربعة أنحاس العدد الذي تطلبه الشركة من العمال ، وأن يكونوا من القطلة والملاحين المصريين لإجراء أعمال الحفر والإنشاء ووضعهم تحت تصرف الشركة لتشغيلهم فيما تريده من الأعمال مقابل دفع أجورهم .

وكان عقد الامتياز الأول (مادة ٢) بحول الحكومة حق تعيين مديري الشركة ولكن هذا الحق لم يظهر له أثر في عقد الامتياز الثاني ، وهذا العقد يقضى بإلغاء التصوص الواردة في العقد الأول مما يخالف أحكام العقد الثاني ، واقتصرت المادة (٢٠) من العقد الثاني على أنه : يرأس الشركة ويديرها صديقنا ووكيلنا المسير فردينان دليس بصمته المؤسس لها طوال المدة التي تستغرقها الأعمال ، ثم لمدة أخرى قدرها عشر سنوات تتبدى من تاريخ استعلال الاسماء . ومعنى ذلك أن الحكومة المصرية عسرت في عقد لامتياز الثاني حق تعيين مديري الشركة . وحفظ لها فقط حق تعيين مندوب عبا لدى شركة تمثل حقوق الحكومة ومصالحها في تنفيذ العقد

وكان العقد الأول ينص (بالمادة ٤) على أن الحصون التي ترى الحكومة لزوم إنشائها في منطقة القناة لا تكلف بها الشركة ، وقد أجعل هذا النص في العقد الثاني ، وقصر إعفائه مان

لاحق للحكومة في إقامة الحصون في هذه المنطقة

وإنك ترى في هذه الشروط روح التساهل والإسراف التي نتافت بها سعيد باشا مع الشركة ، فإنه خوفاً مرايا جعلها تشارك الحكومة المصرية في حقوق ملكيتها العامة ومبادئها ، وملكها مطلقاً ومنافع عامة ليس للأفراد من أهل البلاد حق تملكها ، وهكذا جعل منها دولة داخل الدولة المصرية ، وليس من عجب أن يجري عقد الامتياز تلك الشروط القاسية فإن السيد دليس هو الذي تولى تحرير العقد ووضع فيه ما شاء من النصوص والأحكام .

مقاومة إنجلترا للمشروع

اشتراط سعيد باشا لصحة الامتياز أن يصدق عليه السلطان العثماني ، حل أنه كان معتزماً تقبله بصرف النظر عن هذا التصديق ، وأعطى السيد دليس اليهود والمواطنين ألا ينظر إلى هذا التصديق إلا كمظهر شكل ليس يلهي بال ، وفي الواقع إن ما نالته مصر من حقوق الاستقلال الداخلي طبقاً لمعاهدة لندن لا يجعل مثل هذا التصديق ضرورياً لصحة الامتياز ، ولكن دليس أراد زيادة الاطمئنان على مشروعه ، فذهب إلى الآستانة يلتمس فرمان التصديق . فأتى مناهضة للمشروع من السيد البريطاني بإيعاز من اللورد بليرستون وزير خارجية إنجلترا في ذلك الحين

وكانت السياسة الإنجليزية ترمي حينئذ إلى عرقلة المشروع خشية امتداد النفوذ الفرنسي في مصر ، ونحوها على طريق المرور إلى الهند تحت سيطرة دولة سواها . فقاومت المشروع من طريق الحكومة التركية ، إذ حرضتها على رفض التصديق ، ثم من طريق الأسواق المالية إذ ألقت في روع المالكين أن المشروع خيالي لا يمكن تحقيقه

معاوضة سعيد للمشروع

حل أن سعيد باشا قابل هذه المقاومة بمعاوضة السيد دليس في مشروعه ، وكانت صداقته لدليس تدعمه إلى تدليل العقبات لإعجاح المشروع ، فبدل له أولاً المطالبات المتفرقة في نزارة الحكومة وقتئذ وقدرها ١٠٠ ألف جنيه ليستعين بها على العمل

تأليف الشركة

وفي ٥ نوفمبر ١٨٥٨ عرض دليس أسهم الشركة للاكتتاب العام بفرنسا وغيرها من البلدان ، فلفت إقبالاً عظيماً ، وعلقت أسهم الاكتتاب عدة مرات ، وتأييت الشركة في ديسمبر سنة ١٨٥٨ .

وجعل رأس مالها ٢٠٠ مليون فرنك (٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه تقريباً) موزعة على ٤٠٠,٠٠٠ سهم ، قيمة السهم خمسمائة فرنك (٢٠ جنيهاً) ، ثم قسم السهم إلى حصص فصار عدد الأسهم ٨٠٠,٠٠٠ سهم ، ولما صارت قيمة السهم الأصلي الآن (سنة ١٩٣٢) حوالي ١٥٠٠٠ فرنك بعد أن كانت ٥٠٠ فرنك ، واكتتب سعيد باشا بـ ١٧٧,٦٤٢ سهماً^(٢١) أن بما يقرب من نصف مجموع الأسهم ، ودفع جزءاً من ثمنها وقسط الباقي على سنوات .

المبدء في حفر القناة

(٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩)

وفي ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ ذهب السيد دليس صاحب أعضاء مجلس إدارة الشركة إلى شاطئ البحر الأبيض ، في الموقع الذي أنشئت فيه بعد ذلك مدينة بورسعيد ، وأقيم هناك احتفال حافل ضروب فيه دليس أول معول في أرض القناة ، واقتضى به الحاضرون ، فكانت تلك الصيغة إيذاناً بالشروع في العمل ، وكانت في الواقع أول ضربة في صرح استقلال مصر

ثم أخذ العمال يعملون في حفر الأرض ، ولم يكن قد صدر فرمان العثماني بالتصديق على الامتياز ، ولكن سعيد أراد أن يصح تركيا ويجتاز أطمع الأمر الواقع ، ويصعد المشروع سكر

ما لديه من حول وقوة ومال

وقد حاج هذا العمل غضب الحكومة الإنجليزية . فسعت سحياً لدى تركيا لوقف العمل .

(٢١) مراسلات وروايات ووثائق عن القناة ج ١ ص ١٣٢



بدء العمل في حفر القناة (٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩)

وترى في الصورة اليسرى دلميس ممسكاً بيده موقلاً للطر وحوله هلال للمريون يمشون في حفر القناة

ومرت ظروف ساعدت إنجلترا في مساعدها ، ففي مايو سنة ١٨٥٩ شبت الحرب في ربيع إيطاليا بين فرنسا والنمسا ، فالت فرنسا إلى محاسنة إنجلترا ، وقررت في تأييد المشروع لإرضاء للحكومة الإنجليزية ، وكادت إنجلترا تنجح في مساعده لإحباط المشروع وديرت مع الباب العالي خلع سعيد باشا ، وجاء الأسطول الإنجليزي إلى ثغر الإسكندرية في يونيو سنة ١٨٥٩^(١١) ، ولكن التدبير لم يتم ، وتردد سعيد في الأمر ، وعهد إلى شريف باشا وزير الخارجية وقتئذ أن يرسل للمسيو دلميس كتاباً يطلب إليه فيه وقف العمل^(١٢) ، على أن الحرب بين فرنسا والنمسا ما لبثت أن وضعت أوزارها ، وعقدت بين الدولتين للجنة للعروة بمصالحه (ليبلا فرنسا) Villa Franca ، فغدت كلمة فرنسا في ميدان السياسة العامة ، وعادت إلى مناصرة للمشروع وتأييده ، غير أن الحكومة الإنجليزية ما فتئت تسعى لدى حكومة الأستانة حتى جعلتها تصدر أمراً إلى سعيد باشا بوقف أعمال الحفر في برزخ السويس ، ولوقدت مندوباً عنها يدهي مختار بك إلى مصر يحمل هذا الأمر إلى سعيد

بعد تأجيلون الثالث يبدل فوده لدى تركيا لحملها على إبطال هذا الأمر ، وهكذا كان للسياسة الفرنسية اليد الطولى في نجاح المشروع ، واطمأن سعيد باشا إلى دعايته^(١٣) ، وعاد إلى معاودة للمشروع بكل قواه ، وبلغ به تمایه في تعصيده أن سخر الفلاحين ليعملوا في حفر

(١٢) ورد ذكر الأسطول الإنجليزي وحضوره إلى الثغور المصرية في كتاب «مرسلات ودييات» روت عن الماء ، ج ٣

ص ١٢١

(١٣) «مرسلات ودييات» روت عن القناة ج ٣ ص ١٣٣

نفاء : وكان يأمر بتجليم من بلادهم وقراهم ، وبلغ عددهم نحو ٢٥,٠٠٠ عامل ، كانوا يقاسون الشدائد والأهوال في عمل لم تنجح منه مصر بأية فائدة ، بل عاد عليها بالويل والخسران

وقد سار العمل في إبعاد المشروع وحفر القناة الملحة ، وجرت فيها مياه البحر الأبيض حتى عمرة القنصاح ، وذلك في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٢^(١٤) ، وفي هذه المرحلة وصلت القناة في عهد سعيد باشا ، بد أدركته الوفاة بعد ذلك بشهرين في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، تاركاً لإسماعيل إتمام ما بدأ به ، والوصول بالمشروع إلى نهايته

٢ - بدء القروض الأجنبية

بدأ عهد القروض الأجنبية خلال حكم سعيد باشا ، فكانت هذه البداية بدير الكوارث المالية والأحداث السياسية التي أصابت البلاد في عهد إسماعيل وتوفيق . ولا ننسى ما الذي حمل «سعيد» على أن يوجه وجهته نحو الاقتراض ، ولم يكن ذلك من سنة أيه ، كما أن الحكومة لم تكن في حاجة ملحة إلى الاستدانة من البيوت المالية . لأن سنوات سعيد كانت في الجملة سنوات يسر وروخاء ، ولم تقع في خلالها حروب طويلة تستنفد موارد الحكومة المالية

يقولون إن نفقات الجيش زادت عن المقدار لها في الليزانية ، فاضطر سعيد إلى الاقتراض ، ولكن هذا السبب لا يفسح حجة لتسويق عمله ، فإن «سعيد» ذاته كان لا يستقر على وتيرة واحدة في تقوية الجيش وزيادة عدده ، بل كان - لأسباب غير مالية - يصرف أحياناً معظم قواته الحربية ، وقد كان أجدر به أن ينقص من ميراثه جيشه إذا وجد أن حالة الخزانة لا تسمح باستبقاء جيش عرمرم يكلف البلاد ما لا طاقة لها به من النفقات ، ولواقع أن قصر النظر السياسي هو الذي دعاه إلى عديد الاستدانة من الخارج ، فتحج على البلاد باب التدخل الأجنبي

وي دلت يقول مؤلف «تاريخ مصر المثلث» : « إلى سعيد باشا يرجع الفصل الثامن في

(١٤) «مرسلات ودييات» روت عن القناة ج ٣ ص ٦

الثابت بلغت الديون السائرة ٧,٨٦٨,٠٠٠ تقريباً ، وهو مبلغ فادح تنوء به مالية البلاد في ذلك العصر

ولو سمع عهد سعد من لدروس لأحبة ، ولم يمحى امتياز القناة . لكان محتملاً أن تتغير المصدر وتنتقل الناحية في «رعنا القومي»

وفاة سعيد باشا

(١٨ يناير سنة ١٨٦٣)

ذهب سعيد باشا إلى أوروبا ليستشفى من مرض حصل أصابه ، ولم ينجح فيه دواء فرجع إلى الإسكندرية في أواخر سنة ١٨٦٢ ، والدواء قد استعصى علاجه ، فما زال يشتد به ويهد من فواه حتى أدرسته ميتة في صبيحة ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ (٢٧ رجب سنة ١٢٧٩) وله من العمر ٤٧ سنة ، وكانت مدة حكمه ثمانى سنوات وثلاثة أشهر وستة أيام^(٢٧) ، ودفن بالإسكندرية بمسجد النبي دانيال ، ولا يزال قبره هناك .

• • •

عقد أول قرض اقترضته مصر من أوروبا ،^(٢٨)

وقال في معرض المقارنة بينه وبين محمد علي وإبراهيم :

« لقد استطاع محمد علي وابنه الأكبر إبراهيم أن يهبذا بالبلاد ويحاهدا في صين استقلالها ، ذلك الجهاد الذي كمال بالنصر ، دون أن يكون لهما من الموارد المالية سوى مبرايه لا تتجاوز خمسين مليون فرنك »

ذلك ما يقوله أوروي خير ، لا يمكن أن يرمى بالتحامل على ملاده ، فهو يصارحنا في كتابه بأن الاستدانة من أوروبا كانت عملاً نعوأ

عقد سعيد أول قرض ثابت سنة ١٨٦٢ ، ومقداره الاسمي ٢,٢٤٢,٨٠٠ جنيه إنجليزي من بنك فروجليج وجوش ببنك خائنة ٧ في المائة ، أما قيمته الحقيقية فكانت ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه تقريباً ، أي أن مصر خسرت من رأس ماله ٨٠٠,٠٠٠ جنيه وزيادة ، وتعمدت بوفاء هذا الدين على ثلاثين سنة ، قيمة القسط السنوي من رأس مال وفوائد ٢٦٤,٠٠٠ جنيه ، أي أن مجموع الأقساط ٧,٩٢٠,٠٠٠ جنيه ، في حين أن أصل الدين ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، وعدا هذا القرض الثالث فإنه ابتدع طريقة السندات على الشرائة وهي أن يستعين من الرأبى ديوتا سائرة بواسطة سندات يبررها على الخزانة بالقيمة المقررة ، وتلك وسيلة خطيرة على مالية البلاد ، لأنها استدانة لا ضابط لها ولا حساب ، ولا رقابة عليها ، فإذا اندفعت الحكومة في سبيلها تورطت في الديون المعروفة بالديون السائرة ، دون أن تلجأ إلى الخطر الذي يتجسم عن الاستدانة منها

وقد احتلفت الآراء في إحصاء الدين السائر الذي استدانه سعيد باشا ، وكلها متفقة على أنه كان متلاقاً للنفوذ ، لكنزة عقاقير على قصوره . ومعيشته الخاصة ، وطمع الرأبى فيه ، جبل عليه من السخط وعدم التدقيق في حسابه

وإذا أخذنا بإحصاء مؤلف (تاريخ مصر المال) الذي عرف عنه الاعتدال في كتابته كان الدين العام الذي تركه سعيد حين وفاته ١١,١٦٩,٠٠٠ جنيه^(٢٩) ، فإذا استبعدنا عنه الدين

(٢٨) تاريخ مصر المال ص ١

(٢٩) تاريخ مصر المال ص ١٢

(٢٧) من التوفيقات الإلهية للواء المصري محمد مختار باشا ص ٦٤٠ ، وهذا التاريخ (١٨ يناير) يوافق ما ذكره لمسير وليس في وثائق القناة ح ٤ ص ٢٧٠

الفصل الثالث

عصر الحديوي إسماعيل

(١٨٦٣ - ١٨٧٩)

نظرة عامة

إن عصر الحديوي إسماعيل هو في مجموعه صورة لتاريخ مصر القومي والسياسي والاقتصادي في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى مقدمات الثورة العرابية ، وإذا أدركنا أن نصه بكلمة عامة ، فهو كما قلنا في مقدمة الكتاب عصر له أثره النافع كما له أثره الضار في تطور الحركة القومية ، ذلك لما تضمنت فيه من آمال ، وما قام فيه من حضارة وعمران ، وما تحلله به من أخطاء وأرواء أفضت إلى تدخل الدول الأجنبية في شئون مصر ، وتصدع لها بناء الاستقلال المالي ثم السياسي .

هذه الكلمة الوجيزة ، يمكننا أن نخصص عصر إسماعيل ، فهو يمثل من ناحية عهد تقدم وعمران ، وبعد من ناحية أخرى عهد القروض المشثومة والأغلاط الملاحقة التي عصفت باستقلال البلاد

وإذا كانت مصر تنشر إلى اليوم نتائج النهضة التي قامت في ذلك العصر ، وتلمس آثارها بيبديها ، فإنها أيضاً تعاني إلى اليوم نتائج الأرواء والأحداث التي وقعت فيه ، وتدفع ثمنها علياً ، من مالها ، وحقوقها ، وحريتها . واستقلالها

وبعد هذا العصر أقرب العصور صلة بالعصر الحاضر ، لأن معظم أعيادنا ونظمنا التي حببنا مصر على عهده لا تزال قائمة إلى اليوم (١٩٣٧) فالتشريع المخطط ، وسجل الأحكام في مراحق البلاد ، والديون التي كتبت البلاد حكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبي في شئون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع إلى عصر إسماعيل

نشأة إسماعيل

هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ، وهو ثاني أجيال إبراهيم باشا ، من والده غير والدني
 حمزة الأميرين أحمد رفعت ومصطفى داهل
 ولد في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ ، في قصر المسرحية بالقاهرة (بالحيالة) ، وعنى أبوه
 به ، فحلم بمبادئ العلوم ، واللغات العربية والتركية والفارسية ، وقليلاً من الحسابات
 والطبيعات .. وأرسله أبوه إلى فيينا عاصمة النمسا ، وهو بعد في الرابعة عشر من عمره ،
 ليأخذ فيها من رمد صديدي أصابه ، ولكل تربيته ، وقضى بها عامين ، ثم انتقل إلى باريس
 ليستظم في ملك البعثة المصرية الخامسة ، فاشتمل على ثلاثتها ، وكان من يسمي الأخير أحمد
 رفعت أخوه . والأميران عبد الحميد وحسين من أعمال محمد علي ، وبال في باريس خطأ من
 العلوم الهندسية والرياضية والطبيعية ، وأتقن اللغة الفرنسية كتابةً وكلاماً ، رجعته باريس
 وما فيها من جلال وروعة ، وغواية وقتها ، وس هنا نشأت ميوله الباريسية ، التي لا رمت طوي
 حياته ، وبعثته بعد أن تولى الحكم يسرى في أن يحضر للقاهرة باريساً ثانية . ولوكلفه ذلك أن
 يمد يده إلى القروض التي تاحت بها البلاد ، وظاهر من مبلغ تعلمه أنه لم يزل من المعارف
 والثقافة في باريس أو في فيينا خطأ كبيراً ، بل اختصر على مبادئ العلوم ، ولم يستفد من
 مكانه بباريس إلا نصيباً قليلاً من العلوم الاجتماعية والحربية ، وأتقن اللغة الفرنسية التي كان
 يتكلمها كأحد أبنائها ، وكان له في ذكائه بعض الموهبة ما يقتضيه من العلوم
 عاد إسماعيل إلى مصر في عهد ولاية أبيه إبراهيم باشا ، ولما مات إبراهيم خلفه في الحكم
 عباس الأول ، وكان يحقد على عمه ويخفوه ، فلما تولى الحكم شعر إسماعيل وخوته بكرهية
 عباس لهم ، ثم مات محمد علي ، واشتد الخصام بين عباس وبقية الأمراء على تقسيم ميراث
 حده ، وأدخل إسماعيل وبعض الأمراء في الأستانة ، وعينه السلطان عبد الحميد عضواً بمجلس
 أحكام الدولة العثمانية . وأنعم عليه بالاشرفية ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد مقتل عباس في أثناء
 حكم سعيد ، ولما عاد من الأستانة أتى من عمه سعيد باشا خطفاً كبيراً ، وعهد إليه برئاسة
 (مجلس الأحكام) الذي كان أكبر هيئة قضائية في البلاد ، وأوفده سنة ١٨٤٥ في مهمة
 سياسية لدى الأميراطور نابليون الثالث تتعلق بسعي سعيد لدى النول في توسع نطاق استقلال



إسماعيل باشا (خليفة مصر)
 من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩

مصر بعد شركتها مع الحماة في حرب القرم ، فأدى إسماعيل هذه المهمة كما مثار به من
 كراهة وكره وورعه سيور ثالث بتأييد مقترحة في مؤتمر الصلح ببرويس ، ولكنه - حتى
 وعده ، وكذلك لابل البابا (بيوتاسع) في رحلته موفداً من قبل سعيد . ذكره -
 لرومانى مؤاده ، ثم عاد إلى مصر .

ولم يكن إسماعيل يشكر أثناء حكم سعيد باشا أن يؤول إليه العرش من بعده ، وكان
 يصحبه عنه أخوه الأكبر الأمير أحمد رفعت ، ولكن حادثاً عجائباً ساقته الأقدار سنة ١٨٥٨
 - مع القائمة في سبيله ليكون ولياً بعده . ذلك أن سعيد باشا أقام بالاسكندرية حفلة
 دعا إليها أمراء البيت العلوي ، فلبوا الدعوة ، ومن بينهم أحمد رفعت ، أما إسماعيل فقد
 اعتذر عن إيجابتها لوعك في صحته ، وفيما كان الأمير عبد الحليم وأحمد رفعت عائدتين
 القاهرة بقطار خاص مع حاشيتهما ، سقطت العربة التي تقلها في النيل عند كفر الزيات ،
 فغرق أحمد رفعت ، وبما عبد الحليم ، فأصبح إسماعيل بعد غرق أخيه ولي عهد الأسرة
 المصرية بحكم نظام الوراثة القديم

وقد مرن إسماعيل على بعض مناصب الدولة ، وهو بعد ولي العهد ، فاستلمه سعيد
 مرتين ، وجعله نائباً عنه (قائمقام) أثناء غيبته عن مصر ، المرة الأولى حينما زار سوريا سنة
 ١٨٥٩ ، والمرة الثانية حينما ذهب إلى الحجاز لزيارة المدينة المنورة في أوائل سنة ١٨٦١ .
 وكان سعيد يبدى لابس أخيه ارتياحه من الطريقة التي أدى بها أعمال النيابة عنه ، ولما عاد
 للمرة الثانية إلى مصر جعله سرداراً للجيش المصري ، وعهد إليه إتمام فتنة بعض القبائل في
 السودان ، فاضطلع بهذه المهمة دون أن ينفك فيها قطرة من الدماء .
 ولما أدركت سعيدة الوفاة خلفه على عرش مصر في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣

سياسة مصر الخارجية في عهد إسماعيل

بدأ بالكلاء عن سياسة مصر الخارجية ، لأنها كانت ذات الأثر العميق في شئون
 الداخلية . ولعل ذلك ناشئ عن أن إسماعيل كان يضع السياسة الخارجية والمصالح المرتبطة بها
 في المكان الأول من الأهمية ، وتلها المسائل الداخلية
 فصحت إذن عن سياسة مصر الخارجية ، وهذه السياسة وجهان : وجه علاقة مصر

بتركيا ، وثاني علاقته بغير الأوروبيين

فما يتعلق بتركيا كانت الحطة التي ترسمها إسماعيل ، هي توسيع نطاق استقلال مصر .
 وكسب أكثر ما يمكن من الحقوق والحرايا من الحكومة العثمانية ، حتى يصل البلاد إلى
 الاستقلال التام

ولاشك أن هذه نزعة محدودة . تمتد من مفاسد إسماعيل ، فإن الوصول بالبلاد إلى
 استقلالها التام هي النية التي ترمي إليها الحركة القومية

أما فيما يخص علاقات مصر بالدول الأوروبية ، فقد كان إسماعيل يصدر عن فكرة
 أخرى ، تناف فكرته في علاقته بتركيا . فليما هو يعمل على تحرير البلاد من بقايا السيادة
 التركية ، إذ هو لا يهادى مصر من التبر الأجنبي المثلث والسياسي ، بل كان يتسبب في تعطيلها
 بسلاسل التدخل الأوروبي ، بحيث لم يوشك عهده أن يقارب نهايته ، حتى تصدع بناء
 الاستقلال المثلث والسياسي الذي كسبه مصر في عصر محمد علي .

ولو أنه بدى في سبيل هذه البلاد حرة من أنظار التدخل الأجنبي جزوا ولو يسيراً لما كان
 يبدله للاعتماد عن تركيا ، لحقق مشروع الاستقلال التام لمصر والسودان ، ولاتمّن اسمه في
 التاريخ بهذا المشروع القومي العظيم ، ولكنه كان لا يحسب حساباً للتدخل الأوروبي ،
 وما يتطلبه عليه من المطامع التي تهدم كيان الاستقلال ، وهذا الخطأ الجسم ، في سياسة
 إسماعيل الخارجية ، ناشئ عن نزعة الأوروبية ، فإن هذه النزعة جعلته يتقرب بأوروبا ،
 والدول الأوروبية ، والمجاليات الأوروبية ، ثقة عمياء ، ويركن إليها ، ويحقد فيها حسن
 النية . ولا يفتش لمطامعها الاستعمارية . فتحت أبواب البلاد على مصراعيها للتدخل الأجنبي ،
 وفتح للأوروبيين أن يتغلغلوا في مرافقها ، ويتولوا المناصب والمراكز الرعية في حكومتها ،
 وبلغت به الثقة في سلامة نيهم حداً جعله يقرض القروض الجسيمة بلا حساب من المزايا
 والبيوت المالية الأجنبية . حتى صار للأجانب في عهده نفوذ مالي وسياسي لم يكن لهم من
 قبل ، وشغل هذه النفوذ إلى حقوق ومزاياهم ادعوها ، وما لبثوا أن نالوها ، بإشياء ضئيلة
 القدر . وعرض برفاهة - به على مالية البلاد ، وتعين وزيرين أجبيين في الوزارة المصرية
 كما سيجيء به

فسياسة إسماعيل الخارجية حيال الدول الأوروبية كانت إذن سياسة خاطئة ، أوقعت مصر
 تحت اليد الأجنبية المثلث والسياسي . كما شعر بنتائجها السيئة إلى اليوم (١٩٣٢)

هذه كلفة إجمالية من سياسة إسماعيل الخارجية ، حيال تركيا والدول الأوروبية عهد هـ
إلى بيان هذه السياسة تفصيلاً فيما بعد .

١ - سياسة إسماعيل حيال تركيا

العلاقات الودية

جعل إسماعيل نصب عينيه تحرير مصر من الهيمنة التركية التي فرضها عليها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وفرمانات سنة ١٨٤١^(١) ، أي أنه أكمل العمل الذي بدأه محمد علي ، ولكن الفرق بينه وبين جده أن محمد علي كسب لمصر حقوق الاستقلال بقوة الجيش المصري ، أما إسماعيل فقد اعتمد على سلاح المال والرشوة بيد رجال الأستانة ، ليحصل على الفرمانات التي وسع بها نطاق الاستقلال .

وليس يخفى أن وسيلة محمد علي صالحة جيدة من تاريخ مصر الحديث ، تقرأ فيها الأجيال المتعاقبة معاصر الجهاد القومي ، أما وسيلة إسماعيل فلا تستثير في النفوس إحساس المحد والمفخر ، هذا فضلاً عن أنها من الأسباب التي دعت إسماعيل إلى الاستئذان من البيوت المالكة الأجنبية ، فكانت من هذه الناحية من العوامل التي أدت إلى تصدع بناء الاستقلال الحقيقي ، وقد بذل إسماعيل مصحبات مالية جسيمة في سبيل الحصول على الإمتيازات التي نالها ، إذ لم تكن حكومة الأستانة تصدر فرماناً إلا في مقابل الأموال الطائلة من الرشا والمخدايا ، يقدمها إسماعيل لرجال الأستانة ، على اختلاف مراتبهم ، ولا يستثنى منهم السلطان ذاته ، وانصوبت العظام ، بلغت هذه الأموال طوال حكمه نحو إثني عشر مليوناً من الجنيات

بدأ إسماعيل حكمه بالتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ورجال حكومته ، فلما تولى الأريكة المصرية ذهب إلى الأستانة ليقدم له فروض الولاء ، واتهمز هذه الزيارة لإحكام روابط الود بينه وبين تركيا ، وتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ودعاه إلى زيارة مصر ، لوعده بغير الدعوة

(١) سم (مصر محمد علي) ص ٣١٠ وما بعدها (الطبعة الأولى)

زيارة السلطان عبد العزيز لمصر

(أبريل سنة ١٨٦٣)

يرجع عبد العزيز بمصر ، فجاء مصر في شهر إبريل سنة ١٨٦٣ م (شوال سنة ١٢٧٩ هـ) ، ونزل بالإسكندرية ، ثم ذهب إلى القاهرة ، ونفى في ضيافة إسماعيل عشرة أيام ، لقي فيها من مظاهر الإكرام والمهابة البالغة ما جعل لإسماعيل منزلة كبيرة عنده . ولا غرو فقد كان عبد العزيز هو السلطان العثماني الوحيد الذي جاء مصر زائراً ، بعد السلطان سليم الذي دخلها فاتحاً ، فكانت هذه الزيارة تكريماً كبيراً لإسماعيل ، وتنظيماً لشأنه .

وانتهت هذه العرصة ، فاستغل المنزلة التي نالها ليكسب من تركيا حقوقاً مزايا جديدة ، واستخدم إلى جانب ذلك المال يدينه بسطاء ، فغدر السلطان وحاشيته بالمخايا والتجسب المخايرة ، حتى ملأها سقية بأعمالها ، ووجد الصدر الأعظم قواد باشا وحده يستين ألفاً من الجنيات رشوة لينتخذ منه عوناً في مساعيه لدى الحكومة التركية ، رعاه عبد العزيز من ريارته مقتبطاً مما لقيه من الإكرام ، ومهدت هذه الزيارة الطريق أمام إسماعيل لينال رغباته .

تغيير نظام توارث العرش وفرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٩

أول ما وجه إليه إسماعيل جهده ، هو العمل على تغيير نظام توارث العرش ، فقد كان النظام القديم الذي فرضه فرمان سنة ١٨٤١ يقضي بأن يؤول عرش مصر إلى أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، كالنظام المتبع في تركيا .

فسعى إسماعيل جهده في أن يؤول العرش إلى أكبر أعماله ، ولنجح في مساعيه ، بفضل المخايرة ، والدأب على الطب ، وبفضل الأموال العظيمة التي بذلها في الأستانة ، وقد بلغت ثلاثة ملايين من الجنيات ، فكان هذا السعي من الأسباب الأولى لدعوى إسماعيل ، وليس ثمة شك في أن هذه التصحوة ثابته لا يورثها لقائده أبي نائب مصر من هذا التصبر ، لأن طريقة توارث العرش ليست مسألة جوهرية تهم البلاد حتى تبدل في سبيلها هذه الملايين ، هذا إلى

أما كلفت مصر فضيحة مالية أخرى ، ذلك أن تركيا اشترطت مقابل هذا الضمير زيادة الجزية السنوية من ٤٠٠ ألف جنيه عثماني ، إلى ٧٥٠ ألف - أي إلى ما يقرب من الضعف ، وهي زيادة مدهشة ، تحملها مصر باستمرار من ذلك الحين إلى الوقت الحاضر ، بلغت بها وخمسة عشر مليون جنيه مصري لغاية سنة ١٩٤١ ، وهي السنة التي زالت فيها السيادة العثمانية عن مصر - واحتلتها بعد ووال هذه السيادة ، لأن الحكومة الحديوية قبلت تحويل الجزية إلى دائي تركيا ، وتعهدت بدفع أقساط ديونهم السنوية حصصاً من الجزية لغاية سنة ١٩٥٥ ، فإذا حسبنا حسارة مصر في زيادة الجزية من سنة ١٨٦٦ مدية سنة ١٩٥٥ ، بلغت بها وخمسة وعشرين مليون جنيه مصري ، هذا وإنها ، وهي عبارة جسيمة لا مبرر ولا مبرر لها . ومن الإسراف في القول ما يزعمه بعض المؤرخين أن إسماعيل قصد سعيه في هذه المسألة مصلحة البلاد ، وأغلب الظن أن الباحث له على هذا التفسير هو ما كان بينه وبين أخيه من بيه مصطفى فاضل وعنه عبد الحليم من الشقاق والشحناء ، ولم يكن لإسماعيل يحس كرهه لها وحفده حليها ، وكان الأميران أيضاً لا يكتفيا من ناحيتيها كراهيتها لإسماعيل ، ومن أجل ذلك سعى في حرمانهما من وراثة العرش وجعلها في ذريته من صلبه .

وقد اغتنم حكام تركيا وذوو التعوذ فيها فرصة هذا التنافس ، ليستروا من أموال مصر ما تصل إليه أيديهم ، فقد بدل الأميران عبد الحليم ومصطفى فاضل أموالاً طائلة في الأستانة ، لإحباط مساعي إسماعيل ، فاستفادت من الناحيتين ، ولكن إسماعيل كان أكثر مالا ، وأحرز حاكماً ، فتجسج في مسعاه ، وهكذا كان الحال الأثر القعاس في نفوس حكام الأستانة .

وساعد إسماعيل في نجاح مسعاه عامل آخر غير المال ، وهو أن عبد العزيز سلطان تركيا وقتئذ كان يميل أيضاً إلى تغيير نظام توارث العرش ، ويسمى أن يزول عرش تركيا من بعده إلى ابنه يوسف هز الدين ، فأيد إسماعيل في مسعاه ، كي يمهّد السبيل لنفسه ، ولكنه لم يستطع أن يقدم على هذا التغيير ، لما فيه من الخروج على التقاليد الموروثة عن آل عثمان .

كانت نتيجة مساعي إسماعيل صدور فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ (١٢ محرم سنة ١٢٨٣) العاصي بانتقال مسند ولاية مصر وملحقاتها وقائمقامي سواكن وموضوع إلى أكبر أولاده .

ومن هذا إلى أكبر أمثاله ، وهم حر

بصر في هذا العمل على إمكان زيادة جيش المصري إلى ثلاثين ألف جندي ، وكان في الواقع يريد على هذا العدد من قبل ، وإقرار حقها في صرب تقود مختلفة العيار عن تقود

سلطنة العثمانية . ومع الرتب المدنية هذه رتبة

واستيع هذا صدور فرمان آخر في ٢ صفر سنة ١٢٨٣ (١٥ يونيو سنة ١٨٦٦) ، بترتيب نظام لوصاية على من يتقدم مسند الولاية إذا كان قاصراً .

وقد أبلغ لباب نبال فرمان السابق إلى الدول العظمى التي التزكت في إبرام معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، مما جعل له صفة المعاهدة التي تربط تركيا دولياً بـ مصر ، بحيث لا تخلك تعديله إلا بموافقة مصر ، وخاصة لأنه صدر مقابل زيادة في الجزية .

قلنا إن هذا التغيير في نظام التوارث لا يعد مكسباً كبيراً لمصر ، حتى يرد من أحله نتائج التصحيحات المالية باهظة ، ولقد برهنت الحوادث على صحة هذا القول ، لأن النتيجة الأولى للنظام الجديد كانت أبولة العرش إلى الحديوي توفيق ، أكبر أنجال إسماعيل ، ومعلوم أن توفيق ناشأ لم تكن ولايته خيراً على البلاد ، وهو الذي اعتلى العرش حيناً طويلاً ، ولم يظهر نحوه من الوفاء ما كان ينتظره الأب من ولده ، ومضى إسماعيل سنوات التي ، واحتمل عصمه وآلامه ، دون أن يلقى من ابنه عطفاً عليه في محنته ، وإذا أضفنا النظر عن هذه الاعتبارات العائلية ، فلا يمكن أن نسمي أنه في عهد توفيق زادت البلاد بالاحتلال الإنجليزي ، وكان عليه جانب كبير من من ثبوت وقوعه ، فلم يقرر نظام التوارث لحديد ، فكان جائزاً أن يحتل إسماعيل على العرش أمير أضع للبلاد وأخلص لها من توفيق باشا .

وقد كان صدور فرمان هذا التغيير سبباً لاتساع هوة الخلاف والتصور بين إسماعيل وأخيه مصطفى فاضل ، الذي كان ولياً لعهده طبقاً لنظام الوراثة القديم ، واستمر العداء بينهما طويلاً لحياة ، وكذلك اشتدت الكراهية بينه وبين عمه الأمير عبد الحليم بن محمد علي ، فإنه كان ينطلع إلى الأريكة المصرية ، فبجأة هذا فرمان قاصياً على أمه .

وأدت هذه الحالة إلى اشتداد الدساس بين العريقين ، مما شمل إسماعيل وجعله سبباً جهوداً كثيرة وأموالاً طائلة في سبيل إصعاف مركز منافسيه ، وتوحيث هذه الجهود والأموال في سبيل مصلحة بلاد لكان ذلك خيراً : و

وأضحت هذه كراهية ، وما استعما من موبقات والمؤامرات ، إلى رحيل الأميرين المذكورين وسيرهم من مصر ، وإحراقهم الأستانة وأوروبا مقراً لها . ونظم الأمير مصطفى

٢٠ هامش : ١ - والنقص في ترتيب حالات : ح ٦ ص ٧٣

(٣) الروايات : ١ - به سلطنة العثمانية (ليو : ح ٣ ص ٢٥٥) وراموس : ح ٦ ص ٧٣١

وحصل على حكومة السلطان عبد العزيز لتبنيها نظام توارث الأريكة المصرية ، وطمع بما يبدىه إسماعيل في هذا السبيل من الأموال الطائلة ، فأنضم إلى أحرار تركيا النافذين على الحكم لاستبدادى فيها . والذين كانوا يطمحون على قلب نظام الحكم والتخلص من استبداد لسلطان . وعاشهم بتعوده وماله . ومن هنا جاءت تسميته بأبى الأحرار في تركيا . أما عبد الحليم ، فقد نفاه إسماعيل من مصر إثر اكتشاف مكيدة لاغتياله ، قبل أن الأمير درها . فالعهد إسماعيل هذه الرواية دريعة للتخلص منه ، فقرر نفسه

فرمان ٨ يوبه سنة ١٨٦٧ والحصول على لقب خديو

واستمرت العلاقات الودية بين مصر وتركيا ، وظل إسماعيل يذل المال بسخاء عن ضفاف البوسفور . فحصل في ٨ يوبه سنة ١٨٦٧ (٥ صفر سنة ١٢٨٤) على فرمان جديد ، يحوله وحلفاءه لقب (خديو) ، بعد أن كان (والياً) ، فارتقى صاحب العرش بهذا اللقب السامى . من مرته تقرب من مراتب الملوك والسلاطين ، وأقر هذا فرمان حق الحكومة المصرية واستقلالها في إدارة شئونها الداخلية والمالية ، وحققها في عقد المعاهدات الخاصة بالبريد والجمارك ومرور البضائع والركاب في داخلية البلاد ، وتحتون الضبط للعمليات الأجنبية (١)

فتور العلاقات ثم الحلفاء بين مصر وتركيا

على أن علاقة مصر بتركيا ما لبثت أن اعتراها الفتور والحفاء ، ثم الخصام والعداء ، ويرجع السبب الجوهرى في هذا التحول إلى رغبة إسماعيل في الاتصال عن تركيا ، والظهور بمظهر المعامل المستقل .

ذكر محمود باشا فهمى في كتابه (البحر الزلنرج ١ ص ١٩٩) أنه في خلال حملة كريت (التي سبب الكلام عنها) طلب إسماعيل من الباب العالي أن يخوله حق تعيين سمره مصر لدى الدول الأجنبية ، فرأى الباب العالي أن مقصده الاستقلال والاتصال عن تركيا ، فرفض طلبه . وكان من نتائج الرفض أن غضب إسماعيل . وتهدد الحكومة التركية بسحب جوده من

(١) لأمير سلا - ج ١ ص ٧٣٢

حمية كريت ، أو يستحوذ على الجزيرة إذا لم نجيب طلباته . وذكر إسماعيل باشا سرهك في كتابه (حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٤٩) ما يدل على شتداد الحفاء بين إسماعيل وتركيا خلال حملة كريت . مما يؤيد رواية محمود باشا فهمى . وكلاهما معاصر لهذه الحوادث ، قال إنه لا رفق هذه الحلفاء أوعز الخديو إلى شاهين باشا قائد الجيش المصرى في حملة كريت أن يعمل على ترغيب سكان الجزيرة في الانضمام لمصر ، فأخذ هذا يتوعد إلى رهاء لحرية ، ويبتدئهم بالمال والمنايا ، فلما علمت الحكومة التركية بذلك طلبت إلى الخديو عزل شاهين باشا من قيادة الجيش المصرى في كريت ، فاضطر ب استعدائه ، وجعل مكانه قائداً آخر هو الفريق إسماعيل سليم باشا وزير الحرية وقتئذ . وقد تعددت الحوادث والمظاهر التي تدل على سعى إسماعيل للاتصال عن تركيا

فمن ذلك مفاوضاته الدول الأوروبية رأساً في صدد إنشاء النظام القضائى المختلط ، دون وساطة الباب العالي ، واشترائه في معرض باريس العام سنة ١٨٦٧ ، وظهوره فيه بمظهر الملك المستقل ، وإقامته به تسماً خاصاً لمصر جمع فيه صوب الهيبة والعظمة ليكون جديراً بتبثيل مملكة مستقلة ، ثم توصيته العامل الفرنسي على صنع ثلاث جوارح حرية مصفحة ، وعدة آلاف من البنادق الحديثة الطراز ، لتسلح الجيش المصرى ، مما جعل الحكومة التركية تتوجس خيفة من مقاصد إسماعيل ، وتتوقع أن يستعد ويتأهب لإعلان الاستقلال التام .

واستعصمت الألباء أن تركيا عازمة على إرسال جيوشها إلى مصر بعد إخماد ثورة كريت . وخشى إسماعيل أن تنعذ تركيا يوماً وعيدها ، فاستعد للدفاع والحرب ، وأتت حصوناً جديدة بين الإسكندرية وبر سعيد ، ورم الحصون القديمة ، وابتاع من معمل اوستريخ بالجنزرا حرم مائتى مدفع من المدافع الصغرى ، سلح بها تلك القلاع ، ويلاحظ أن كثيراً من هذه المدافع باقية إلى اليوم في حصون الإسكندرية وأبو قير ودمياط ورأس البر . وقد علاها الصدا من الإهمال وتوالي السنين ، وعلى أكثرها تاريخ سنة ١٨٦٩ . أى السنة التي اشتد فيها الحلفاء بين مصر وتركيا

واردادت العلاقات فتوراً بين البلدين لدعوة إسماعيل ملوك أوروبا ورؤساء حكوماتها إلى حضور حفلات افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، دون وساطة تركيا . فاعبر السطح . من هذه الدعوة إضعافاً لواجب الولاء نحوه ، واحتج لدى الدول على مملك الخديو . فلم يكرث

إسماعيل لهذا الاحتجاج . واستمر ماصياً في دعوته . وقد حملت قنصلته وحصره
ملك أوروبا وأمرأها

وكان معترفاً بإعلان إستقلال مصر التام في تلك الحفلات ، ولكن الحكومات الأوروبية لم
تريد في غرضه ، وبصحة أن يمثل عن حزمه ، وانتهت حفلات القناة والحفلات مستحكمة
عن إسماعيل والباب العالي

فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وما فيه من القيود

كان من نتائج هذا الخفاء صدور فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ (٢٤ شعبان سنة
١٢٨٦) ، حملته رسول من الباب العالي إلى مصر عقب اقتصاص حفلات القناة ، فجاء
صدمة لآمال إسماعيل ، إذ يتبين بأمل لمناسبة تلك الحفلات أن يصل إلى الاستقلال التام ،
كانت النتيجة صدور فرمان يتنقص من سلطته .

تقيد السلطان بهذا الفرمان حقوق الخديو ، فنص فيه على أنه لا يجوز له أن يقترض قروضا
جديدة دون أن يبين وجه الحاجة إليها ، ويحصل على إذن من السلطان بمقتضاها^(١) ، وكان
السبب الظاهر لهذا التشديد غيرة الباب العالي على مصالح مصر ، واستياءه من تورط إسماعيل
في الديون الباهظة التي استأجرها .

وفي الحق أن إسماعيل كان في حاجة إلى من يعمل بده عن الإشراف في الاستدانة ، ويقبده
في تصرفاته المالية ، وحيدا لو أن هذا التقيد جاء من ناحية الأمة ، أو بعبارة أخرى من ناحية
مجلس شورى النواب . إندي كان يعتقد كل عام . على أننا لا نعتقد أن الباب العالي كان
يعصد إلى مصدحة مصر في تقيد إسماعيل بهذا التقيد ، بل أعجب الظن أنه كان يرمى إلى
استرداد حقوق جديدة لكي يكيد للخديو ويسوء إليه

وقد استأجر الخديو من هذا الفرمان ، ولم يعتقد احتمالا حافلا لتلاوته بالأهبة المتعادة .
بل قرىء في قصر النيل دون جلبة ولا إعلال .

(١) راجع نص الفرمان في القاموس العام للإدارة والفضاء فيليب جلد ٦ ص ٢٣٣

تحسين العلاقات

فرمان سبتمبر سنة ١٨٧٢

على أن إسماعيل أخذ يسعى في تحسين علاقته بتركيا ، لما رأى أنه في حاجة إلى عضده .
بعد أن حدثته الدول الأوروبية ، واشتدت وروطته المالية ، فقصده إلى الأستانة في صيف سنة
١٨٧٢ بصحبه إسماعيل صديق باشا وزير المالية ، ووزير باشا وزير الخارجية ، ليسعى في
إعادة إنشاء بل مجاريا . وبدلوا هناك ما بدلوا من مظاهر الولاء ، ومن المال والرشا واعلنايا .
حتى عادت علاقات الرد بين الخديو والحكومة التركية

قال في سنة واحدة فرمناً في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢ (٧ رجب سنة ١٢٨٩) نسب
الامتيازات السابقة مسحة بإعها . وينسخ القيود الواردة في فرمان سنة ١٨٦٩ ، وخطاً شريعياً في
٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ (٢٢ رجب سنة ١٢٨٩) يؤكد فيه مرياً فرمان ١٠ سبتمبر ، ويجويه
صرامة حتى الاستدانة من الخارج دون شرط ولا قيد .

وعد اسبح الخديو ابتهاجا عصبياً لورود الفرمان والخط الشريف إلى مصر يحملها كبير كتاب
اميين ، وعقد لتلاوتها احتفالاً ضخماً في ديوان الخوري بالقلعة وقرناً بحضور المدعوين ،
وأطلقت للدافع إيداناً بهذا النصر الميجي ، ونشر نصها في الجريدة الرسمية^(٢) .

وكان من نتائج صدور الفرمان والخط الشريف المذكورين عقد قرص سنة ١٨٧٣ ذلك
القرص المشعوم الذي كان علامة كبرى على البلاد كما سنبينه فيما يلي :

الفرمان الجامع

(٨ يوبه سنة ١٨٧٣)

لم يكتب الخديو إسماعيل بهذا الفرمان ، بل أراد أن يحصل على فرمان جامع للفرمان
نائبها مصر صد تولية محمد على حكم مصر بطريق التوارث إلى ذلك العهد ، فقصده إلى
الأستانة في صيف سنة ١٨٧٣ متدعياً بالأمور يرشونها رجال الحكومة التركية ، وصحبه في

(٢) الوقائع المصرية عدد ٤٨٠ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧٢

سنة ١٩٠٢ مصر ومصر نحو ج لا يرد في سنة ١٩٠٢ مصر مصر سطا
و ذلك سلا

وبد سنة ١٩٠٢ ركب هو مصر من ثلثها - ١٠ - أو وية في حلالها مع حصر بمصايل ،
ذلك الخلاف الذي أدى به حله ك سيبه في موضعه ، فإن مطالب حكومت لأوروة
في حد خلاف كسب مصد حازه لأمره ص لا يسجله مصر ، وهو فيها لأفانت
أمره عن حصر مصر راسبار بدو الأثر ، - - - تحقيق اعطاه لاستمر - - - وادعم
من ذلك د يرد - - - حال في لأصهار - - - بدو الأوروة ، والبرون على يرد - - - ولم
يكسب سب رصم في تحقيق من - - - حصر رسالة لمرابه الدايه حله من
مذهب لحديوية ، وتعين عمله ومن دث حقا - - - ولم يكن هذا العمل لصالح مصر ،
ولا لصالح ترك نصا ، بل كان تمكيد للسود لأحق في مصر ، ولكن لمخط البيسة التركية
وسوء بينها نحو مصر حصرها سحب لمطالب الدول - - - وبذلك أول مرة حله فيها ول الأمر في
مصر من عهد الأسرة لعوية رغة الحكومات الأوروية ، وبملاء لحكومة التركية ، وفي
ذلك أعظم الفيات على حقوق مصر واستقلالها .

٢ - سياسة إسماعيل حيال الدول الأوروية

كانت القاعده العامة لسياسة إسماعيل الخارجية الزكون في الدول الأوروية وحسن النظر
بها ، والعمل على كسب رضاها ، وهذا من عطااته السياسية ، لأنه من المطلوب أن الدول
والحليات الأوروية على اختلاف أجناسها - إغراض في تحقيق أماعها الاستعمارية في بلاد
الشرق لاطبة - ومصر في طلبها .

وتلك لمرى حقيقة يعرف بها الأوروبيون المصرون ، فقد كتب الميوني (كان عمل)
Van Bellen وهو قاض هولندي قول القضاة في نظام المختلة على عهد إسماعيل يقول في

هذا الصدد

١ - - - - - علاقات حكومات لأوروية مصر - - - - - على لا على قاعده حقيق مص لها ومصاح

رعناها . و - - - - - سنة على لأثره وأثره - - - - - تحللها في شعور مصرفت وبارأمره أو
بالرأجب نحو مصر ، وبمظم الأورويين الذين حاوروا إلى هذه البلاد كانوا من لمط الطموت .

وحله جمع من أوكال حكومته ومطاته كقوار باشا وزير الخارجية ، وبمصايل صديق وزير
الدخلية ورياض باشا مستشار مجلس الوزراء (المجلس لمصر من الدخ) وغيرهم ، ومارال
سعى حتى دد الأمران لشرح ٨ بوجه سنة ١٨٧٣ (١٣٣ ربيع الثاني سنة ١٢٩٠) - - - - - وهو
المرجع المصم الذي ثبت لربا بوجه في الرامانات القذرة والحديثة وتخصص هذه بريا
في المقتول الآن

١ - - - - - توافد عرش مصر - - - - - أكم الحال الجديد ، ومن بعده - - - - - أولاد عد الأكبر وهو

حز

٢ - - - - - تشمل املاك - - - - - خدمية لمصرية مصر ولحقاقها (- - - - - عازية بريا عمرها

مع ما صار لحاقه بها من كاتماين سوكي ومصرع ولحقاقها

٣ - - - - - حتى الحكومة المصرية في سن القوانين والنظامات للخدمة على اختلاف أنواعها .

٤ - - - - - حتى عقد الاتفاقات الحركية والمعاهدات التجارية .

٥ - - - - - حتى الأقراص من الخارج من غير استئذان من الحكومة التركية .

٦ - - - - - ردة الجيش في أي عدد يتخيه الحذب

٧ - - - - - حتى بناء النهر الحربية ما هذا الممرات التي يجب لإنشائها استئذان الحكومة

التركية .

ومصورة القول أن هذا فرمان المجمع قد ثبت لمصر حقوقها الكاملة في الاستقلال التام ،

بما عدا الحرية السوية ، وقدرها ٧٥٠ ألف جنيه سنائي ، وعدم عقد المعاهدات السياسية ،

وعنى التمثيل الخارجي ، وعدم صنع للدرعات الحربية .

وقد بشر هذا فرمان في العدد ١٧ من (الواقع لمصرية) الصادر في ١٧ بوله سنة

١٨٧٣

عودة الخطأ

على أن هذه الرامانات لم تصل إلى إحلال التوام بين مصر وتركيا عمل المصدا والمصاح ،
بل عمل الرصد من المصاحم برب تركيا كانت لا تحقن قية نحو مصر ، كما أن إسماعيل كان

(١٧) الواقع - - - - - السلطة السانية نحو اوجيان أمدى ج ٢ ص ١٢٥

الفرنسية والسورب التي فقدت في ١٧٠٠ - ومعاشيرها عبرة بفرنسي ، وعصده به
ورعاده بهم ، ربيته بن عقيدته في معشيتها ، وعنده بهم وعزادهم . هم حلا
لغصبة بدمر ولاقتصاد التي شذروا ٣٠ والتي بعد من غصه لغصلتهم غربية
وهناك عمل آخر ساعد على منه د شعور بفرنسي ، وهو غصه خذيو بجماعيل بالأمر صحر
تأثيره الثالث ، وصداقته له ورعده به ، ومحاكمته إياه في معمر الآلهة والعملة ، وسعده
في كسب ثقلته وتوثق روابطه بدمر .

ويصل لك مبلغ التمرد الفرنسي ، في أنه لما قام الحلاف بين بجماعيل وشركة قناة السويس
في أوائل عهده بالحكم ، ارتضى تدخل الأمبراطور نابليون الثالث لحسم الحلاف ، ورضى أن
تعمله حكما بينه وبين الشركة ، مع أنه لم يظن بالعادة أن إمبراطور الفرنسي لا يمكن أن يكون
حكما عادلا في مثل هذا الحلاف ، وإن حكمه لا يمكن أن يحسم من الخفاء للشركة الفرنسية ،
وقد أصدر نابليون الثالث حكما بإلزام الحكومة المصرية بتعويضات مائة للشركة تبلغ
عدة ملايين من الجنيهات

ويبدو هذا الشعور أيضا في استخدام بجماعيل للخافعة من الفرنسيين في كثير من معاملاته
المالية وقروصه ، وإسناد كثير من مشروعات الممران إلى إخصائين من الفرنسيين
وقد بلغ هذا الشعور أقصى مداه في حملات افتتاح قناة سنة ١٨٦٩ ، فالقادة في ذاتها
عمل فرنسي ، ومناقصه وديان دلبس يتخل كفاءة قرب مالبيه والهندسية ، وكانت لوسبي
إمبراطوره الفرنسيين عمل للدولة الفرنسية في بيان محمده وزر عرها ، وهي التي رُست
حملات الانصاع ، مستعدة ببوله قودريا وأمراسا وأقتصادها في السياسة والعلوم والفنون ،
فكانت هذه الحملات للتحفة إبداءا عما بلغه الشعور الفرنسي في مصر من القوة وصمو للثقة
على أن هذا الشعور أخذ في الإضمحلال عقب الحرب العالمية سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ ،
فأما مصر ، في هذه الحرب زلزل سيطرة فرنسا السياسية - وروا والشرق ، وثل عرش
الإمبراطورية ، وكان من أولى - كما سمعوا نابليون الثالث صديق بجماعيل الذي كان يعتمد
عليه في مهمات الأمور - ومن ثم أخذ الشعور الفرنسي يتضاءل في مصر ، علبا الطريق للشعور
لإختباري

ولم يكن مهمهم إلا الإثر ، عن حساب بلاد ١٨٠٠

هنا ما يقويه قاضي زوزن عادل مثقف - طور الأمور في مصر ، وذلك هي الحقيقة التي
تصادف ٣ في كده - ولكن خليفو بجماعيل لم يعط بل تلك الحقيقة

وهذا يبدو لفرق حجب بين محمد علي وبجماعيل - لمحمد علي كتب عيسى من لندن
الأوروبية ، وسائل البهجة وشهرة والتقدم - ويصغر عجرة عهده أورو - و ١٨٠٠ -
لوقت بعهده بغير مدخل لأوروبيين حكومات وجنابات في شئون بلاد - ولا يعطيل إليهم
ويبدأ تلك نفس في عهده مستمرة من تدخل العود الأوروبي ، سواء من أوجهه سياسة أو من
وجهه تدبيره والاقتصادية - ويكتفيك دليلا على بعد نظره وحكمته أنه لم يقبل إقناع مشروع
قناة السويس ، رغم إحتاج ماليين والسياسيين الأحكام عليه ، وكذلك لم يقبل أن يعهد بل
الاقتصاد من ديون ماله لأحية - كل ذلك لكي يصفون البلاد من خطر التدخل
الأجنبي

لكن بجماعيل ، لزعته الأوروبية ، لم تحس حساما لهذا التدخل ، ولعله كان يتوهم
حسن بة الدول الأوروبية نحوه ونحو مصر ، في رأى الزعم متسلطا عليه حتى أدرك خطاه في
آخر عهده ، إذ رأى الدول والحاليات الأوروبية ، التي طلائلا تودد إليها ، وممكن لها من مرفق
البلاد ، تضطره إلى بيع أملاكه وأملاك عائلته وهذه لثوبه ، ورأى الشعور الأوروبي يتسل
سلطه ، فحاول عشا أن يعاونه لوضع له حد ، ولكن هذا الشعور كان قد طغى واستفحل ،
فلم يستطع له دفعا ، وانتهى الأمر بأن اقتلعه بزيادة الدول الأوروبية عن الأريكة لمصرية
والآن يكلم عن سياسة بجماعيل عو الدولتين اللتين تناقضا على العود وسلطة في مصر ،
وهي فرنسا وألمانيا

فرنسا

كتاب السورب لأول من حكم بجماعيل هي الفترة التي أخذ بها شعور أحيى لتعلم
في البلاد - مائلا وتشدد - في عقب حد شعور في أواخر عهده ب مسفرة مالیه وسدسه
سبعة و ١٨٠٠

وكان لفرنسا مادي لأمر شعور أدنى كبير على بجماعيل ، وعده يرجع أولا ، إلى ثريته

(٥) مصر ولوروا غنقى صلتا فان على ج ١٨٦٩ .

ول سنة ١٨٧٠ عهد الخديو إلى شركة إنجليزية تدهي شركة جرجند إنعاد مشروع توسيع ميناء الإسكندرية والبقاء بأعمال الإصلاح فيه مقابل عدة ملايين من الجنيهات واستمرت إنجلترا فرصة ريتشارد إسماعيل المال لكى تزيد في ووطته . ونجحت هذه البية واصحة في شرائها أنهم مصرى قناة السويس سنة ١٨٧٥ ، فإن هذه الصفقة كانت أول صرية صويتها إنجلترا إلى صرح الاستقلال المصرى
 وفى سنة ١٨٧٧ أوعزت إلى الخديو أن يعين غردون باشا حاكمًا عامًا (حاكمًا عامًا) للسودان ، وهو منصب من أكبر مناصب الدولة وأعظمها خطرًا ، وذلك أول مرة في تاريخ مصر أسند فيها هذا المنصب السامى إلى أجنبى .
 فهذه الحوادث لم تقع عبثًا ، بل هي مظاهر لامتداد النفوذ الإنجليزي في بلاد الخديو منذ سنة ١٨٧٠ .

وقد توثقت العلاقات الودية في هذه الحقبة من الزمن بين الخديو وإنجلترا ، وتعددت مظاهرها ، فعقدت إنجلترا ومصر في ١٨ مايو سنة ١٨٧٣ معاهدة لتسهيل تبادل البريد وعقدتا في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة للتعاون على إبطال الرقيق .
 ويظهر لك مبلغ حرص إسماعيل على كسب رضا إنجلترا ، ونحو عافاتها ، أنه لما جرد سنة ١٨٧٥ حملة إلى شواطئ الصومال الواقعة على المحيط الهندي بسط نفوذ مصر في شرق أفريقيا والوصول من هذه الجهة إلى أملاكها في خط الاستواء ، استأمت إنجلترا من هذه الحملة ، وأرسلت إلى إسماعيل تنمى على إتخاذها ، فإذ الخديو إلى الاستجابة لاحتجاجها ، واسترجع الحملة إلى مصر استبداء لعلاقات الود بينها .
 وفى ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ عقد ويناها معاهدة اعترفت فيها إنجلترا سلطنة مصر في بلاد الصومال الشمالية . فكانت هذه المعاهدة مظهرًا من مظاهر العلاقات الودية بين مصر وإنجلترا

على أن هذا الود لم يمنع إنجلترا من أن تصمم الشر لمصر ، وتعمل على إخضاعها للرقابة الأجنبية . ولما اشتد الخلاف بين الخديو والبرانيين سمعت سعيها في خضوعها ونجحت في صيغتها سنة ١٨٧٩ . فكان هذا حتم . بسببه . له . الذى اتبعه إسماعيل حياته .

• • •

إنجلترا

لا يخفى أن انحصار ألمانيا في الحرب السبعية كان له تأثير سيء في المسألة المصرية . لأن إضعاف نفوذ فرنسا قد مهد لإنجلترا السيل فتكون صاحبة لصوت الأعلى في هذه المسألة . ومكسب من الانفراد بالتدخل في شؤون مصر ، حتى انتهى إلى الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ . فلا يخفى عليك أنه كان ثمة تناقض بين الدولتين على كسب النفوذ في مصر ، وقد اشتد هذا التناقض من عهد إنشاء قناة السويس ، وكان التمدد بين قوتين يقول دون سيطرة إحداهما على مصير البلاد ، ولكن صوت فرنسا في المسألة المصرية أخذ يصفى من نهاية سنة ١٨٧٠ ، فاعتنقت إنجلترا هذه الفرصة لإتمام لإرادتها في ودى النيل ، اعتبر ذلك فيما وقع حين قامت الحوادث العراقية سنة ١٨٨١ ، واعتزمت إنجلترا احتلال مصر ، فقد كان هذا المشروع مهددًا بالإحفاق لو اشتركت فرنسا معها في العمل . ولكن فرنسا تركت إنجلترا تحتل البلاد وحدها ، وهذا يرجع إلى أسباب عدة لا محل لبحثها الآن ، وستكلم عنها في موضعها ، ولكن لا شك أن من بين هذه الأسباب ضعف فرنسا بعد هزيمتها في الحرب السبعية ، ونفوذها من الخطر الذى يهددها من ناحية ألمانيا .

ولو بقيت فرنسا على قوتها وعزدها قبل الحرب السبعية لكان من ناعها هي وإنجلترا في المسألة المصرية ما يكفل لمصر التخلص من مطامع الدولتين ، ولكن التنازل بينها قد اضطر بعد هزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ، فاحذت كفة إنجلترا ترجيح في شؤون مصر ، وأخذ إسماعيل من ناحيته يتصرف عن فرنسا لم أصابها من الضعف ، ووجهه بيمره لثقله إنجلترا ، ويتوعد إليها على أن إنجلترا منذ افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ بدأت فعلا في العمل على تثبيت مركزها في مصر تمهيدًا لاحتلالها ، وأنطقت في الوقت نفسه تطالع إلى السودان ، وتمهد أصبحها إليه تمهيدًا لفصله عن مصر ، بذلك على ذلك سلسلة من الأعمال ترمى إلى تحقيق تلك المطامع . فلما أبى أوعزت إلى الخديو إسماعيل أن يعين الذى صمويل بيكر الرحالة الإنجليزي الشهير حاكمًا لمديرية خط الاستواء ، ولما انتهت مدته عملت على أن يحلها في هذا المنصب الإنجليزي آخر وهو الكولونيل غردون (باشا) ، وسعت لتحويله سلطة كبرى لارقابة عليه في لندن كم المصرى لعام كما سيجىء به

العضد الرابع

قناة السويس

ر. منة قناة السويس من أول مسائل لسانه إلى وجهت إسماعيل في أول عهد حكمه . وكانت أنظار الأوروبيين متصبغة في ما يؤور إليه مصر القناة بعد وفاة سعيد الذي عرف عنه أنه منذ المشروع وقوامه ، فلما مدت قلق المسير قريتان دلسيس على مشروعه ، وتحت أن يكون نصيب الإنفاق ، ولكن إسماعيل باشا يادري أول اجتماع له بوكلاء الدول وأقصى إليهم بعزمه على تأييد المشروع

قناة السويس يرجع إتمامها إلى تعصب إسماعيل ورعايته ، لأن سعيد باشا لم يكذب بتولى المشروع في خطواته الأولى ، حتى عاجلته الحية ، فلولا اتجاه إرادة إسماعيل إلى تعصب المشروع وإتمامه ، لكان مصيره المحبوط لا عمالة ، ولمجز المسير دلسيس عن المضي فيه ، ولعل إسماعيل لم يكن أراد مله أن يكسب رضا الأوروبيين من أنصار المشروع ، وبنات إطرأهم وثاءهم ، ويستحق في نظرهم لقب « فاتح القناة » ، فقصده المشروع بكل قوته ، واحتصل تبعه إتمامه ، كما احتصل سعيد تبعه الهندية فيه والتصميم على إتمامه .

سعى إسماعيل في تخفيف شروط الامتياز

على أنه من الحق أن نقرر أن إسماعيل باشا قد حالتة فداحة للزبابا التي نالها الشركة في عقد الامتياز ، فهي جهدة في تخفيفها ، وكان من هذه الوجهة أكثر مزايا لمصلحة مصر من همه

وبما يؤثر أنه قال يوماً . « إلى أريد أن تكون القناة لمصر ، لأن تكون مصر للقناة » وقيل أنه فكر يوماً في أن يتولى نفسه تنفيذ المشروع . ولو حقق هذه الفكرة لجعل القناة حقيقة ملكاً لمصر ، ولكنه لم يفعل ، واكتفى بالاعتراض على أوجه أربعة من شروط الامتياز وسعى في إبطالها وهي

١ - تمهد الحكومة بتقديم العمال الذين يحتاج إليهم الشركة لعاية عشرين ألفاً مستمراً^(١) ، وزعم الشركة أن لها مطالبة الحكومة بتعويض في حال تفصيرها أو عجزها عن تقديم هذا العدد .

٢ - ملكية الشركة لثروة المياه العذبة التي كلفت عتقها إنشاءها واستغلال رعى الأتبان للملكة للأفراد على جانبها مقابل أجر تقتضيه منهم حسب تقديرها .

٣ - ملكية الشركة لجميع الأراضي التي نرى أنها في حاجة إليها لحر القناة وإنشاء الرعة المزبة ، وإعمالها على النوام من دفع الأموال الأميرية عليها ، وملكيتها لجميع الأراضي التي تستصلحها وتزرعها ، وإعمالها من دفع أموالها مدة عشر سنوات .

٤ - إضطرار الحكومة إلى ترع ملكية الأتبان للملكة للأفراد إذا احتاجت إليها الشركة لاستغلال استثمارها .

وقد فاض إسماعيل الشركة لإلتقاء هذه الشروط ، واعتمد في مقاضاته على وزيره نوبار باشا ، وقدم حجة وأسايد قوية تأييداً لطلباته ، وكانت حجة في إلغاء الشرط الأول رغبته في إلغاء السخرة ، لأن هذا الشرط هو إقرار فعلي لتسخير العمال والفلاحين في العمل لفتح القناة ، وهذا ما لا يتفق ومبادئ الإنسانية .

وحجته بالنسبة للشرط الثاني والثالث أن قوانين الدولة المأنية الخاصة بالملكية العقارية والتي كانت متبعة في مصر وقتئذ ولا تجيز التنازل للأجانب عن ملكية الأراضي والعقارات

وكانت أولى خطواته في تخفيف الشروط أن أبرم اتفاقاً مع الشركة في ١٨ مارس سنة ١٨٦٣^(٢) يقضى بأن تتولى الحكومة إنشاء الرعة في القسم المست بين النيل ووادي العطميلات ، ووصلها بالجره الذي أنشأته الشركة من رعة الوادي إلى القناة ، وقد صرحت هذه الرعة من منحها إلى مصبها بالرعة الإسماعيلية ، وغرض التقدير من هذا الاتفاق تجنب المنازعات الخاصة بملك الشركة للرعة . وانتزعها ملكية الأفراد من الأتبان التي يقتضيها إشاؤها ، وكان عمله في هذا قيس الحكمة والسداد

ووجه إسماعيل وزيره باشا إلى الأستانة ، ثم إلى فرنسا ، للسعي في تخفيف شروط

(١) بلغ هذا العدد ٢٢ ألفاً في أواخر عهد سعيد (ج ٤ ص ٣٣٤ من وثائق القناة للسيد دليس)

(٢) وثائق القناة للسيد دليس ج ٤ ص ٢٩٠

١ - وأوضح مطالبه في رسالة بعث بها نوبار إلى الشركة^(١) وتلخص بها على

٢ - نقص عدد العمال الذين ساء الحكومة بتقديمهم للشركة إلى ستة آلاف لأن تسخير العدد المحدد (٢٠ ألفاً) يصير سهلاً وبذلاً

٣ - زيادة أجورهم ، وجعلها فريضة لكل عامل في اليوم . لكن يعرض الفلاح ما يجسره من ترك بلد وأرضه وما يبدله من الجهد للعمل في حفر القناة

٤ - إلغاء امتياز ملكية الشركة للأراضي ، وفي مقابل ذلك تأخذ الحكومة المصرية على عهدها إتمام الرعة العذبة ، وأن تعوض الشركة قيمة العقارات التي بدلها في القسم الذي أنشأته بها

وقد عارضت الشركة في هذه المطالب ، بحجة أن إتفاقي عدد العمال من عشرين ألفاً إلى ستة آلاف يعطل إتمام المشروع ، ويطول مدة العمل من ثلاث سنوات إلى عشر ، مما يكبد الشركة خسائر جسيمة ، وأن تمنحها بالأراضي القابلة للاستصلاح ، ولرعة من رأس الوادي إلى القناة ، من المسائل الجوهرية ، التي لا تنازل عنها .

تحكم نابليون الثالث

وقد اشتد الجدل حول مطالب إسماعيل ، وهبت الصحف والندوات السياسية والمالية في فرنسا للدفاع عن شروط العقد ، والمعارضة في إيطاليا ، وارتضى بتقدير أميراً تحكم الإمبراطور نابليون الثالث إمبراطور الفرنسي ، للفصل في النزاع ، فكان هو المحكم والحكم ، لما كان معروفاً عنه من تأييده للشركة ، وحفظه على الميول فرديتان دليس ، ويرجع هذا العطف إلى أن المشروع في ذاته عظيم النفع لفرنسا ، وإلى أن دليس يمت إلى الإمبراطورة أوجيني بصلة قرابة بعيدة

الحكم في النزاع

أصدر نابليون الثالث حكمه في ٦ يولي سنة ١٨٦٤ وهو يقضى بما يأتي

١ - إبطال حق الشركة مطالبة الحكومة بتقديم العمال المصريين ، وإلزام الحكومة في مقابل ذلك بتعويض مالي تقدمه للشركة ومقداره ٣٨,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

(٣) بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٣ - وثائق القناة للسيد دليس ج ٤ ص ٣٥٠

١٠ - الشركة بمحكومة هي كل حق في ترعة المياه العذبة ، والتزام الحكومة بإغنائها مع منعها الشركة عن الانتفاع بها ، وإلزام الحكومة بمقابل هذا التنازل بأن تدفع لشركة تعويض قدره ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

٣ - جعل الأراضي المنوكة للشركة واللازمة للمشروع ٢٤,٠٠٠ هكتاراً تقريباً (١) منها ١٠,٢٦٤ هكتاراً على جانبي القناة البحرية وملحقاتها ، و ٩,٦٠٠ هكتاراً بغيره .

٤ - إعادة الأراضي الأخرى التي انتصح عدم لزومها للمشروع ومساحتها ٩٠,٠٠٠ هكتار ، مقابل تعويض تدفعه الحكومة وقدره ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٢) .

فلسفة التعويضات

فكان مجموع ما أُلزمت به الحكومة من التعويضات للشركة طبقاً لحكم الإمبراطور نابليون الثالث ٨٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٣,٣٩٠,٠٠٠ جنيه) ، وبيئتها كما يأتي بالجنبيات :

جنيه	
١,٥٢٠,٠٠٠	مقابل إعطاء الحكومة من تقديم العمال المصريين لخدمة القناة
٩٤٠,٠٠٠	مقابل تنازل الشركة عن حق إنشاء ترعة العذبة
١,٢٠٠,٠٠٠	مقابل تنازل الشركة عن دعواها في ملكية الأراضي
٣,٣٩٠,٠٠٠	مجموع التعويضات

وإذا علمت أن رأس مال الشركة هو ثمانية ملايين جنيه ، أمكن أن نقدر مداهم التعويضات التي حكم على مصر بأدائها ، وأنها تبلغ على وجه التقريب نصف رأس مال شركة

ويمتد هذا الحكم من الأحكام المطارة في التاريخ ، لأنه يبي على أنساب لا يسميها عدل ولا منطق ، فقد أُلزم الإمبراطور نابليون الثالث الحكومة المصرية بتعويض عن مداهم

الأول : عن مداهم . فقدم العمال مصريين . وفي هذه التعويض على أنها مداهم مداهم

١ : حكمه من مداهم .

٢ : حكمه من مداهم .

بتقديم هؤلاء العمال لشركة ، وأن إغنائها بهذا الالتزام سيقتصر الشركة إلى جلب مال من أوروبا ، فتدفع لهم فروقاً في الأجرة ، وإلى استحضار آلات تنقى من الأبدى العاملة ، وتكلفتها حقاً طائلة ، وأن الحكومة المصرية مسئولة عن هذه الفروق والتعويضات ، وقد قدرها بهذا المبلغ الضخم (١,٥٢٠,٠٠٠ جنيه)

ولا مراد في أن هذا السبب ظاهر فيه التسف والمهوى ، لأنه من التأمل في شروط الامتياز يتبين أنها لا تتضمن : التزاماً من الحكومة بتقديم أي عدد من العمال ، بل كل ما ورد في العقدان أربعة أشخاص العمال يكونون من المصريين (مادة ٢) ، وأن الحكومة تعهدت بذلك مساهمتها للشركة (مادة ٢٢) ، وليس في العقد : التزام ، بالمعنى القانوني يؤدي إلى الحكم بتعويضات فيها إذا لم تسخر الحكومة الممدد الذي ينبغي الشركة من العمال ، بل كان على الشركة أن ترغب العمال في العمل بالأجور التي تعرضها عليهم ، أما جعل العمل إجبارياً بواسطة سلطة الحكومة ، فأمر لم يلتزم به الحكومة أصلاً في عقد الامتياز .

الثاني : تنازل الشركة للحكومة عن إتمام ترعة المياه العذبة ، وعن الجزء الذي أنشأته فيها ، وقد رتب الحكم على هذا التنازل إلزام الحكومة بتعويض الشركة مقابل النفقات التي بذلتها في الجزء الذي أنشأته وحرمانها من الأرباح التي كانت تتلقاها من استغلال التركة بعد تمامها ، وقدر هذا التعويض بمبلغ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٦٤٠,٠٠٠ جنيه) ، وكانت العدالة تقضي بالالتزام الحكومة إلا بما أنفقته الشركة فعلاً على الجزء الذي أنشأته ، ما دامت قد تنازلت عنه للحكومة ، وهذا ما كان إسماعيل باشا مستعداً لأدائه ، ومقداره باعتزاف الشركة ٧,٥٠٠,٠٠٠ فرنك (٣٠٠,٠٠٠ جنيه) ولكن التمييز والمهوى جعلوا نابليون الثالث يكتل المال جزاءً لشركة

الثالث : تنازل الشركة عن ملكية الأراضي التي تبين من الحكم عدم لزومها لإنفاذ المشروع . وقد قدرت في الحكم بـ ٦٠,٠٠٠ هكتار ، وهذا أيضاً ظهر العرض والتعويض للشركة . لأن هذه الأراضي هي جهات صحراوية جرداء ، لم تكن الشركة قد استصلحتها بعد ، وانتصح أن يعاد المشروع لا يقتضيها ، وبالرغم من ذلك قدر نابليون الثالث ثمنها على اعتبار ما سيؤول إليه أمرها في المستقبل ؟ فجعل لكل هكتار (قدرتين تقريباً) خمسمائة فرنك (٢٠ جنياً) ، وحكم على مصر بأن تدفع للشركة في هذا الباب وحده ثمانين مليون فرنك (١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه) ، وهكذا قضت عدالة نابليون الثالث أن تدفع مصر مداهم

بأنه ليقاء ملكها في حوزتها ، وهذا من أقرب ما يقع في معرض الظلم والحرمان والحلابة . أن مصر خرجت من هذا التحكيم بصفة المضمونة . وصحت الشركة حكمه لإلزام مصر فوراً بمبداً كماله إتمام المشروع على حساب مصر ، فلا عرواً أن يسمه المسيو فرديناند . — بأنه : السند الأساسي للشركة ووثيقة الكفالة والإطمئنان لها ،^(٦٦) وكذلك كانت مراحل المشروع منذ البدء فيه إلى ما بعد إتمامه شؤماً ووبالاً على البلاد .

وعنى من البيان أن الحكمة كانت تقضى بالأب يورط الخديو إسماعيل في مثل هذا التحكيم ، الذي جر على مصر هذه الخسائر الخسيسة ، ولو أنه استمسك بشروطه ولم يقبل تحكيمياً لما استطاعت الشركة أن تخطو خطوة في العمل ، إذ كان كل شيء معلقاً على الأيدي الطامعة المصرية ، ولولا تلك الأيدي النشيطة القوية ، لوقف المشروع وقضى عليه بالحبوط ، دون أن تحرك مصر ساكناً ، ولكن شاء جدد مصر العائر أن يركن إسماعيل إلى العدالة الأوروبية ، فوقع على يدها ما رأيت من الظلم والاعتصاف .

اتفاق ٣٠ يناير سنة ١٨٦٦

وعقد إسماعيل والشركة إتفاقاً في ٣٠ يناير سنة ١٨٦٦ لتسوية النزاع بينها مع مراعاة حكم نابليون الثالث ، وهذا الاتفاق يقضى بما يأتي .

- ١ - تحديد مواعيد الأقساط المقدرة لأداء قيمة التويضات المحكوم بها للشركة
- ٢ - استعمال الأراضي المخصصة للشركة بصفة ملحقات للقناة المدة .
- ٣ - التنازل للحكومة عن ترعة المياه العذبة مع الأراضي والمباني والأعمال الفنية التابعة لها ، على أن تدفع لها الحكومة ثمن هذه المباني
- ٤ - مبيع أراضي محتشيش الوادي^(٦٧) للحكومة بثمان عشرة ملايين فرنك (٤٠٠ ألف جنيه)

- ٥ - حق الحكومة في احتلال أي جهة في الأراضي المحتوية شراً للقناة وأي موقع حرجي
- ٦ - سداع عن البلاد على شرط ألا يكون ذلك الاحتلال عائقاً للملاحة

(٦٦) ملف جيه

(٦٧) كتاب إسماعيل باشا في تاريخ مصر ، ص ١٧٠٠

٦ - شغل الحكومة ما تراه من تلك الأراضي عمار تنشئها لمصلحتها كالمباني والشركات والمخازن وغيرها ، على شرط أن تراضي كل ما تقضى به ضرورة الانتفاع بالقناة ، وأن تدفع للشركة المبالغ التي تكون قد صرفتها على تلك الأمكنة

تم إبرام في ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ إتفاقاً كاملاً مع الشركة بتعويض الشروط الواردة في عقد لاسار الأصل مع التعديلات بظرفه عيه^(٦٨)

تصديق السلطان - واتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩

وفي ١٩ مارس سنة ١٨٦٦ صدر فرمان السلطان بالتصديق على اتفاق ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦^(٦٩)

وعقد إسماعيل والشركة اتفاقاً آخر في ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩ ، ألتى فيه الشرط الخاص بإعطاء مستودعات الشركة من المخارج من الرسوم الجمركية ، وأعطاهها مقابل ذلك تمويضا قدره عشرون مليون فرنك ، وتنازلت الشركة للحكومة عن بعض المباني والمستشفيات مقابل عشرة ملايين فرنك^(٧٠)

قهاء العمل وافتتاح القناة

(نوفمبر سنة ١٨٦٩)

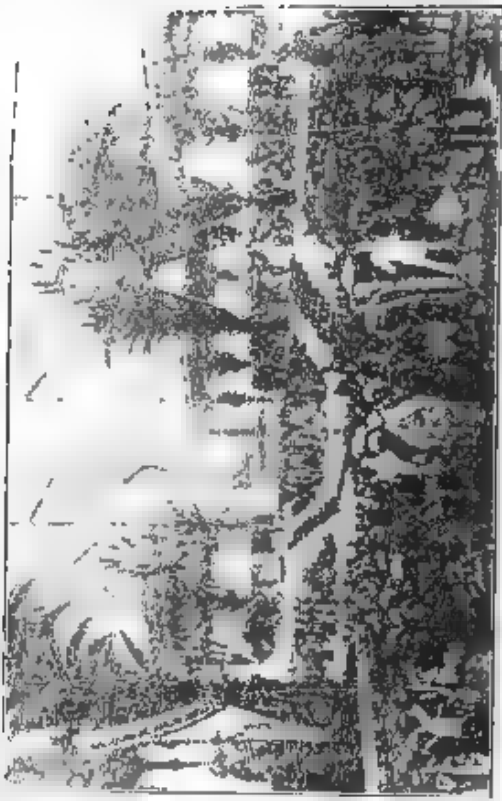
وانتهى العمل في حفر القناة واتصلت مياه البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر في نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، فكان العمل قد استمر عشر سنوات ، وبلغ طول القناة ١٦٤ كيلومتراً ، وأُنشئت على شاطئها مدينة بور سعيد ومدينة الاسماعيلية ، وافتتحت القناة للملاحة يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ .

وأقام إسماعيل لمناسبة افتتاح القناة تلك المهرجانات النخبة التي لم يعرف التاريخ لمصلا يدانها في الإسراف والتبذير

ويكفيك دليلاً على مبلغ ذلك الإسراف أن تعرف نفقات المهرجانات ، فقد بلغت على أصح تقدير ١,٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، ولا توجد حكومة رشيدة تكلف خزائنها هذا المبلغ الضخم

(٦٨) راقى القناة ج ٥ ص ٢٢١ و ٢٦٥

(٦٩) كتاب إيريك ثومبسون للسيد شارل دو روكس ج ١ ص ٥٠١



حفلة افتتاح قناة السويس بباريس

يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وقد أقيمت في هذه الحفلة ثلاث مناسبات ، خصصت للحفلة الكبرى للزوار والأفراد وكبار الدبلوماسيين ، ولثانية لرجال الدين الإقليميين ، ولثالثة لرجال الأكاديمية ، وبناس في الحفلة الكبرى . بحضور إسماعيل ، أوجيى إمبراطورة القرسين . فودسوا جبريف إمبراطور روسيا ومالك البحر الأمير فرديريك وبالمير ولد محمد بروسيا . الأمير هنرى ثيور ملك مولينا الأندلس . فرقت . الأمير هنرى بليوت سفير إنجلترا باللائحة وحفلة هيلوى بليوت . الأمير مورا الأمير محمد توفيق باشا ، الأمير الأمير هو فله . الخزانة لمتحف سفير روسيا في الأمانة ومقام لمتانيف الأمير طوسون باشا ابن محمد سعيد باشا . قريف باشا وقدر المناطية ورئيس المجلس الخصوصى العالي و مجلس الوزراء . . فريلر باشا وقدر الدكتورية . فاضل باشا وقدر الحرية والبحرية . رئيس باشا عازمطار المينور للسوي فرديناند دلبس . الأمير عبد القادر الجزائري الأمير دويست والكونت أنتراسي من وزراء النمسا . البارون بروكش سفير النمسا في الأمانة والبح الح

وبعد ألقى الشيخ إبراهيم فليشا في هذه الاحتفال كلمة تبرك باللغة العربية . ثم تلاه مارسيلودا يومه ، وأعطى بالليون الثالث الذي جاءه نصيبها من فرنسا لخصور الاحصال والحق حفلة تبرك باللغة الفرنسية



دخول اليونسف للجنة للسلوك والأمراء قناة السويس

في مسبعة ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

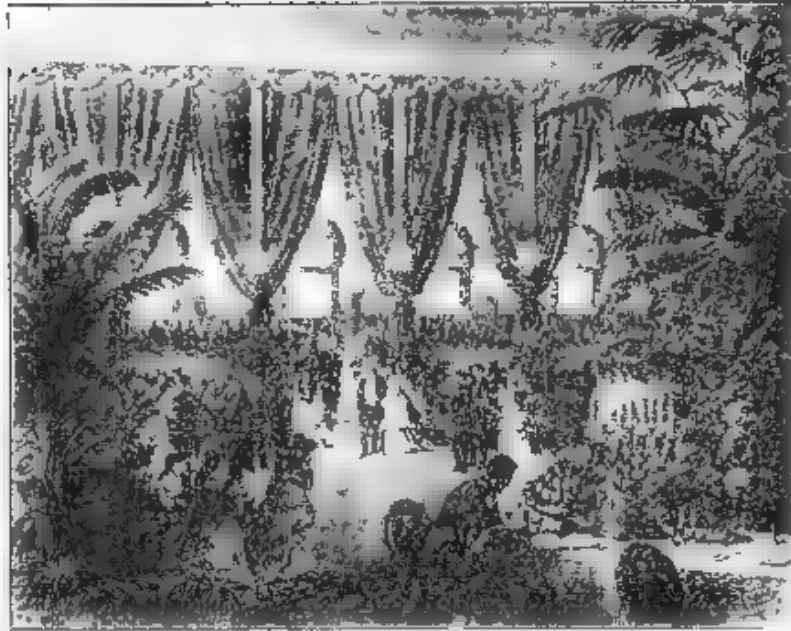
يبدأنا بافتتاح القناة للسلاحة

ونرى في مقبرة اليونسف الشبية (ليجل) على L'Aigle قبل الإمبراطورة أوجيى



احدى الحلقات الفخمة التي أقيمت ابتهاجا بافتتاح قناة السويس

ليلة العشاء التي أقيمت الحفلة الخشبية في قصر بلدية الإسكندرية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، وقد مدحت الموائد في هذه الحفلة لألاف الضيوف ، ولدى لي عصر للاميرة الفرنسية الإمبراطورة أوجيني إمبراطورة الفرنسيين ، وهي معها فرسوا جوريت ، إمبراطور النمسا ، وعن يسارها الأمير فريدريك ويلهم ولي عهد بروسيا . وإلى يمين الإمبراطور فرانسوا جوريت عتلة السير اليوت سفير النمسا ، ثم الجنرال اجناتيف سفير الروسية في النمسا ، وإلى يسار ولي عهد بروسيا عتلة سفير الروسية ، ثم السير هيري اليوت سفير النمسا بالنمسا ، وأمامهم الخديو إسماعيل ، وإلى يمينه أمير هولندا ، للأمير حيد ، وإلى يسار الخديو أمير هولندا ، ثم مقدم دي يوار ، ثم السفير فريدريك دالميس



(البالو) أو حفلة الرقص التي أقامها الخديو إسماعيل في قصره بالإسماعيلية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ابتهاجا بافتتاح قناة السويس

(التبعا هذه الصورة والصورة السابعة من كتاب افتتاح قناة السويس

inauguration de Canal de Suez كسير نيكول Nicole وهذا الكتاب وضعه مصيما

لوصف حلقات القناة والصورة التي في يده بر Raou

جميع في حفلات لا طائل لها في الوقت الذي استهدمت فيه الحكومة والبلاد لأشد صروب
صيق لمصر

عناصر مصر المالية في إنشاء القناة

بمدر مؤلف « تاريخ مصر الحديث » - حشرته مصر في إنشاء القناة ، من ثمن أسهمها في
الشركة . وما بدله لها من التحويلات ، وما دفعت في إنشاء ترعة الإسماعيلية ، واسترداد
أطيان الوادي ، ومعدات حفلات القناة بجميع ١٦٨٠٠٠٠٠ جنيه^(١١) .
وهذا التقدير هو أقرب الإحصاءات للواقع ، وهو قريب من البيان الذي قبلته الحكومة
لمجلس شورى النواب بجلسته ٢٠ رجب سنة ١٢٩٣ هـ عن ديون الحكومة وإيراداتها
ومصروفاتها . فقد جاء فيه أن مجموع ما دفعته في قناة السويس ١٦٠٠٧٥٠١١٩ جنيه
مصرى ، وهذا الإحصاء يقل عن إحصاء المستر إدوين دي ليون Edwin de Leon
فصل الولايات المتحدة العام في مصر على عهد إسماعيل ، فإنه قدره بمبلغ ١٧.٤٢٣.١٧٨
جنيه إنجليزي^(١٢)

ومن هذه المقاربة يتضح أن إحصاء مؤلف تاريخ مصر لكالي هو الرقم للوسط الذي يصح
الاعتماد عليه ، وستجده هنا في أن نضع مفردات هذا الإحصاء طبقاً للبيانات التي أوردناها .
حسبه

قيمة أسهم مصر في القناة	٣.٤٢٦.٠٠٠
قيمة التحويلات المحكوم بها للشركة	٣.٣٦٠.٠٠٠
ثمن أراضي تفتيش الوادي	٠.٤٠٠.٠٠٠
تمريض مدفوع للشركة بمقتضى اتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩	١.٢٠٠.٠٠٠
نفقات التربة العذبة	١.٢٠٠.٠٠٠
نفقات حفلات القناة	١.٤٠٠.٠٠٠
	١٠.٩٨٦.٠٠٠
فوائد وسمرة ومعدات التحكم وما إلى ذلك	٥.٨١٤.٠٠٠
مجموع الحسابات	١٦.٨٠٠.٠٠٠

(١١) تاريخ مصر لكالي من ١٩٣٦ . ولم يذكر المؤلف مفردات هذه الإحصاء
في كتابه (مصر الحديثة) The Khedive Egypt طبع سنة ١٨٧٧ من ١٢٧

ولا نحسن أن في رقم الموائد وما إليها مبالغة ، فإن المستر إدوين دي ليون بقدرها في
إحصاءه بمبلغ ٦,٦٦٣,٠٠٠ جنيه (من ٤١٧ من كتابه)
وإذا علمت أن نفقات إنشاء القناة بأكملها طمعت بحسب إحصاءات الشركة
٤٥١,٦٥٦,٦٦٠ فرنك ، أي نحو ١٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، أدركت أن مصر احتلت وحدها
معظم هذه النفقات ، وإذا بحثنا عما نال مصر من بدل هذه الجبال الحسنة التي كانت من
أسباب ارتياكها المائل ، كان الجواب أنها لم تنل من القناة أية فائدة . بل عادت عليها بالويل
والخسران ، إذ كانت مقدمة الاحتلال الإنجليزي ، وفي ذلك يقول مرحوم محمد بك فريد
« يمكننا القول بأنه لولا تقود مصر وفلاح مصر الذي ما زال يهجر على الاشتغال قهراً بأجرة
رعيه لما أمكن دليس أن يتم هذا المشروع الذي كان سبباً جاحقاً فيه من الاحتلال
الأجنبي ، وما سبباً من أولادنا إن لم تساعدنا المقادير »^(١٣)

بيع أسهم مصر في القناة

كان لمصر من أسهم شركة القناة ١٧٦,٦٠٢^(١٤) سهماً ، وهو مقدار عظيم يكاد يساوي
نصف أسهم الشركة ، لأن مجموع الأسهم ٤٠٠ ألف سهم .
وقد اكتسب فيها سعيد باشا واشتراها بمبلغ ٣,٤٢٦,٠٠٠ جنيه ، ولا ريب أن امتلاك
هذا المقدار من الأسهم كان من شأنه أن يجعل لمصر شيئاً من الهيمنة على الشركة وإدارتها ،
ويجولها حق التدخل في شئونها ، كما أنها مورد أرباح وميرة تعود على الخزانة المصرية بأضع
الآلاف ، وخاصة بعد تقدم أعمال الشركة وارتفاع أسهمها بدرجة فالت كل تقدير
ولكن إسماعيل أبي إلا أن يجرم مصر هذه الثروة الجسيمة . في سنة ١٨٧٥ أخذ
معي من المال ينصب بين يديه ، بعد القروض الباهظة التي استند بها . والأعيان الحسنة التي
تأدت بها الخزانة ، فحكر في بيع أسهم مصر في القناة وعرضه علناً للبيع
وقد بدأ يعرضها على فرنسا ، فترددت في الأمر ، ولكن الحكومة الإنجليزية ما لبثت أن
علمت بالمسألة حتى بادرت بشرائها ، لأنها وجدت في هذه الصفقة فرصة سانحة بوضع يدها
على القناة

(١٣) تاريخ الثورة المصرية من ٣١٧ لمرحوم محمد بك فريد

(١٤) حدودها في الأصل ١٧٧٦٤٢ ، باعتها الحكومة من قبل ١٠٤٠ سهماً بمقدار الجبال ١٧٦٦٠٢

فاشرت هذه الأسهم بضع خمس أربعة ملايين من الجنيهات الإنجليزية ، وبهذه الصفة
صاع بتحويل على مصر لميرة التي بقيت لها من مشروع بناء

خصائص القادة

وعدت قيمة هذه الأسهم (في سنة ١٩٢٩) ٧٢ مليون جنيه ، وبحثت فيها الخزانة ،
لبريطانية (إلى أواخر سنة ١٩٢٩) ٣٨,٦٠٠,٠٠٠ جنيه ، وبمجموع ذلك يف ومائة مليون
جنيه و عشرة ملايين من الجنيهات ، نرى أن خسارة مصر من هذه الناحية بلغت إلى تلك
الدرجة

$$\lim_{n \rightarrow \infty} \frac{1}{n} \sum_{i=1}^n f(x_i) = \int_a^b f(x) dx$$

وثمة حسارة أخرى أصابت مصر إذ تآزلت عن ١٥ في المائة من أرباح القناة التي كانت تؤول لها بمقتضى عقد الانتياز ، تآزلت عن هذه الحصة بسبب قروض إسكندرية مقابل ٢٢ مليون فرنك أي ٨٨٠.٠٠٠ جنيه ، وقد بلغت قيمة هذا الضياع الآن (سنة ١٩٣٢) نحو ٢٠ مليون جنيه ، وهو يقل إيراداً لا يقل عن ٨٦٩.٠٠٠ جنيه في السنة . وهذه الأرقام تدلّك على مبلغ ما أصاب مصر في الصفقتين من الممران المين .

• • •

البحر الأبيض المتوسط



لغة السويس وتواريخها الهامة

٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ فتح سعيد
باش امتياز القناة في السويس وليس
٥ يناير سنة ١٨٥٦ : شروط
الاساس
٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ : ابتداء
العمل في حفر القناة .
٩ يوليو سنة ١٨٦٤ : حكم
الإمبراطور نابليون الثالث .
١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ : افتتاح
القناة لسملاحة
٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ : بيع أسهم
مصر في القناة إلى إنجلترا .
٧ أبريل سنة ١٩١٠ . رفض
الجمعية العمومية المصرية محمد
الاساس
١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ : انتهاء
الامتياز وعودة القناة الى مصر

الفصل الخامس

السودان في عهد إسماعيل

من آثار الخديو إسماعيل التي عتد ذكره في تاريخ مصر القومي أنه وجه عنايته وحمته إلى إتمام فتح السودان ، والوصول إلى حدود مصر الطبيعية . وعلوم ، أن هذه الحدود تشمل ودي النيل وبحافته ، من بحر لأقصى المتوسط شمالاً ، إلى مديح النيل والأقبوس هدي جنوباً ، ومن البحر الأحمر شرقاً إلى صحراء ليبيا (ليرة) غرباً . ولقد أكمل إسماعيل من هذه الناحية لعمل أبيه محمد علي ، توسع بطول السودان ، ووسط الحكم المصري في أملاكه ، ومدّ رواق الحضارة والعمران على ريوحه .

توسيع نطاق السودان

بيننا في كتابه د مصر محمد علي ، (ص ١٩٢ الطبعة الأولى) مدى فخر مصر في السودان على عهد محمد علي ، وذكرنا أن حدود السودان وصلت شرقاً إلى البحر الأحمر ، وضمت إقليم النكا (كسلا) الواقع شرق نهر عطبرة . ووصلت من جهة الحشة إلى القصارف والقلايات ، ودخلت سواكن ومصوع في نطاقها ، وبلغت الحملات والتجاريه جنوباً إلى جزيرة (جونكر) تجاه عندكرو الواقعة على النيل الأبيض .

فلندكر الآن الفتح المصري في الأقطار السودانية على عهد إسماعيل ، وغلاصنا أن مصر فتحت مديرية فاشوكة ، وضمت محافظتي مصوع وسواكن -أيّاً إلى أملاكها ، وفتحت إقليم خط الاستواء وعلكة (أوبورو) وبسطت حيازتها على مملكة (أوغنده) وفتحت إقليم بحر الغزال ، ثم سلطنة دارفور ، واتسعت أملاك مصر بين الحبشة والبحر الأحمر حتى ستهيت ، وبلاد اليوغوس . وامتدت سيطرتها إلى سواحل البحر الأحمر حتى بورغاز باب المندب ، وضمت محافظتي ربيع وبريرة الواقعتين على خليج عدن ، فيما يلي بورغاز باب المندب ، وفتحت سيطرتها الواقعة في الجنوب الشرق من الحبشة ، ودخلت سواحل الصومال .

س. به في أملاك مصر حتى رأس جردفون (جردفوى) على المحيط الهندي ، ثم إلى رأس (حافون) وبدلت كلمة انصحت رقعة الفتوح المصرية ، فوصلت جنوباً إلى بحيرة أبيات وبحيرة مكنوريا . وشرقاً إلى البحر الأحمر وخليج عدن ، وغرباً إلى حدود (وادي) وسندكر فيما بين هذه الفتوح لتعصلا .

فتح فاشودة

(سنة ١٨٦٥)

في سنة ١٨٦٥ اجتاحت الجيوش المصرية فاشودة احتلالاً رسمياً ، وذلك على عهد جعفر صادق باشا حاكم السودان ، وانتمت الحكومة بها نقطة حرية دائمة لمنع تجارة الرقيق فسُلت الطريق أمام النحاسين الذين كانوا يجلبون الأرقاء بطريق النيل من إقليم بحر الغزال خط الاستواء ، وصارت فاشودة عاصمة المديرية المسماة باسمها .

ولعاشودة أهمية كبرى ، نالها من موقعها الجغرافي والحراري ، فلها عند افتتاح النيل الأعلى ، موقعها على ملتقى الطرق المختلفة الواصلة من الخرطوم والحشة إلى جنوبي السودان ، وعلى مقربة من ملتقى روافد النيل كبر سوباوط وبحر الغزال والنيل الأبيض وبحر الزراف ، وهي نقطة الاتصال بين السودان وجهات خط الاستواء . ومن يملكها يضمن النفوذ في شمال السودان وفي الجهات الجنوبية منه إلى البحيرات الاستوائية ، فلا يهمل أن يكون لها مكانة كبيرة من الوجهتين السياسية والاقتصادية

ولا يخفى أن فاشودة هذه هي التي قامت بشأنها تلك الأزمة السياسية المشهورة بين إنجلترا وفرنسا ومصر سنة ١٨٩٨ ، حين احتلتها كتيبة من الحدود الفرنسية بقيادة الكولونيل Marchand . فاحتجبت الحكومة الإنجليزية على هذا الاحتلال ، وارتفعت على أنها من الأراضي المصرية . ثم انتهى النزاع باستباحة الفرنسيين منها وبقائها من أراضي مصر ، وقد اكتسبت شهرة دائمة بسبب هذا النزاع الذي دار حولها .

وقد غير الإنجليز اسمها ، وسوها الآن (كودوك) ، وغيروا اسم مديرية فاشودة ، فجعلوها مديرية (النيل الأعلى) ، وذلك لكي ينجوا من الأدهان لاسم فاشودة وما يثيره من ذكرى

الحلف السياسي الذي قام بشأنها سنة ١٨٩٨ . والذي كانت حجة انجلترا به أن هذا اليد من أملاك مصر فليذكر المصريون على الدوام اسم (فاشودة) . فإنه من الأعلام التاريخية التي تسجل في وجه المعاصرين حق مصر الخالد في السودان

ضم سواكن ومصروع

فلما في الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية (عصر محمد علي) من ١٩٣ إن سواكن ومصروع دخلتا في حدود السودان المصري على عهد محمد علي ، لأنه إدركى ضرورتها للسودان ، وأنها منفعة على البحر الأحمر ، وخاصة لإقليم التاكا (كسلا) ، استأجرهما من السلطان (وكانتا من أملاك السلطنة العثمانية) مقابل إيجار سنوي قدره ٢٥٠٠٠ جنيه ، وبذلك دخلتا في ظل الحكم المصري .

على أن إسماعيل رأى إلحاقها بصفة نهائية إلى أملاك مصر ، فاستصدر في سنة ١٨٦٥ فرماناً من السلطان بإحالة قائمقامي سواكن ومصروع إلى عهده ، وجعلها فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ الذي تكلمنا عنه (ص ٧٩) من ملحقات مصر ، وصارت كل منها محافظة قائمة بذاتها . فمحافظة سواكن تمتد على البحر الأحمر من رأس علة إلى رأس قنار (واسع الخريطة للملحقة بهذا الفصل) ، ومحافظة مصروع امتدت من رأس قنار حيث تنهى محافظة سواكن إلى حلة (رهيلة) عند بوغاز باب المندب

وقد عبرت مصروع وسواكن في ظل الحكم المصري ، ذلك أن مدينة مصروع كانت قائمة على جزيرة بالبحر ، فوصل بينها وبين اليابسة بحسر طوله ١٨٠٠ متر وعرضه عشرة أمتار ، وتم إنشاؤه سنة ١٨٧٢ ، صيرت المدينة واقعة . وبقي فيها ديوان المحافظة ، وآخر للجبرك ، ومساكن للموظفين ، وشيدت بها قلعة منيعة . وأُنشئت ترعة صغيرة لتوصيل مياه العدة إلى سواكن ، وهذه الترعة تشد الماء من خزان أقيم لجمع مياه الأمطار في سطح جبل قريب من المدينة (١٥)

وظلت المحافظتان مكملاً لمصر إلى شوب الثورة المهدية ، فلما اضطرت إنجلترا الحديدي توفيق

إلى الفرار بإحلاء السودان سنة ١٨٨٨ ، وصار في نظر الدول الاستعمارية بياً متسماً ، انشرت إيطاليا هذه الفرصة بتواطئها مع الإنجليز ، واحتلت محافظة مصر سنة ١٨٨٥ ، وما زالت تحتلها إلى اليوم ، (١٩٣٢) وتسمى هي وملاحقتها مستعمرة (الأثرية) أما سواكن فقد جعلت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ الباطلة محافظة تابعة للحكومة السودان

فتح إقليم خط الاستواء والوصول إلى منابع النيل

أسلمنا القول أن الحملات والتجاريات المصرية التي قادها البكاشي سليم بك قبضان في عهد محمد علي بلغت جزيرة جونكر نجاء فذكر (راجع مصر محمد علي ص ١٩٠) ، ولكن هذا الفتح لم يكن إلا وقتياً ، بمعنى أنه لم يقترن بوضع حامية عسكرية دائمة في تلك الجهات تترسلطة الحكومة فيها ، فاعتزم إسماعيل أن يسط نفوذ مصر بصفة دائمة في تلك الأصقاع . وما يليها جوفاً حتى منابع النيل ، ولكنه لم يجد حذو جده في أن يعهد بهذه المهمة القوية إلى ضابط الجيش المصري . بل عهد بها إلى جماعة من الإنجليز ، وهذه مواطن ضعف في سياسته أدى إلى عواقب وخيمة سذكرها فيما يلي :

مهمة السير صمويل بيكر Samuel Baker

فناط بالسير صمويل بيكر الرحالة الإنجليزي المشهور الزحف إلى الجهات الجنوبية لغاية منابع النيل وضمها إلى أملاك مصر .

رحلته في عهد سعيد باشا

بدأت رحلات السير صمويل بيكر في السودان على عهد سعيد باشا ، فقد قصد من تلقاء نفسه إلى تلك الأقطار ، لاكتشاف منابع النيل الأبيض ، وكان الرحالة ابن اسبيك Speke وحرانت Grant قد سبقاه إلى تحقيق هذا الغرض ، عوفين من قبل الجمعية الجغرافية الإنجليزية ، فعادوا بطريق رجببار ، واكتشفا بحيرة (اكروى) ومنبع النيل فيها . وكان ذلك في ٢٨ يولييه سنة ١٨٦٢ ، وسماها باسم الملكة فكتوريا ، طلكة انجلترا في ذلك الحين . وصارت تعرف من ذلك الحين باسم بحيرة (فكتوريا) .

أما السير بيكر فآثر أن يسلك في اكتشافه طريق الخرطوم ، وصعد جوفاً في النيل فبلغ في ٢ فبراير سنة ١٨٦٣ عندكرو التي وصلت إليها حملات البكاشي سليم بك قبضان في عهد محمد علي سنة ١٨٤٦ ، وأخذ يتأهب لمطالبة سيده ، وإذا بالرحالة ابن اسبيك وحرانت قد التقيا به ، وأبلغاه اكتشاف بحيرة فكتوريا ، وأنبا إليه أن هنالك بحيرة أخرى أحيرهما بها الأهليون ، لم يتم اكتشافها بعد ، فطاع سيده حتى اكتشفها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ ، وسماها بحيرة (ألبرت) باسم الأمير ألبرت زوج ملكة إنجلترا

ثم عاد إلى عندكرو ، وصار سباً إلى الخرطوم فبقيها في ٣ مايو سنة ١٨٦٥ . وعاد من هناك إلى بريرة فسواكن ، وأقنع إلى انجلترا ، وقد صحبته امرأته النبية ، في هذه الرحلة الطويلة ، وقاسمته مخاطرها ومتاعها ، وكان لها الفصل الكبير في نجاحه في مهمته التي رغبته إلى مستوى كبار المكتشفين ، ولا غرو فإن اسمه يقرن دائماً باكتشاف بحيرة ألبرت إحدى منابع النيل الكبرى .

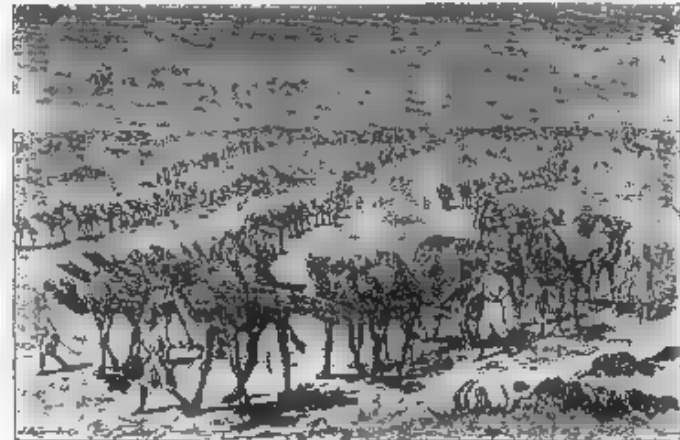
مهمته في عهد إسماعيل

(١٨٧١ - ١٨٧٣)

انقضت خمس سنوات تقريباً على رحلة صمويل بيكر الأولى ، ثم جاء مصر سنة ١٨٦٩ بصاحب الأمير إدوارد وفي عهد انجلترا لحضور حفلات التتاج قذة السويس . فرغب الأمير إلى الحديو إسماعيل أن يعهد إليه بمطاردة الاتجار بالرقيق في السودان نيابة عن الحكومة المصرية ، فلم يتردد إسماعيل في قبول الطلب ، إذ كان يبغي التودد إلى الحكومة الإنجليزية لم يكن الغرض من هذه المهمة خدمة الإنسانية ، بل كانت الحكومة الإنجليزية ترمي إلى تهديد السيل لتحقين أطباعها الاستعمارية في وادي النيل ، وبأن ذلك أن حطراً بعد إنقاذ مشروع قناة السويس احطت تنطبع إلى احتلال مصر ، ورمق ملاكها في السودان ، وتعمل على استطلاع أحواله ، والتدخل في شؤنه ، لكي تحلف مصر ومأ ما فيه ساهبا لسيح صمويل بيكر ثم لكونه مل عرود من بعده ، إلا انهم قد عده لمتعمره

وكان كان الحديو إسماعيل بعد انظر مكان عنه من لدكاه حتى أن يسط

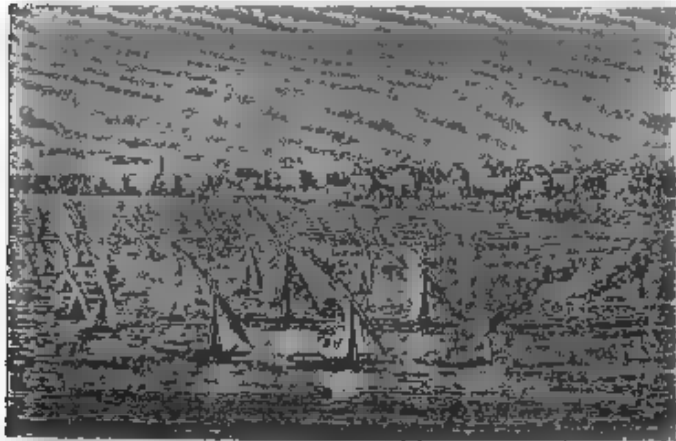
حدد مع في السودان على ندى سكر وعردون وأصرايب ، من دعاه لاسمير الإيجيري
 لأن هؤلاء لا يتكلمون أن يخلصوا لمصر ، بل هم يعملون على خلع السياسة الإيجيرية
 كانت ولا تزال ترمى إلى إقصاء النفوذ المصري عن السودان
 قبل إسماعيل إذن ما عرضه عليه ول عهد إنجلترا . وأصدر مرسوماً إلى السير صمويل بيكر
 عهد إليه فيه بسط نفوذ مصر في الأصقاع الكائنة جنوبي الخرطوم ، وتنظيمها ومشر التجارة
 . ومصادرة لأحد باريق وإنشاء المحطات الخيرية فيها ، وجعله قائداً لحملة جردوها هذا
 بعرض مرمم من ١٧٠٠ مدال ، وأنعم عليه برتبة فريق لصار يعرف بيكر باشا ، وسجله
 حاكماً على مديرية خط الاستواء لمدة أربع سنوات ، سدى من أول أبريل سنة ١٨٦٩ براتب
 قدره ١٠,٠٠٠ جنيه في السنة



على حرد الواد . يبينه على ظهور الإبل من مصر إلى السودان في صحراء النوبة أواخر سنة ١٨٦٩ استعداداً
 لفتح إقليم خط الاستواء

وقد صحبته في هذه الحملة زوجته النبيلة كما صحبته في رحلته الأولى ، ورافقته في
 الرحلات الجيدة التي قطعها . وشهدت الوقائع التي عاشها ، فكانت له مع بعض المصادق
 لأمين . وامتدح بيكر صفاتها في كتابه (الإسماعيلية) الذي ألفه لذكر هذه الحملة ، وأنشاد

ته من اليهود في معاجة المرحى والمرحى ، وما كانت تطفئ في النفوس من روح صر
 سحابة والإقدام ، وما أسدته من حس التنبير لنجاح مهمته ، فكانت مضرب الأمثال في
 . تديبه لزوجه من جنيل الخدمات ، ومشاركها إياه في المهام الجسام
 جهزت الحكومة الخديوية معدات الحملة ، وأقرب المسافر معظم مهابتها من القاهرة إلى
 خرطوم . واقتضى نقلها مناهب جمة ، إذ لم يكن في استطاعة اليانتر اجتياز الشلالات ،
 منقلت أجراؤها معككة على ظهور الإبل في صحراء النوبة ، وكذلك نقلت المهابت الثقيلة هذه
 جسة ، أما بيكر باشا فقد سار محر من السويس إلى سواكن ومنها إلى بربرة على ظهور الإبل
 فصنع لسافة منها في أربعة عشر يوماً ، واستقل من بربرة بدعوة إليه مع ٣ خروصه



الاسمير . على الدن حرد . خرطوم يوم ٨ يوليو سنة ١٨٧٠ فتح إقليم خط الاستواء وكان مؤلفاً من ثلاثين
 سفينة شراعية وبانتر

وصل سكر من خروصه ، في عهد حاكمية بيكر مظهر باشا ، ثم قام منها يوم
 ٨ فبراير سنة ١٨٧٠ في حملة نقلها ثلاثون سفينة ياخرتان قاصداً جهات خط الاستواء ،
 فرسا بالقرب من مثلث مير السوطان بانيل (جنوبي فاشودة) وبني هناك محطة سدي

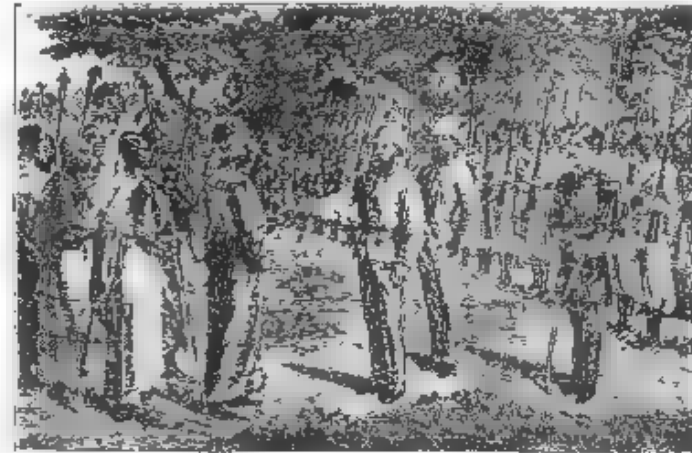
وحصروا في عدة بلاد بأعلى النيل ، منها (الإبراهيمية) على بحر الجبل (عرابيات) وقد سماها بهذا الاسم تذكراً لإبراهيم باشا أبي الحديوي إسماعيل ، وأنشأ حصوناً أخرى في (فاتيكو) ثم في (هيرة) الواقعة على نيل فيكوريا

فتح مملكة أويورو

(سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٣)

وتقدمت الحملة في رحلتها ، فتحت مملكة « أويورو » التابعة لبحيرة ألبرت شرقاً واحتلت عاصمتها « ماسدي » أبريل سنة ١٨٧٢ ، وكان بها ملك يدعى (كاريقه) ، فظهر خضوعه لسلطة الحكومة المصرية وأعلن بيكر باشا باسم الحديوي دخول هذه المنطقة في أملاك مصر (١٤ مايو سنة ١٨٧٢) ، وبقي في ماسدي داراً للحكومة المصرية بالقرب من دار كاريقه ، وشيد حصناً لإقامة الحامية المصرية .

على أن كاريقه ما لبث أن ظهرت خيائته ، فانقض على الحامية المصرية ، وقامت



وعام ١٨٧٢ وبيرو بصرى بيكر باشا وحمود لصرى مصطفى لاستقباله بجده فقامت
عبد القادر بك حلى سنة ١٨٧٢

الحرب بينها ، وانتهى القتال بمزيمته وماره
ثم انسحبت الحامية المصرية من ماسدي إلى شاطئ نيل فيكوريا لتأوى في مكان
مبين
وأعلن بيكر باشا خلع الملك كاريقه ، وولى مكانه ملكاً آخر من لأسره لحاكمية يدعى
(ريونجا) ، كان يزعم كاريقه على عرش أنيورو منذ وفاة الملك السابق فضل حد
التصليب بالإخلاص والابتهاج ، وبقي على ولائه لحديوي مصر ، وجرى حملة على كاريقه عليه
على أمره

ولاء ملك أوهنة لمصر

وقد ولد على بيكر باشا رسل من الملك (اميس) ملك أرغندة المطورة لمملكة أنيورو ،
والواقعة شمال بحيرة فيكوريا وغرباً ، وعرضوا إخلاص ملكهم لحديوي مصر ، فأكرم بيكر
ولادتهم ، وبادل ملكهم الرسائل والمهدايا . وبقي (اميس) موالياً لمصر ، وتقم على كاريقه
خيائته ، وهاجمه من الجيوب جزاء انتقامه ، وفضل ولاء اميس لمصر انتحت الطريق بين
أعلى النيل وزنجبار على شاطئ المحيط الهندي .

وعاد بيكر إلى الإسماعيلية (غندكرو) في أبريل سنة ١٨٧٣ إذ انتهت مدة خدمته ،
صاحرها ، واستطاع في قيادة الجند وإدارة المديرية وموقف بك أحد ضباط الجيش المصري ،
ورجع إلى الخرطوم ، ومنها إلى مصر عن طريق سواكن والبحر الأحمر ، وقابل الحديوي بالقاهرة
(أغسطس سنة ١٨٧٣) فأنتم عليه باليشان الصافي ، وأسم على القانع مقام عبد القادر بك
حلى برتبة الميرلاى ، والملازم محمد أفندي برتبة الصاغ مكافأة لهم على خدماتهم في بسط
سلطة مصر في منطقة خط الاستواء

وقد بلغت نفقات هذه الحملة ٨٠٠ ٠٠٠ جنيه ، تحملتها خزنة مصر في وقت اشتد بها
الصيق المال فكان هذا المبلغ من تصحيبات مصر في سبيل مشر لواء الحصار والتقدم في ربيع
السود

والميرلاى عبد القادر بك هو من أركان حرب بيكر باشا ، وهو ضابط كعبه شجاع ، كان
له فضل كبير في نجاح الحملة ، وقد امتدحه بيكر في مواطن كثيرة . وأنشاد بصماته في كتابه

(الإسماعيلية) ، وأتى على شجاعته وإحلامه^(٢١) ، ونرى رحمه في العجز التي قلناها من هذا الكتاب

وعبد القادر بك هو الذي صار فيما بعد عبد القادر باشا حاكم السودان سنة ١٨٨٢^(٢٢) ، وله المؤلف المشهورة في بلد نعمة عن سلطة مصر في السودان ، كما سيحى بيانه في موضعه

وكان يعاون السير بيكر في مهمته جعفر مظهر باشا حاكم السودان حينذاك ، (لماية سنة ١٨٧١) ، حل أن جعفر باشا رأى بشاغب نظره أن إسعاد هذه المهمة إلى أجسي خطراً على مصالح مصر ، وكتب بذلك تقريراً أرسله إلى احدثو إسماعيل بسببه فيه إلى ذلك الخطر ، وأشار بإسعاد هذه المهمة إلى ضباط أركان الحرب من الجيش المصري ، ولكن إسماعيل لم يلتفت إلى هذا الرأي الحكيم ، ولم يعمل به ، واستمر يحسن الظن برواد الاستعمار

تعيين الكولونيل فردون (بانا) مديراً لخط الاستواء

(١٨٧٤ - ١٨٧٦)

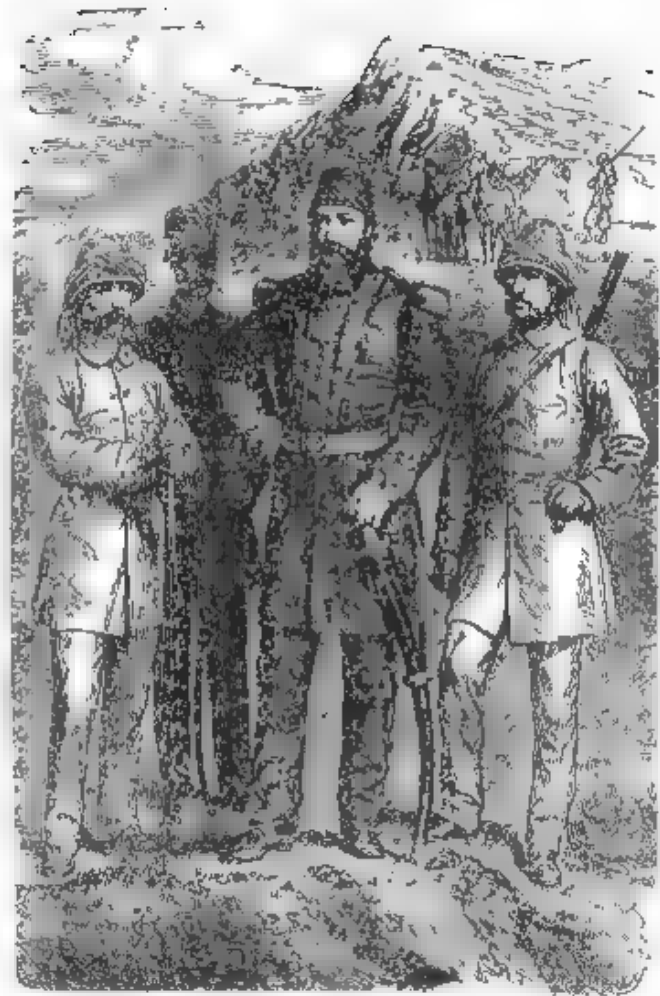
لم يكند يمضي قليل من الزمن على انتهاء خدمة السير صمويل بيكر ، وخطو منصب مدير خط الاستواء ، حتى خطفه الإنجليزي آخر ، وهو الكولونيل فردون الذي صار فيما بعد (فردون باشا)

ومن الغرابة بمكان أن يعاقب على هذا المنصب الخطير الإنجليزيان لما مقام معلوم في نظر الجمهور البريطاني والحكومة الإنجليزية ، ولم يكن ذلك من قبيل المصادفات ، بل إن أصبح السببية الإنجليزية كان لما دخل في هذا التعيين فكما أن الحكومة الإنجليزية هي التي أوعزت إلى احدثو إسماعيل بوساطة ولي عهد إنجلترا أن يسند هذا المنصب إلى السير بيكر ، فإنها هي أيضاً التي سمحت لعمه في إساعده إلى الكولونيل فردون سنة ١٨٧٤

للسياسة الإنجليزية كانت تعد خطها من عهد لتدخل في شئون السودان ، وحينئذ بداهة دى بده مطلع خط الاستواء ، لأنها المنطة التي حملتها المرحلة الأولى لبرنامجه

(٢١) الإسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٦٨ و ٦٩

(٢٢) كركرى المركز الدول لمصر السودان ص ٢٦٦



صمويل بيكر باشا مدير خط الاستواء في عهد إسماعيل وصوله أركان حربه وهم القائمقام عبد القادر حلي بك فالهانس جيجيراث Higgeboith ، م الملازم بيكر

سابع من مصادرات أن يقع اختيارها على الكولونيل غردون بالذات . فإنة الرجل الذي كان قلبه يميل وطبيعته وإحساسه لبلاده ، فلا جرم أن يبدل كل ما لديه من تصحية في سبيل التوسع البريطاني ، وقد دلت خاتمة الخبر على أنه كان أكبر ضحية قدمها مصر لتصبح يدها على السودان بعد شيوب الثورة المهدية .

ويحدث على تدخل السياسة الإنجليزية في تعيينه أنها أقمت الخديوي بأن يجعل له من السلطة أكثر مما كان للسير صمويل بيكر باشا ، فقد كان هذا خاصاً بحكمه عموم السودان ، لكن غردون حين حاكماً لإقليم خط الاستواء ، على أن يكون مستقلاً في عمله ، وقصر الخديوي سلطة حاكم السودان على الجزء الشمالي لغاية فاشودة ، وجعل الأقاليم الاستوائية التي تمتد من حوضي فاشودة^(٢٢) إلى خط الاستواء تحت سلطة غردون ، وفي هذا من إغلاق يده في الجزء الجنوبي من السودان وإصعاف سلطة الحاكم العام المصري ما لا ينبغي من قبل ، كل هذا يسمى السياسة الإنجليزية وتديرها

جاء الكولونيل غردون إلى مصر سنة ١٨٧٤ ، وقابل الخديوي وكلفه الرحلة إلى السودان لتولي منصبه فيها ، وكان حاكم السودان وقتئذ (إسماعيل باشا أيوب) ، فأرسل له الخديوي أوامره في هذا الصدد ، وأمره بتبنيها والحفاوة بغردون عند قدومه ، وإيجابه إلى كل ما يطلبه ، فأظهر للعمل بهذه الأوامر على ما فيها من خفاضة .

وأنتم الخديوي على الكولونيل غردون سنة ١٨٧٥ برتبة العريق ، فصار يعرف بغردون باشا ، وصارت رتبته العسكرية مساوية لرتبة حاكم السودان ، مع أن منصبه الرسمي لم يزد عن كونه (مدير خط الاستواء)

توسيع نطاق الحكم المصري في مديرية خط الاستواء

مضى الكولونيل غردون إلى السودان عن طريق البحر الأحمر وسواكه ، ونا بلغ الخرطوم عند حمله . حينئذ مضى صحنه إلى مقر مصلته ، فحركت خمسة حبات على ظهر

(٢٢) في موضع غردون تسمى . بئر بني فاشودة وسط الاستواء ، ويعتبر حوضي تلك الجهات خط الاستواء .
 (٢٣) في موضع حوض غردون تسمى . بئر بني فاشودة وسط الاستواء ، ويعتبر حوضي تلك الجهات خط الاستواء .

بحر احمر . وصحبه من الخرطوم إبراهيم أفندي هوري . أخذ صايط نجش المصري لدى صدرها بعد اللواء إبراهيم باشا هوري . وشهد وقائع السودان من سنة ٨٧٤ . بد شيوب . مهدي . وشهد معظم وقائع الثورة إلى سقوط الخرطوم ومقتل غردون سنة ١٨٨٥ ، وحضر سرحاع السودان سنة ١٨٩٨ . وله في ذلك كله كتبه المشهورة (السودان بين يدي غردون وكنتشر^(٢٤))

وصلت الحملة إلى فاشودة . بعد مسيرة سبعة أيام في الثلج ، فاستقبلها مديرها بالحفاوة الالاقية ، وشهد غردون وإبراهيم أفندي هوري . وصلت إليه البلاد وقتئذ من العراق والتقدم والحضرة بعناية الحكومة^(٢٥) .

وتابعت الحملة سيرها حتى وصلت إلى محطة سوبايط ، وهي ابكائه على ملتقى مرسى سوبايط بالسيل ، ثم مارست جنوباً حتى بلغت الإسماعيلية (غندكرو) حيث يقم رموف بك ، لدى استخلفه السير صمويل بيكر في الحكم وقبده احد بمديرية خط الاستواء ، فقابل غردون بالحفاوة والتكريم ، وأطلعته على أحوال البلاد وشؤونها ، وقد أبقاه غردون قليلا ، ثم ما لبث أن أقاله من رحله وأمره بالعودة إلى مصر .

وقد رأى غردون أن مناح الإسماعيلية ليس صحياً ، فنقل مركز الحكومة إلى (الوادو) . فصارت من ذلك العهد عاصمة مديرية خط الاستواء .

وبعد أن تولى شؤون الحكومة في تلك الجهات تابع السير جنوباً حتى بلغ بحيرة (ألبرت) ، واستولى على عشرة مراكب من سفن الأهلي ، استعملها لاكتشاف شواطئ البحيرة ، واستقدم من الخرطوم العدد الكافي من اليونتر التبيلية ومن آلات ابترسانة لمصرية بالخرطوم وعملها ، وأثنى بالدقلاي شمالي بحيرة ألبرت (ترسانة) لتنظيم الملاحة في أعالي النيل وفي البحيرة . واستطاع عمال الترسانة أن يصكوا أجزاء بعض اليواغر ، ويركبوا ثانية في البحيرة ، ولما تم تركيب أول ناخرة ، استغلها الكولونيل غردون باشا وحاشيته وإبراهيم هوري (باشا) ، فساروا بها في خليج البحيرة ، فكانت هذه أول مرة وأتت فيها بحيرة ألبرت السعس البحارية ، وقد كان منظر البصرة موضع دهشة الأهلي ، قال إبراهيم هوري (باشا) في هذا الصدد

« كان الأهلي يفتنون على شواطئ البحيرة كلما اقتربا منها صوفاً معجبين مذهشين من رؤية اليواجر . إذ لم يكونوا قد رأوا السفن البحرية من قبل ، وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا

(٢٤) السودان بين يدي غردون وكنتشر ج ١ ص ٥

سجده وحروب في كتفه نقله مع جسامته إلى الحيرة.

وهكذا كان الفتح المصري يحمل معه أسباب الحضارة والعمارة

وقد أنشأ الكولونيل غردون باش عدة نقاط عسكرية حصينة على شاطئ النيل، وحصن النقاط

بني أنشأها بيكر باشا من قبل، لها أنشأ نقطة (سوياط) على ملتقى سوسوياط - بين

و (النصر) على سوسوياط، و (شاميه) و (بور) و (البلاد) و (لابوري) و (مرحاف)

و (الغداي) على النيل الأبيض (عمر اسيل) - و (مكركة) جنوب عمر الفراء

و (مروى) على نيل فيكتوريا، و (مقافو) الواقعة على مصب نيل فيكتوريا في بحيرة ألبرت

(نظر مواقع هذه البلاد على الخريطة الملاحقة بهذا الفصل من ١٢٥)

وقد نفي اخود المصريون في هذه الحملات البعيدة للتأهب لمصبة لبعث المسافات وصعوبة

المواصلات ورداءة الطقس، وكانت الأمطار تهطل عليهم ليل نهار كأنفواة القرب، واستهلكوا

للمخاطر والمذبات الجمة، واحتلوا كل هذا الماء بصبر وثبات وشجاعة تسجل لهم في

أنصع صفحات تاريخنا القومى.

بسط حامية مصر على ملكة أوغنده

(سنة ١٨٧٤)

بسطت مصر حمايتها على ملكة أوغنده سنة ١٨٧٤، حل به الكولونيل شاني لويج بك

Chaille Long bay، وهو ضابط أمريكي، دخل في خدمة الجيش المصري سنة

١٨٧٠، وعين سنة ١٨٧٤ رئيساً لأركان حرب غردون باشا حين ولايته على مديرية خط

الاستواء، وأخلص التية لمصر، وخدمها بتراحة وأمانة أثناء مقامه في السودان، ودافع بعد

ذلك بقلمه ولسانه عن حقوق مصر الخالدة في كتب قيمة، تعد من أهم المراجع في تاريخ

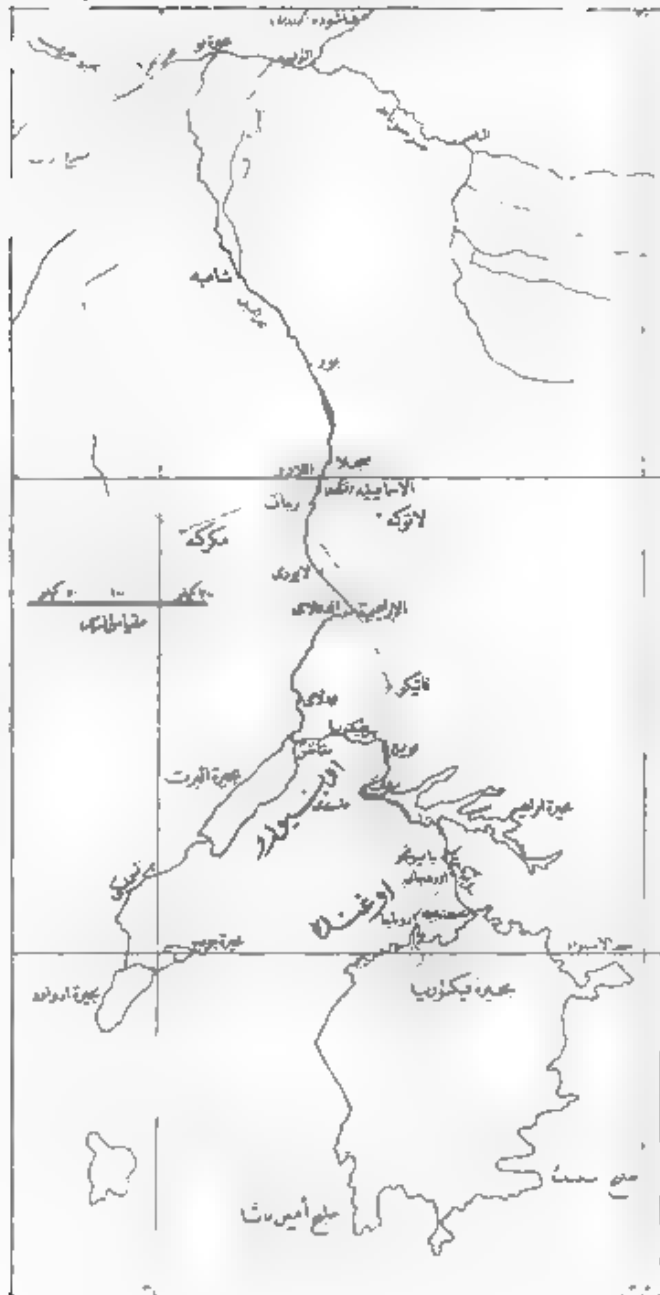
السودان الحديث، منها: كتاب (مصر ومديرياتها المفقودة)، و (الأنبياء الثلاثة غردون

والمهدي وحرابي)، و (أفريقية الوسطى)، هذا ما نشره في المجلات الكبرى دفاعاً عن مصر

واستكثاراً لمطامع الإنجليز في وادي النيل

ذكر شاني لويج بك في كتابه (مصر ومديرياتها المفقودة) أنه هو الذي اقنعه غردون إلى

عاصمة الملك (امبسي) ملك أوغنده، وأنه أدى مهمته، ووصل إلى عاصمة أوغنده.



خريطة ملونة يده عبد الحميد وأظهرت الطريق بين طريق القوت في ملكة أوغنده سنة ١٨٧٤
أرضه حيث عقد مع ملكها في كل بضعين سنة مصر على ملكه

وعقد مع ملكها سنة ١٨٧٤ ، معاهدة مختصها قبل وضع مملكته تحت حوزة مصر ، وقد رسّى بعده إلى الحديدي إسماعيل ، وهذا أبلغ الدول أن مصر ضمت إليها جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت ^(٢٦) ، وقال (ص ٢٥) إن هذه المعاهدة أودعت بحفظات وزارة الخارجية ، ولكنها فقدت بعد ذلك ، وذكر أن أحد ضباط الجيش البريطاني أحرقها (بعد الاحتلال) ضمن وثائق أخرى حية .

وقال في موضع (آخر ص ٢٦) إنه لما وصلت البعثة الإنجليزية إلى أومبي في أبريل سنة ١٨٧٥ وجدت عاشية الملك امتسي ، أرسلت ليناى دى بلون (ابن ليناى باشا) الذى أرسله عردون بعد معاهدة النهاية مندوباً عن الحكومة المصرية إلى بلاط الملك ^(٢٧) وذكر أن خود مصر قد امتد إلى كل الأصقاع التى تحيط ببصرة فيكتوريا ، وخاصة مملكة أومبي ، وإن الملك امتسي كان يفتخر بشعبته لسلطان مصر ^(٢٨)

مذكرة شريف باشا إلى الدول عن امتلاك مصر منطقة البحيرات

وأورد في كتابه (ص ٢٦) المذكرة التى أرسلها شريف باشا (الوزير المشهور) وزير خارجية مصر في ذلك الحين إلى الدول خاصة بضم منطقة البحيرات إلى مصر ، وخلاصتها أن عردون استولى على منطقة (مروى) الواقعة على نهر سومرست ^(٢٩) ، وأن الجيود المصرية أسسوا محطة في (ماندى) عاصمة مملكة (أوبورو) ومحطة أخرى في (أورندجانى) على نهر السومرست ، بالقرب من بحيرة فيكتوريا ، وأخرى على بحيرة فيكتوريا ذاتها بالقرب من شلالات (ويون) ^(٣٠) ، وأخرى في كل من (ماكتفرو) و(الدفلاى) ، على ذلك بسطت

(٢٦) مصر ومدينتها المنقرضة ص ١٢ لكونزول شامى لوج بلد

L'Egypte et ses Provinces Perdues par Charile Long bey

(٢٧) وقد قل في عوده من أومبي إلى القرياق في أغسطس سنة ١٨٧٥

خريطة مدبرية خط الاستواء والنقط المخطوط بمثل الطريق الذى سلكه الكونزول شامى لوج بك في سيره إلى أومبي حيث عقد مع ملكها سنة ١٨٧٤ المعاهدة التى قبل مختصها حياه حيز مملكته

(٢٨) مصر ومدينتها المنقرضة لكونزول شامى لوج بك ص ٢٤

(٢٩) من الاسم الذى أطلقه الرحالة لسيث على النيل بين منبعه من بحيرة فيكتوريا إلى منبعه في بحيرة ألبرت ، ويسمى أيضاً نيل فيكتوريا

(٣٠) حيث يجرع النيل من بحيرة فيكتوريا

مصر مملكتها على جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت ، وسنشر عن هذه المذكورة في مصر ، وثائق التاريخ

ونشرت (دع مصر) بيان لآى عن أومبي ، ورد تلغراف إلى البعثة مسببة من بعده عردون ، في ٢ أغسطس سنة ١٨٧٦ يتضمن أن الملك امتسي طلب من حاكم لأحس إمام في مصر حكومه ، فأرسلت إليه مائة وخمسين عسكرياً ، ورتب ثلاثين عسكرياً في بلدة (أومبي) ومثلها في بلدة (نكشة) ، فكانت تلك الحوادث وسبباً هذه في حوزة حكومه مصر ، وقد وصلت إلى (مكتفرو) في ٢٧ جدي لاية (سنة ١٢٩٢) بعد سفر معه ٢٠٠ من (روملى) ، والبحر هناك ^(٣١) جيد صالح لير السفن فيه بسهولة ، وشهوطة معمورة بكثرة الناس فيه ، وأراضيه صالحة للزراعة .

وبعد ثلاثة أيام توجه إلى (مروى) و(أورندجانى) و(امتسي) عاصمة أومبي ، وبمكتنا الوصول إلى سائر تلك الجهات نهاية الراحة التامة والسهولة ^(٣٢) .

هذا ما ذكره «الوقائع المصرية» ، ومضى الجريدة الرسمية للحكومة ، وفيها تأييد للحقائق التى أوردتها شامى لوج بك ، ومن كل ذلك يتبين انضمام أومبي ومنطقة البحيرات إلى مصر في عهد الحديدي إسماعيل .

موقف عردون

ذكر عردون في رسالته إلى أخيه أن شامى لوج بك ، أرسل إلى الحديدي إسماعيل تقريراً امتلح فيه ولاء امتسي ، فقال رضاه الحديدي وأرسل إلى لوج بك عريضة حميدة هذه للملك ^(٣٣)

وظاهر من حجة عردون في رسالته إلى أخيه أنه لم يكن مرتاحاً إلى إحكام مصر روابطها بأومبي ، وسببها . فقد ذكر ^(٣٤) أن الملك امتسي أقسم بمين أولاده لمصر في مارس سنة ١٨٧٦ ،

١٢٧

٣١ ، وقد حده عدد ٦٧٤ فصار في ٢٤ نيسان سنة ١٢٩٢ مصر به ١٨٨٠

(٣٢) - كذا في عردون في حده ص ١٤٢

٣٣ - كذا في عردون في حده ص ١٤٠

وأنه (أي غردون) كان يعني بقاء ملك أوغنده مستقلاً ، ولكنه هو الذي دعا الخاتبة المصرية التي كان غردون مترماً جعلها في (أورندجان) إلى الاستقرار في عاصمة أوغنده (دوباجا) ^(٣١) ، وقد استقرت بها فعلاً في أغسطس سنة ١٨٧٦ ^(٣٢) .

وعنى عن البيان أن غردون لم يكن يعني من استقلال أوغنده دفناً من مصلحتها . بل كان ما ينبغي أن تكون بعيدة عن التبعية المصرية ، حتى تصبح بعد لقمة سائفة لا يجتر . وقد سبب فعلاً حيايب عنها بعد فصل السودان ، وهكذا يتبين لك أن غردون ، بكر حصن ثنية لمصر مثل شالي لوبج بك ، بل كان يخدم الدياسة الإنجليزية أثناء تقلده منصب الحاكم في مديرية حد لاسواء . وكذلك عند ولايته حاكماً عاماً للسودان سنة ١٨٧٧ كما سحى .

اكتشاف بحيرة (إبراهيم)

(سنة ١٨٧٤)

اكتشف الكولونيل شالي بك لوبج ، سنة ١٨٧٤ ، بحيرة (إبراهيم) إحدى البحيرات التي ينبع منها النيل ، وهي الواقعة شمال بحيرة فيكتوريا ، وقد سماها بحيرة (إبراهيم) باسم إبراهيم باشا أبي الخديو إسماعيل ، وكانت تسمى من قبل بحيرة (كيوجا) ، وقد غلب عليهم الاسم الأصلي في مصورات الجغرافيه (الأطالس) الحديثة وكتبها ، لأن معظم الجغرافيين من الأفرح نابون أن يطلقوا اسماً عربياً مصرّاً على منابع النيل ، أما البحيرات الأخرى فسموها على أسماء أوروبية وسموها بحيرة (فيكتوريا) وبحيرة (ألبرت) ، وبحيرة (جورج) وبحيرة (إدوارد) ، أما بحيرة (إبراهيم) فسموها بـ ٢٠٥ يروق فلم تسميتها بمثل هذا الاسم المصري فيكون اسمها القديم (كيوجا) ، وهذا لعمرى ليس من الحق ولا من الإنصاف في شيء .

ومن واجب مهندس مصر وأسائدة الجغرافيا والتاريخ أن يعمروا عن هذه البحيرة (بحيرة إبراهيم) وينحدوه علماً لما في مباحثهم ودروسهم ومؤلفاتهم وأطالسهم حتى يرسخ هذا الاسم في أذهان البشر والمشهور ، وفي وثائق الحكومة وخرائطها ، ويذبح بين الناس في

(٣١) وتسمى أيضاً اميس على اسم الملك

(٣٢) سائل غردون . راجع ص ١٧٦

مصر وشيخ نوح في أور . كما دعب اسمه بحيرة (مكورو) وما يليه . وسمي هذه (برهم) حتى بالإدعاء من الأعلام الأخيرة التي أضيفت على بحيرة (اسو) الأخرى . فإن اكتشاف هذه البحيرة تم على يد صايط من صباط الجيش المصري . باسم مصر - ولجسات مصر . في عهد إسماعيل بن إبراهيم . وبجوده رعايته ، ومكشفتها قد انتشر لها هذا الاسم تحقيقاً لرغبة الخديو إسماعيل ذاته ، فواجب الوفاء والمطلق يقضى باحترام هذه التسمية واتباعها (انظر الخريطة ص ١٢٥)

وقد ذكرها العلامة جورج شونفرت Schweinfurth في خريطة التي وضعها بيان خط سير أرنت ليان دي نظون من الرحايف إلى بحيرة فيكتوريا سنة ١٨٧٥ ، وسماها باسمها صحيح (بحيرة إبراهيم) . وكتب بجانبها العبارة الآتية (اكتشفها لوبج بك في أغسطس سنة ١٨٧٤) ، وتجد هذه الخريطة ملحقة بالعدد الأول من السنة الأولى مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية (نوفمبر سنة ١٨٧٥ - فبراير سنة ١٨٧٦) ، وسماها غردون في خريطة (بحيرة كيوجا) أو بحيرة إبراهيم ، وهي تشمل كيوجا وبحيرة كوانيا المتصلة بها .

وللكولونيل شالي لوبج بك رسالة مسمية في مجلة الجمعية الجغرافية (مجموعة ٣ عدد ٧ سبتمبر سنة ١٨٩١ ص ٥٤٠) اعترض فيها على إفعال اسم بحيرة إبراهيم ، وذكر وثائق عامة عن اكتشافه وحدماته لمصر في مديرية خط الاستواء

وفي الحق أن الكولونيل شالي لوبج بك يجب أن يقدر اسمه باسمه . مكتشياً منابع النيل ، فالرحالتان (امبيك) و(جرات) اكتشافا بحيرة فيكتوريا و منبع النيل منها ، والبر (صمويل بيكر) اكتشاف بحيرة ألبرت ، و (شالي لوبج بك) اكتشاف بحيرة إبراهيم ، وعمرى النيل من أورندجان إلى مروي ثم إلى غوريه

وقد ذكر في كتابه « مصر ومديرياتها المفردة » ص ١٤٨ أنه بعد أن اكتشف بحيرة (إبراهيم) قصد إلى (ماندى) عاصمه (أوبورو) ، فألقى ملكها القديم (كاريفه) يناصب الحكومة العداوة . وأن كاريفه هذا هاجمه في قرية من ٦٠٠ مقاتل . فانسحب لوبج بك إلى (غوريه) الواقعة على بين فيكتوريا

وذكر غردون باشا ^(٣٣) أن كاريفه ألقى (ماندى) في يناير سنة ١٨٧٦ وأن المواصلات

أعيدت إلى هذه العاصمة

(٣٣) في رسالة إلى اميس من ١٦٥ - ١٧٦

استعفاء غردون من منصبه

(سنة ١٨٧٦)

بقى الكولونيل غردون مديراً لعموم خط الاستواء إلى أن استقيل من منصبه سنة ١٨٧٦ ، وعاد إلى القاهرة . وسما إلى إنجلترا ، ولعله رحل إليها ليطالع حكومته عن شؤون المنطقة التي تولى حكمها ، وليطعن تمليلاتها الجديدة فيما تأمره به ، لأنه لم يلبث في إنجلترا ثلاث سنوات إلا قليلا ، حتى تدخلت الحكومة الإنجليزية لدى الخديو لتعيينه في منصب أكبر من منصبه القديم ، إذ جعله حاكمًا عموم السودان . فصارت أقاليم السودان تحت مطلق سلطته كما سيجيء بيانه

مدير مديرية خط الاستواء

عندما خاف غردون باشا منصبه الأول سنة ١٨٧٦ استخلفه ن خط الاستواء وكيله الكولونيل « بروت » Prout ، وهو ضابط أمريكي التحق بخدمة الجيش المصري وخدم تحت لواء غردون ، وفي عهد حاكمية غردون باشا للسودان جعل إبراهيم بك قورى مديراً لخط الاستواء ، ثم فصله وعين مكانه الدكتور إدوار شنتزر Eduard Schtutzer وهو طبيب ألماني صاحب غردون في السودان واعتنق الإسلام ، وعرف بأمين بك ، وأخلص لمصر ، فبقى بقوى الحكم في خط الاستواء إلى شوب الثورة المهدية ، ولم تستطع قوات المهدي أن تستول على هذه المديرية وظل أمين بك يحكمها باسم الحكومة الخديوية ، وسجل عاصمتها من الملاذو إلى ودلاي جوباً ليكون بعيداً عن غزوات المهديين ، وبقى في مركزه حتى اضطرت الحكومة المصرية بضغط الإنجليز إلى إخلاء السودان ، وأنتم عليه الخديو توفيق بركة الباشوية جزاء إخلاصه لمصر ، فصار يعرف بأمين باشا ، وأرسل إليه حيار باشا رئيس مجلس الوزراء وقتئذ يعلمه بقرار إخلاء عن السودان وتركه وشأنه ، فأثر لبقاه في منصبه ، فخلصاً لمصر وحكومتها ، معتمداً على ولاء الصايط والجنود المصريين والسودانيين الذين تحت إمرته ، ولكن الإنجليز أبوا عليهم البقاء ، فأرسلوا الرحالة استانلي بحمة « إنقاذ أمين باشا » . والواقع لإجلائه عن مديرية

خط الاستواء وانقصاء على سلطة مصر فيها . فاصبره استانلي سنة ١٨٨٩ إلى إخلاء عنها ، وبانتصاحت أمر . من مديرية خط الاستواء تقلص ظل السلطة المصرية عن هذا الإقليم ، ونشرتها إنجلترا فرصة « حشلت أوعدة وجعلتها تحت حاجتها » سنة ١٨٩٣) وأخضعت بها الحرة الجنوبي من مديرية خط الاستواء .

ولما تم استرجاع السودان ١٨٩٨ أكرحت مصر على توقيع اتفاقية سنة ١٨٩٩ الملاحظة التي جعلت إدارة السودان مشتركة بين مصر وإنجلترا ، وعدلت حدوده طبقاً لأهواء الإنجليز . فبعد أن كانت حدود السودان المصري تنهى عند بحيرة نيكتوريا صارت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ تنهى عند (مجالا) شمال غندكرو ، والآل تنهى عند (نيوبل) - الإبراهيمية - وبذلك اختصبت إنجلترا معظم مديرية خط الاستواء القديم ، وغسرت مصر تلك المديرية الشاسعة بعد أن بذلت في سبيل فتحها وتعميرها ما بذلت من الجهود والأموال ، والصحاب والرجال

منع الاتجار بالرقيق

كان الاتجار بالرقيق مبرحاً من عهد محمد علي ، ولكن هذا المنع لم يكن إلا اسمياً ، وبقيت تجارة الرقيق في السودان قائمة إلى عهد سعيد باشا ، يعني الحكومة وبصرها ، وبنايد موظفيها ، وكان يتولاهما تجار أترياء لهم بيوت تجارية كبيرة تنجر في حاصلات السودان وفي الرقيق ، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة ، وكان تجار الرقيق لما هم من التمرد والسطوة والمال يقيمون في مختلف الجهات معانق حصنة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق . فلما نبأ إسماعيل عرش مصر اعزم أن ينضم إلى حركة العاملين على تحرير الأرقاء في أنحاء العالم ، وأن يكسب ثناء الإنسابة في مقاومة تجارة الرقيق ، وبذل جهوداً كبيرة في هذا السيل

في سنة ١٨٦٣ أرسل إلى موسى باشا حمدي حاكم السودان وقتئذ يأمره بتعقب تجار الرقيق وحربهم . فصدع الحاكم بالأمر وصبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين « كاك » و « فاشوده » وأطلق سراحهم . وأعادهم إلى بلادهم ، واعتقل لشجار الذين حاربهم . ولم يرجع عنهم إلا بعد أن أعطوه اليهود ولوائقي ألا يعودوا إلى النحاسية وكان لاحتلال فاشوده سنة ١٨٦٥ أثر كبير في سد طريق النيل في وجه تجار الرقيق الذين

٤٠٠٠ بتصور الأرقاء في جهات بحر مرق وخط الاستواء ويشحنهم في السفن وأصدر
إسماعيل أمره بتحرير كل عبيد أو جارية يثبت على سيدهما أنه أمه معاملتها
وفي عهد حكامة جعفر مظهر باشا وإسماعيل أيوب باشا بذلت الحكومة جهوداً موفقة
في بحاره حارة رقيق ، وقد عهد الخديو أيضاً إلى السيد محمود بك يكرّم إلى غردون باشا من
بعض العمل على تحقيق هذه النعمة كما تقدم بان ذلك تفصيلاً

في الحق أن الخديو إسماعيل قام بعمل عظيم ، وأسدى إلى الإنسانية خدمة جليلة في منع
مدح البحارة المسقوتة

لكن من الحق أن نقول أيضاً أن عمده كان في حاجة إلى شيء من الحكمة والبرية فإن
تجارة الرقيق كان يقوم بها أناس أقوياء في السودان ، لهم من أعيان البلاد أنصار وتآلف معهم
طبقة كبيرة من الأهالي .

كانت هذه التجارة مصدر ثروتهم ، فضلاً عن أن الأيدي العاملة في الزراعة ورعي الماشية
وغير ذلك كان معظمها من الرقيق ، وقد ألفت أعيان السودان والطبقة المتوسطة من أهله
استخدام الأرقاء كأتباع لهم وموالي ، وظلموا حياتهم على هذا الأساس ، فعلمت الحكومة
بتحرير الأرقاء دفعة واحدة كانت مجازلة لا تحسد حوائها ، هذا إلى أن الخديو قد جعل على
رئاسة مقاومة الاتجار بالرقيق جماعة من الأجانب ، فاستثار وجودهم عواطف الأهالي الدينية .
وكرهتهم للحكومة ، فاجتمعت هذه العوامل وكانت من أسباب قيام الثورة المهدية .
فالأمر إذاً كان في حاجة إلى التأمل والحكمة ، اعتبر ذلك في أن الحكومة الإنجليزية حينها
قررت إبطال الرقيق في أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيئات لتعويض موالى الأرقاء
المهردين

فكان من الواجب على إسماعيل باشا أن يأخذ في مشروعه بالمروءة وبعد النظر ، وحسن
السياسة ، لكنه لم يفعل ، واعتزم مقاومة تجارة الرقيق ومنع الاسترقاق فحسب فاستهافت
الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجارة ، مما ظهر أثره في نجاح دعوة المهدي
وأائل عهد نوري باشا إذ انضم إلى الثورة تجار الرقيق في السودان

وفي هذا الصدد يقول المسيو « داريل » Daryl في مقدمة « رسائل غردون إلى أمته »
ما يأتي : « عهد الخديو إسماعيل إلى الكونت غردون مطاردة تجار الرقيق في السودان ، ولكن
المجهودات السنية التي بذلها ذلك الصابط الإنجليزي لم يكن لها من نتيجة عملية سوى إثارة

الطبقة التي كانت مصر تعتمد عليها في السود .

وقد أبرم إسماعيل في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة مع الحكومة الإنجليزية^(٣٧) للتعاون
على منع الاتجار برقيق . حوت نصها على تمكين الإنجليز من الاتييت على سيادة مصر
ومصالحها . إذ أباح لهم الرقابة على السفن الحاملة براية المصرية وتفتيشها وسيطرتها بحجة
معاطتها بخارج رقيق فكانت معاهدة لا خير فيها . ولا ظننه منها نهر

ظهور الزبير باشا رحمت^(٣٨)

كان الزبير أكبر تجار السودان . وخاصة في تجارة الرقيق ، وله نفوذ واسع وسلطان كبير في
إقليم بحر المرق .

وقد ثبت حرب بينه وبين أحد ملوك بحر القزالي انتهت بيزيعة هذا الملك . فامتلك الزبير
بلادها ، واتخذ عاصمته مقراً له ، وسماها (ديم الزبير) ، فصار فيها ملكاً ، ودانت له جهات
بحر القزالي ، وتقارط الناس إليه للاعتظام في خدمته ، فجمع لنفسه جيشاً قوياً لتأييد سلطته ،
واقتران الرقيق ، وفتح طريق التجارة من بحر القزالي إلى كردفان

وفي سنة ١٨٩٩ جاء بحر القزالي رجل يدعى (البلال) قادماً من الخرطوم ومعه نفر من
الحد لاحتلال هذا الإقليم باسم الحكومة الحديوية ، ومعه فرسان بتسبته مديراً لبحر القزالي ،
ولكن الزبير جمع جيشه ، وكس أتباعه للبلال فقتلوا ، ثم غشى الزبير عاقبة عدائه الحكومة
المصرية ، ففتح إلى مسلحتها ، وأظهر ولائه لها وعترف بسلطة الحديوي

واتسع سلطانه ، ففتح بلاد (شكا) الواقعة بين بحر القزالي وقادقور . ووضع بين يدي
الحكومة الحديوية الأقاليم التي دانت له لتنصب لها الحكام . وجعل تقدمته لها دليلاً على
ولائه . وقد أخلص عملاً مصر وبقي على ولائه طول حياته

(٣٧) مجموعة لمعاملات دي ماريانس سلسلة جديدة ج ١ ص ١٥٩
De Mariens Noux Recueil gen des Traites 1 p. 493

ولمجد نصها الرقي في قانس جلد ٢ ص ٢٣٨ طبع سنة ١٩٠١

(٣٨) اصطفاها ما ذكرناه من الزبير من رغبة حياته بقلعه المنير في كلاب السودان لنحوه بعد شطرح ج ١ ص ١٧

وما ذكره يراحم باشا في كتابه ج ١ ص ١٣٦

شكره الخديو على إخلاصه ، وأنتم عليه بركة بك ، وعهد إليه بحكم البلاد التي فتحها
 دسم الحكومة الخديوية ، وهي بحر القزال وشكا قصار مديراً لبحر القزال ، وجعلت مدينة
 شكا عاصمة للمديرة

فتح سلطنة دارفور

(سنة ١٨٧٤)

رغب الزبير باث إلى حاكم السودان إسماعيل باشا أيوب ، فتح دارفور ، وكانت إلى
 ذلك العصر ملكة مستقلة ، ولما أرسلها القرمات الصادرة لحمد علي ضمن أملاك مصر
 (انظر عصر محمد علي ص ٣٤٧) إلا أنها بقيت مستقلة فعلا عن الدولة المصرية إلى ذلك
 الحين ، وكان عليها ملك يسمى السلطان إبراهيم بنو الزبير ويحمل على إيجلاء عن « شكا »
 فأيدت الحكومة مشروع الزبير ، وعهد الخديو إلى إسماعيل باشا أيوب فتح دارفور باشتراكه مع
 الزبير بك .

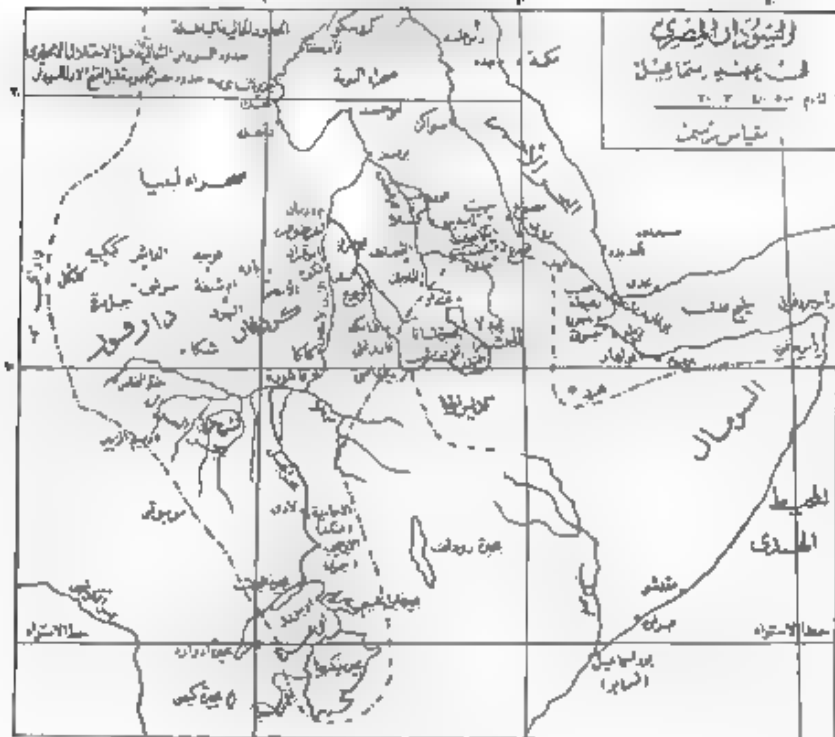
معركة منواشي

(٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٤)

فجهر جيشاً في كرفان ، وعهد إلى الزبير بك حشد جيشه في بحر القزال كرم يحاط بدارفور
 من الشرق ومن الجنوب ،

صار الزبير من الجنوب ، وتلاقى مع قوات سلطان دارفور ، وكانت تتألف من نحو
 عشرين ألف مقاتل فهدمها الزبير غير مرة ، واشتبك الجيشان في « منواشي » حيث نشبت
 بينها في ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٤ معركة لاصلة ، انتهت بانتصار الزبير انتصاراً ميبهاً ، وقتل
 السلطان إبراهيم ونشبت حيشه ، فداب البلاد للحكم المصري ، ودخل الزبير مدينة الفاشر
 عاصمة دارفور

ثم جاء إسماعيل باشا أيوب على رأس الفرقة الراحقة من الشرق ، فدخل المدينة في
 ١٦ نوفمبر سنة ١٨٧٤ (٢٧ رمضان سنة ١٢٩١) . وانتهت الحرب بضم سلطنة دارفور إلى
 أملاك مصر



الحدود الحالية لبلاد السودان

في عهد إسماعيل

وأرسل الحكمدار بشر الخديو بأخبار الفتح . فأصبح هذا النصر المبين ، وأنتم على إسماعيل باشا أيوب حاكم السودان برتبة الفريق ، وعلى الزبير برتبة اللواء . فصار يعرف بالرب . ثم رجع إلى الحكمدار فبلغ أفراد الجيش الذي تولى هذا الفتح ثناءً ولحماته ، لما أبوه في فتح دورهم . فطلب إلى الحكمدار هذه الرسالة جمع الجيش في العاشر ، وتلا عليهم تبليغ الخديو في شمال حشركى مهيب ، وأطلقت المنافع ابتهاجاً وإجلالاً^{٥٩} .

وبفتح دارفور زاد عدد سكان الدولة المصرية نحو ثلاثة ملايين نسمة .

وأقام إسماعيل باشا أيوب حصناً مهيماً في القاهرة ، وبني داراً للحكومة ، ومثلاً للحاكم . وثكنة للجند ، ووطد دعائم الأمن والطمأنينة ، وأقام في المدينة سوقاً حاضرة للتجارة على أن الزبير باشا شكاً من قذاحة الضرائب التي فرضها إسماعيل باشا أيوب على الأهالي ، فاستاء الحكمدار من هذه الشكوى ، ورفح الأمر إلى الخديو ، فوكل بأمر الزبير باشا بعدم التعرض للحكمدار في إدارة البلاد ، فطلب الزبير من الخديو أن يجيء إلى مصر ليعرض عليه حقيقة الحال ، ويغضى إليه بأمره في تنظيم الإقليم ، فأجاب الخديو إلى طلبه وأذن له بالحضور ، فسار إلى مصر ، واستقبل ابنه سليمان في قيادة جنده .

ولما جاء مصر أكرم الخديو ولادته ، ولكنه لم يأذن له بالعودة إلى السودان ، فأدرك أن المواد من إيقاله أن يكون رجلاً لولاه للحكومة ، فأذن ببقاء الإقامة في مصر مشمولاً بمطاف الحكومة وإكرامها .

هم زيلع وبريرة

(سنة ١٨٧٥)

١ ربيع ١ و ٢ بريرة : من بلاد الصومال الشمالية الواقعة على خليج عدن ، ذكرهما نابير في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٦ وج ٤ ص ٤٢٥ .
وهم منسوبة لثور ١ ربيع ١ و ٢ بريرة ١ و ٢ يوحنا . . . وتعد الأولى ميناء سلطنة حرر عن خليج عدن ، وملحق بتاجر هذه البلاد من ن وس القيل والجند وريش النعام والصبغ العربي والمرو وغير ذلك . وهذه الثمر عامة أمة بحرية ، لأن من يملكها يسلط على ملاحه في

^{٥٩} من ربيع مصر - العدد ٥٨٥ الصادر في ٣ ديسمبر سنة ١٨٧٥

خليج عدن في ساحل البحر الأحمر

ومن بلاد ربيع بلدة (جريت) التي بناها أجداد (الجريت) مؤرخ المصري المشهور . بعد رحل جده السابع (الشيخ عبد الرحمن) إلى مصر في أوائل القرن العاشر للهجرة . واستحدثت أسرة اجبري مصريين ذلك العهد .

كانت ربيع وبريرة من أملاك تركيا ، فاجتمع للواء (الحفيدة) باليمن ، لفكر حديو إسماعيل في ضمها إلى أملاك مصر حينما اعترفت سلطنة (حرر) لأن زيلع هي ميناء حرر كما قلنا . فمضى إلى ذلك لدى الحكومة النمساوية ، ونجح في معناه ، إذ صدر له فرمان من السلطان في أول يولييه سنة ١٨٧٥ (٢٧ محادي الأولى سنة ١٢٩٢) بالتنازل له عن (ربيع) وملحقاتها ، وذلك مقابل زيادة في الجنية السوية قدرها ١٥٠٠٠ جنة عثمان^{٦٠} (١٣٣٦٥ جنة مصري) ، ويدخل في منصفات ربيع ثغور « بريرة » و « بريرة » و « تاجورة » .

وقد جعل الخديو من هذه البلاد محافظتين عرفتا بمحافظة « ربيع » ، ومحافظة « بريرة » . وأرسل الخانيات المصرية إلى الثغرين المذكورين ، فباتت زيلع كتيبة من حيد بقيادة محمد رموف باشا الذي مر ذكره في الكلام عن مديرية غط الاستواء ، وجعل رموف باشا محافظاً لزيلع . والأميرال وضوان باشا محافظاً لبريرة ، وكان هذا الأميرال يقوم السبئية الحربية المصرية التي أقلت الخانية إلى ليبيا المذكور .

وحمل الأمير أبو بكر إبراهيم أمير ربيع السابق وكيلها لمحافظة وملحقاتها ، وأنتم عليه بالرتبة الثانية^{٦١} ثم رقى إلى منصب المحافظ^{٦٢} .

وعين الحكام لسكروين والملكيون في المحافظتين ، وعينوا يعمراهما . فأقاموا بها عدة مبان للحكومة وللجوارك والكتكات العسكرية ، وأنشأوا مسجداً في « بريرة » وصهرجا حرم لبياء العدة بها . ومدوا أنابيب الماء فيها ، وأنشئت مكاتب للبريد في كلا الثغرين ، قال غردون باشا في رسالته ص ٢٧ ، إن مستأنت التي كُلفت في بريرة كلفت مصر سبيل^{٦٣} .

وبهم زيلع وبريرة امتدت سلطة مصر من سواحل البحر الأحمر إلى سواحل خليج عدن .
سنة ١٢٩١ في مصر إلى مصر ، فزلا ، فبعد ، فمصب ، فتاجورة . فزيلع ،

(٤٠) الوقائع المصرية العدد ٩١٥ (١٥ يولييه سنة ١٨٧٥)

(٤١) و (٤٢) الوقائع المصرية العدد ٦٦٨ - ١٧ أكتوبر سنة ١٨٧٥ . والعدد ٦٦١ - ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥

مصر. فبره، ثم وصلت إلى رأس جردفون (جردفوى) على المحيط الهندي وقد بنيت محطتها زيلع وبره ملكاً لمصر. إلى أن اغتصبها الإنجليز بعد شوب الثورة المصرية. ذكرها الحكومة المصرية على الخلاء عن السودان، وسجل القرار هانس هانسن. فاحتلها الحكومة المصرية في مايو سنة ١٨٨٥، واحتلها الإنجليز من ذلك الحين. وما زال يحتلها إلى اليوم (١٩٣٢)، ولكنه احتلال غير شرعى. لأن مصر لم تتدخل عن حقونها في تلك البلاد، ولم تهر الاحتلال الإنجليزي بها

فتح هرد

(سنة ١٨٧٥)

تقع سلطنة (هرد) شرق الحبشة وهرى زيلع، وهي إمارة إسلامية مستقلة، يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة، وأرضها زراعية، تجود فيها زراعة البن والقصب والدره والفول والعدس والموز والفاكهة والقصب، وتزرع فيها أيضاً القطن وهو أقل مرتبة من القطن المصرى، وتنتج منه أقمشة متينة، وأهم حاصلاتها اللبن الذى لا يقل جودة عن اللبن البنى وتبادل هرد الخارج مع الخارج، تصدر اللبن والصنع وورش الندم والزعفران والمر والزبد والجلود على اختلاف أنواعها، وتستورد الأقمشة والمنسوجات والنحاس والزجاج وما إلى ذلك

وعاصمتها مدينة هرد الواقعة على بعد ٢٣٢ ميلاً من زيلع وهي من المدن الباهرة، يسكنها ٣٥ ألف نسمة، وهم على جانب من الحضارة، ذكر عنهم اللواء محمد مختار باشا أن لتعليم منتشر بينهم، وفيهم المشراء والأدباء، وأن جميع الصغار فيهم يتعلمون القراءة والكتابة والرياضيات والفقه على مذهب الإمام الشافعى، وأن عادة تعدد الزوجات معدومة بين أهلها. والطلاق سدر بينهم، قال: إنه قضى في المدينة ستة كاملة (من أواخر سنة ١٨٧٥ إلى ١٨٧٦) لم يشهد فيها حادثة خلاق واحدة^(١)، وكان على هرد قبل فتح مصرى أمير يدعى محمد عبد الشكور، سار في حكمه سيرة ظلم، وإرهاب، فقام منه الأهليون اغتصابه وموا أن يُقال منه

١٣ ظهر حيث اللواء محمد مختار باشا من هرد. تلاء اللجنة الجغرافية بمصر ٢ فبراير سنة ١٨٧٧ وشتر مجلة جمعية علماء ١ عدد ٣ من ٣٥١ و ٣٦٦



خريطة مدينة هرد سنة ١٨٧٦

مصر من خريطة العالم ومبناها محمد مختار باشا وأحمد فؤاد بك فرى سنة ١٨٧٥ من ص ١٢٠ كان
 حرب عيسى نصري ل حبه هر. وجد باخرطة تعداد
 ١- سون المدينة ٢- ميد ٣- واور ٤- و٦- و٧- مساحة ٨- و٩- سون المدينة ١٠- باب البلاد ١١- باب
 المدينة ١٢- باب الحاكم ١٣- باب النصر ١٤- باب الفرنج ١٥- باب راحة
 ١٦- و١٧- و١٨- و١٩- ٢- حدائق ٢١- مدعى ٢٢- من هر.

واعترف إسماعيل فتح هذه السلطنة لما غرقها من الأهمية . ولأنها تعد من البلاد المكنة
سودان . فأنشئت الجنود المصرية للرابطة في زيلج تستغل أحوالها وتعرف طرق الوصول
٣٠ وبعد أن فرما ذلك وحشد فرقة من الجيش المصري بقيادة محمد رموف باشا في سبتمبر
سنة ١٨٧٥ قاصده حرر ، عاصمه الامارة . ورافق الحملة بعض صباط أركان الحرب
بقيادة سكباشي محمد مختار بك ، وهو الذي صار فيما بعد اللواء محمد مختار باشا صاحب
الكتاب القيم « التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ المصرية بالنسب (الاربعه) ولفظية » .
وله المحاضرات القيمة في الجمعية الجغرافية

لم تلق الفرقة في رحبها مقاومة تذكر ، اللهم إلا ما كان من بعض قبائل الحلا إدا حصرها
رحبها ، واصطدموا بالحملة في معركة ، دامت إحداهما سبع ساعات وانتهت بتسلم
القبائل^(١١) ، واستأنفت الحملة سيرها إلى أن وصلت إلى مدينة حرر . ونجتها في ١١ أكتوبر
سنة ١٨٧٥ ووصعت العلم المصري على أيرانيا وفوق قصر أميرها ، وبذلك خضعت تلك السلطنة
إلى أملاك مصر^(١٢) .

ثم ظهرت بوادر الانقراض بين بعض قبائل الحلا التي كانت لها الصلوة والسطوة في عهد
الأمير محمد عبد الشكور ، فطلب رموف باشا مدداً من الجند على سبيل الاحتياط ، فجهده
الممد من السويس إلى زيلج على ظهر الباخرة (المروسة) ، ووصل الجند إلى حرر فأدعت
القبائل ، واستتب الأمن في أنحاء البلاد ، وانتظمت الإدارة فيها

وجلس رموف باشا حكماً عاماً (حاكماً عاماً) لحرر ، وعين أميرها السابق محمد عبد الشكور
محافظاً لمدينتها^(١٣) وأعلن الأهليون إلى الحكم المصري

لكن رموف باشا لم يلبث أن تنكر لأمير حرر وقطعه ، بعد أن كان ينو عليه في تقاريره إلى
الحكومة ويمتدح ولأه ، ولم يعرف السبب الذي دعاه إلى قطعه . ولكن آراء متضقة على أن
لعله كان حليلاً لا مبر له ، ويقول غردون باشا في رسالته^(١٤) إن حد العمل لم يكن له

(١١) حرر في ظل حكم المصري للاستاد بوليتشكي Panditschke حصة الحرب بمجموعه ٢ عدد ١٠
(١٢) مارس سنة ١٨٨٧ حر ٥٧٥ وفسير بوليتشكي هذا هو عاد يسمى جاد هذه البلاد في هذه عمية وشهد الحكم المصري

(١٣) الوثائق المصرية الممد ١٢٣١ ، ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥

(١٤) الوثائق المصرية الممد ١٢٣١ ، ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥

(١٥) رسائل غردون إلى أمته في ٢٧٤

مصر ، وأن ابن الأمير ذهب إلى مصر لشكر الحكمدار إلى الخديو فمصعب إسماعيل علما
العمل ، لكنه لم يفعل شيئاً

وقد رسم اصباط المصريون الذين شهدوا فتح حرر خريطة تلك البلاد . ومن هؤلاء
صباط محمد مختار بك (باشا) وعبد الله حوري بك (باشا) ، وحفظوا المام والمواقع بين
زيلج وحرر واجهات الحدود

وفي عهد الحكم المصري بنيت دار للحكومة ، وأقيم مسجد جديد ، وشيدت أربع
ثكنات لإقامة الجنود ، وعدة منازل للموظفين ، ولم يسفر أحد من الأهلى إلى إقامة هذه
مبنى ، بل توفى الحدود لمصريون إقامتها

وبقي رموف باشا يتولى الحكم إلى أن أقامه غردون باشا حين عين حاكماً عاماً للسودان
وأعادته إلى مصر ، وعهد بالحكم إلى رضوان باشا محافظ بربره ، ثم خلفه سنة ١٨٨٠ محمد
نادي باشا ، فعنى بضبط الأمن وتحصين المدينة . وبقي يتولى الحكم إلى أن شبت الثورة المراتية
في مصر ، ثم الثورة المهدية في السودان ، فلم يصطرب حيل النظام بين الجند في حرر ، وفي
سنة ١٨٨٢ حين حل رضا باشا - خلفاً لنادي باشا ، وظل الحكم المصري مستقراً في تلك
البلاد ، إلى أن أنكرت إنجلترا حكومة مصر على إخلاء السودان وملحقاته ، فأرسلت تنحرو
القوات المصرية إلى إخلاء حرر ، فصعدت بالأمر واستجبت منها سنة ١٨٨٥ ، وكان
حدها حين إخلاء ٣٤١١ جندي ، يصحبهم ١٦٠ من الموظفين ورجال البوليس والعمال
و ٥٠٠ من النساء والأطفال من عائلات الجند والموظفين ، فكان مصير المصريين الذين
انسحبوا من حرر ٨٥٧١ قصبوا إلى زيلج ، وأقلعت بهم البواخر إلى مصر .

طوى العلم المصري من تلك البلاد ، بعد أن ظل يحرق على ربوعها عشر سنوات متوالية ،
كان في خلالها رمزاً للنظام والحصارة ، فقد استتب بها الأمن ، وانتظمت الإدارة وشطت
الزراعة والتجارة ، وصود المصريون الأهالي بعض الزراعات والقواكه المصرية كالعنب
والخوخ واللوز والنبسود . وقصبت السكر والبطاطس والخضر وما إلى ذلك - وأردادت عدد
متر على التي تفيض المتاجر من داخل البلاد إلى السواحل . فبما كان عددها سبعين قاطعة على
عهد الأتراء السابق . بنفت اربعمائة قاطعة كل سنة في عهد الحكم المصري^(١٥)

ولما جلا المصريون عن حرر تسلط سلطنة الحكم فيها أمير من سلالة الأمراء الذين كانوا

بحكمها قبل فتح مصرى . ثم أغار عليها ملك الحبشة وأخذها حوة وصحبها إلى أنلاكه ،
و - تابعة لها إلى اليوم (١٩٣٧)

حملة الصومال

(سنة ١٨٧٥)

اعتزم الخديو إسماعيل فتح بقية بلاد الصومال^(٥٩) ، فعهد هذا العمل سنة ١٨٧٥
حملة ، مقصدها فتح بقية شواطئ الصومال . والوصول إلى مصب نهر جوبا
(الحب)^(٥٠) .

ثم فتح الطريق من هناك إلى منطقة البحيرات ، لكي تصل مصر أملاكها في هذه
المنطقة ، من طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فضلاً عن الطريق الذي يتبع جمرى النيل .
في الوقت الذي أخذ فيه حملة حرر ، جهر حملة الصومال بقيادة الأميرال ماكيلوب باشا
مدير الموانئ والمنازل المصرية ، وتولى قيادة جود البر في هذه الحملة الأميرالاي شامى لويج
بك ، ذلك الضابط الشهيم الذي تكلما عنه آنفاً ، وكان غردون باشا إذذاك حاكماً لخط
الاستواء ، فعهد إليه إسماعيل الاتصال بالحملة .

أقلمت القاهرة المصرية من السويس ، نقل الخيوة المصريين ، في فبراير سنة ١٨٧٥ ،
واجتازت البحر الأحمر ، ثم بوغاز باب المندب ، فخليج عدن ، ورسمت في ميناء بربره ،
ربما تسريح وتلحظ أهبها ، وتشكل معادنها ، ثم أقلمت ثانية ، واجهت إلى المحيط
الهندي ، فوصلت إلى رأس (حافون) جوبى رأس جردفون (جردفوى) ، وركز قائد الحملة
العلم المصري هناك ، ودعا رؤساء القبائل إلى الدخول في طاعة الحكومة المصرية ، فلبوا
الطلب طامعين ، ثم أقلمت القاهرة تحوصر حباب المحيط الهندي ، حتى وصلت إلى بلدة
(براوه) الواقعة شرق نهر الجوبا (الحب) ، فأذعنت القبائل هناك للحكم المصري ، وترك
بها ماكيلوب باشا حامية من الخلد . وعين عليها محافظاً ، ثم اتجه إلى بلدة قشايو^(٥١) ،

(٥٩) تطلق بلاد الصومال على الجهاد الواقعة في الثلث الذي تنسب إليه إفريقيا بين خليج عدن والمحيط الهندي

(٥٠) نهر يبع جنوب الحبشة ويصب في الأندلس الهندي شمال إنجلترا .

(٥١) جنوب خط الاستواء . وقد سميت في الخريطة التي وضعها غباط أنكلان حرب الجيش للمصري ، بور إسماعيل .

الواقعة على مصب الحبش فتحته ، وسارت القوارب تحمل الجنود في نهر الجوبا نحو ١٥٠
ميلاً ، ولكن الملاحاة تعددت فيه ، فرحسوا إلى بلدة قشايو بور إسماعيل ، وتأنيت الحملة
حربه للسمر غرباً ، فاصده بحيرة بيكتوبيا . وفقاً للخطة المرسومة لنام من قبل ، ولكنها أبطلت
في الزحف من قشايو ، ويقول شامى لويج بك إن من أسباب إخفاقها إغصاء غردون عن
الاتصال بها رغم الأمر الصادر له من الخديو إسماعيل

وينسب لويج بك هذا الإغصاء إلى احتياج وصول تعليمات من الحكومة الإنجليزية إلى
غردون فوجب عليه عدم التعاون مع هذه الحملة^(٥٢) ، وهذا يدنس على عدم إخلاص
غردون لمصر ، وعدم ولائه للحكومة المصرية ، وقد اعترف غردون في رسالته أنه بالرغم من
تكليف الخديو ماكيلوب باشا وشامى لويج بك انتظاره عن نهر الجوبا ، فإن انتظاره سيكون
على غير جنوى^(٥٣) ، فكانه كان معزراً على إهمال العمل بأوامر الخديو

وكانت هذه الحملة قد أزعجت الإنجليز ، فعابرت إسماعيل في الكف عنها ، ورسل وزير
خارجية إنجلترا إلى الخديو مذكرة بهذا المعنى ، فخشى عواقب للمشاكل بينه وبين الحكومة
الإنجليزية ، وكان في الوقت نفسه يجهز الحملة على الحبشة ، فاستدعى ماكيلوب باشا ،
وانسحبت الحملة من الجوبا في يناير سنة ١٨٧٦ ، وعادت إلى مصر^(٥٤)

وهكذا أخفقت تلك الحملة ، ولم تصل إلى تحقيق غايتها ، وهي بسط نفوذ مصر على
شواطئ المحيط الهندي ، ومنها إلى منابع النيل ، وذهب الجهود التي بذلت فيها سدى ،
ويرجع إحقاقها كما ترى إلى تدخل السياسة الإنجليزية ، ومعارضتها الخديو في الاستمرار فيها ،
وكان إسماعيل قد استغرق في المديون ، وشمر حاجته إلى إرضاء الإنجليز ومصلحتهم فاضطر تحت
تأثير هذه الحاجة إلى الإذعان للتدخل الإنجليزي ، وانسلخ عن الحملة .

اعتراف إنجلترا بسلطة مصر في الصومال

على أن الحكومة الإنجليزية اعترفت بامتلاك مصر بلاد الصومال الشمالية الواقعة على خليج
عدن . ذلك أنها عقلت وإياه معاهدة في ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧^(٥٥) ، اعترفت فيها لمصر

(٥٢) كتاب مصر ومديرياتها المقفودا ، الدكتور بيل شامى لويج بك من ١٦٤

(٥٣) شامى لويج بك من ١٦٤

(٥٤) مصر ومديرياتها المقفودة للكاتب لويج بك من ١٥٤

(٥٥) مطبوعة في المجلس الإداري والمصنف - قهلب وجلا (النسخة الفرنسية) ج ٢ من ٤٩٠

بامتلاكها سواحل بلاد الصوم - لغاية رأس جردفون - جردفوى - ثم رأس - سقون - الواقع جنوبه على المحيط الهندي

وقد وقع على المعاهدة كل من شريف باشا وزير خارجية مصر بالنيابة عن الحكومة المصرية ، والسفير « فين » قنصل إنجلترا العام بالنيابة عن الحكومة الإنجليزية .
أقرت الحكومة الإنجليزية في هذه المعاهدة سلطة الحكومة المصرية في سواحل الصومال وقيلت مصر أن تبقى « بريرة » و « يوطار » تفرغ حرين ، وألا تعطى فيها أى امتياز أو احتكار لأحد ما ، ولا تأذن بإجراء أى عمل يعطل حركة التجارة فيها ، وألا تأخذ رسوماً عن الواردات أكثر من خمسة في المائة ، ولا تزيد الرسوم الجمركية عن واحد في المائة في موانئ « تاجورة » و « زيلع » وسائر سواحل بلاد الصومال التابعة لها ، وأن تعامل مصر رعايا إنجلترا وسهبا في تلك الجهات معاملة دولة متحيزة ، وتعهد الخديوي ألا يعطى أى قطعة من هذه البلاد إلى أية دولة أخرى « د ٢ »

ودعشت مصر للحكومة الإنجليزية تعيين مأمورى قنصليات في جميع الثغور والبلاد الكائنة على سواحل البلاد المذكورة ، على أنه لا يجوز لها تعيين مأمورى قنصليات من أهل البلاد أو من أهل البلاد المتاخمة لها

في هذه المعاهدة إقرار من إنجلترا بسلطة مصر في بلاد الصومال الشمالية ، ومن نهكم القدر أن القوة التي أقرت بذلك سنة ١٨٧٧ وأخذت على مصر عهداً ألا تتناول لدولة أخرى من جزء من تلك البلاد ، هي ذاتها التي اختصتها بعد أن أكرمت مصر على إعتلاء السودان ، فوضعت بعدها على زيلع وريره ملحقاتها وأخذتها من أسلاب مصر ، كما أخذت فرنسا تاجورة وملحقاتها ، وإيطاليا رأس جردفون - جردفوى .

التراع بين مصر والحشة

للتراع بين مصر والحشة في عهد إسماعيل صفقة طويلة ، خلاصتها أن الملاق بين ابلدين لم تكن ودية طيبة مدة حكمه . بل كان يشوبها الجفاء والحقد ، ثم الحرب والصدام .

ويرجع الخلاف إلى أن إسماعيل بعد أن ظهر بهم محافظون سواكن وصوبح سالياً إلى

مصر ، اعزم أن يصل بين مصوع وكسله خط حديدي ، يمر بسبيت^(١) . ويسهل سبل المواصلات بين السودان والبحر الأحمر . ويوسط رواق العراق في شرق السودان . وكان بعد بلاد الرقعة بين البلدين وخاصة مدينة « سبيت » أرضاً مصرية عند الفتح الأول . في عهد محمد علي .

ولكن النجاشي « تيودورس » ملك الحشة عارض الخديوي ذلك ، وادعى أن سبيت أرض حشية ، فوقع الخلاف بينهما

الحرب بين الإنجليز والحشة

(سنة ١٨٩٧ - ١٨٩٨)

وظهر أثر هذا الجفاء في موقف الخديوي تجاه الحشة حين قام الخلاف بينها وبين الإنجليز سنة ١٨٩٧ . فقد اعتقل الملك « تيودورس » بعض التجار الإنجليز ومنهم المستر كامرون قنصل إنجلترا ، فنصبت الحكومة الإنجليزية من هذا العمل لعداوى ، وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين . فرفض النجاشي إعطاء طلبها ، واشتد الخلاف بين الدولتين ، فالتحاز الخديوي إلى جانب الإنجليز وأرسل إلى النجاشي كتاباً^(٢) ، من إنشاء عبد الله باشا فكري ، يطلب إليه فيه أن يحسم الخلاف بإطلاق سراح المعتقلين وإرسالهم إلى مصوع ، وحذره عواقب إصراره على اعتقالهم ، وتهدهه بنشوب الحرب بينه وبين الإنجليز . وبأنه في هذه الحالة لا يمانح الإنجليز في اجتياز الأراضي المصرية لهاجت

فأصر النجاشي على الرخص ، فجددت إنجلترا على الحشة سنة ١٨٩٧ حملة عسكرية بقيادة اللورد نابيير Napier . وسبى الخديوي هذه الحرب فأمد الإنجليز فيها بالمعونة والتأييد . وأمر عبد القادر باشا الطوبخى محافظ مصوع وقائد معونة لجيش الإنجليز في نزوله إلى مصوع الأسطول المصري تحت تصرف الإنجليز لينقل بهاتهم ومؤثرهم من السويس إلى مصوع

^(١) سبيت مصوع . وتسمى أيضاً كرك - Kerk . ووردت بهذا الاسم في نظم مصورات الجغرافية . وهي حصنة لهم . (لوموس)

(٢) بتاريخ جهدي الأخير سنة ١٢٨٤ (سبتمبر ١٨٦٧)

و تحت هذه الحرب يهزم الإنجليز واحتلهم مدينة همدان و شاتي أديس أبابا ، وقتل
سجنى تيودورس سنة ١٨٦٨ : ثم عاد الإنجليز إلى بلادهم .
و تحت الحبيشة إلى الملك « يوحنا » الذى كان يمازى الإنجليز ضد ملك تيودورس
و الملك يوحنا هو من أعظم ملوك الحبيشة شأنا ، و أشدهم بأسا ، و كان عهده وقت الحرب بين
مصر و الحبيشة كى سيجى بيانه .

فما خلف يوحنا الملك تيودورس على عرش الحبيشة اختفى الخبير فرصة انصرافه إلى محاربة
قبائل الجلال ، لتحقيق غرضه الأول و توسيع أملاك مصر من ناحية الحبيشة .

منزجر باشا Munzinger pasha

وقد استحدث على تحقيق هذا الغرض المسير منزجر قنصل فرنسا فى مصر
و منزجر هذا به شأن كبير فى تاريخ العلاقات بين مصر و الحبيشة فى عهد إسماعيل ، وهو
رجل سويسرى الجنس ، جاء مصر ، ثم جاب أنحاء السودان و الحبيشة ، و أقام فى مصر منذ
سنة ١٨٦٠ ، و تزوج بـ « حبيشة » من أهالى لبوغوس ، ثم شغل منصب قنصل فرنسا فى
ذلك الشرق ، و حاول الإنجليز فى حربه مع الحبيشة بما له من القدرة بأحوال البلاد و لغتها
و مبادئها^(٥٨)

وفى سنة ١٨٧٠ عينه الخديو محافظا لمصر ، ثم أمد إليه قبا بعد منصباً أعلى ، إذ جعله
محافظاً لسواحل البحر الأحمر و مديراً لشرق السودان ، و تم عليه بـ « حبيشة » ثم
الباشوية ، فصار يعرف بمنزجر باشا ، و عين أراكيل بك نوبار من أقرباء حراب باشا محافظا
لمصر تحت إمرته (وهو خير أراكيل بك الذى نكلنا عنه ص ٤٥) .

و منزجر باشا هو الذى زبى للخديو إسماعيل فكرة فتح الحبيشة ، و أتى فى روعة أنه لطول
ملكه فى هذه الجهات قد سير غورها ، و عرف أسرارها ، و أنه قد فتح الحبيشة لا يكلف مصر
هناك كثيراً ، لما كانت عليه من الضعف و الفوضى و الانقسام .

فأعجب إسماعيل بالفكرة ، و شرع فى تحقيقها ، و عهد إلى منزجر باشا فتح إقليم
(لبوغوس) و عاصمته سبيت

(٥٨) من ترجمة منزجر باشا . بقلم لسيو دورانت فى مجلة الجمعية الجغرافية ، العدد الأول من السنة الأولى ، نوفمبر
١٨٧٥ . فبراير سنة ١٨٧٦) ص ١٢١

فتح سبيت و فتح إقليم البوغوس

منزجر باشا من مصر فى قوة من ألف و خمسمائة مقاتل ، و قصد إلى سبيت و فتحها
بـ مصر

و ومع صدق مصر من هذه الناحية ، فتم على يده فتح بلاد البوغوس ، و ضمها إلى مصر ،
و اشترى مقاطعة (بيت) الواقعة بين مصر و الخمسين من حاكمها الذى كان خلاب مع
النجاشى . و شملت منطقة منزجر سواكن و مصر و بلاد بوغوس ، و التاكا ، و القصدوف ،
و القلابات . و سبب . و يركه ، أى السودان الشرق فى أقصى حدوده .

وقد فتح الملك يوحنا من مصر هذا التوسع ، و ازدادت العلاقات بين البلدين توتراً ،
و كادت الحرب تشتب بينهما ، لولا اشتغال الخديو بفتح هر و الحملة على الصومال

حرب الحبيشة

(سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦)

فى الحرب عظمى التى حاصرت مصر فى عهد إسماعيل ، و لعنة الكادى بى اصطلاح بـ
فتح مصرى حرمين سبيل و مدحمانه ، و من أى ناحية نظر إليها نجد أن مصر لم يكن فى حاجة
إليها . و لا مصلحة لها فى حوزتها ، و إنما ساق إليها التزق ، و سوء التدبير ، فأنهت بأمرته
و احسرت

رأى ما تقدمه بيانه . أن مصر قد ضمت الجهات الواقعة بين الحبيشة و البحر الأحمر
و تحت (سبيت) و بلاد (البوغوس) الواقعة شمالها . و (هر) المخاور لها من الجنوب
شمال . فاحاصرت من الشمال و الشرق و الجنوب . فضلاً عن مجاورتها لها من الغرب منذ عهد
محمد على

لهذه السبب . يمكن مصر أن تثبت سلطانها و تدعم نفوذها فيها ، و بذلك تبقى الحبيشة
مستعدة . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس .
الحبيشة . و اكتسبت من طريقه ، دون أن يفتقر صعوبة هذه المهمة و عواقبها الوخيمة
لاحشة كما يعرفها . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس . و ليس .

حتىه. وُيَحتَاز جيانا الوعة ومناورها الجرداء ، فصلا على أن حرباً لا تليد مصر بحال من لأحرل ، بل تخلف لها من المشاكل وتكيدتها من الحاسر والاضطراب ما هي في حق عنه . يحاصر إسماعيل بيته في فتح الحشة ، ويكن سياست إزاعها كست تم عن هذه العاية . قد تحرش بها ، وعمل على إثارة الحرب معها . على غير جدوى ، ووقع القتال على غير استعداد من مصر ، فحدث الهزيمة بالجيش المصري ، وأصابته أسائر القاذحة ، وكبدت الحرب الخزانة المصرية لأموال الطائلة ، في وقت ارتبكت فيه أحوالها ، واشتد بها الضيق . فكانت حرب الحيشة حقاً من كل ناحية . عزم إسماعيل تجريد حملتين في وقت واحد على بلاد الحيشة ، الأولى تهاجمها شمالاً من طريق مصوع ، والأخرى جنوباً من طريق ميناء « تاجوره » الواقعة على خليج عدن ، وعهد عداة الأولى إلى الكولونل أرنديروب بك^(٩١) Accadropp . ولتاية إلى مترنجير باشا .

حملة أرنديروب بك

(سنة ١٨٧٥)

زحمت الحملة الأولى من مصوع ، وكانت مؤلفة من ٣٢٠٠ مقاتل^(٩٢) مرودين بطاريتين من المدافع ، واقتحمت حدود الحيشة ، واستولت على الجاسس « الواقعة جنوبى سميت ، دون أن تلقى مقاومة تذكر ، وتقدمت قاصدة « جوندت » ولما علم الملك يوحنا برحمتها حشد جموعه ، وأخذ جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل ، سار ، قاصداً مصادمة الجيش المصرى . وأرسل أرنديروب بك رسالة إلى الملك يوحنا يطلب إليه بها جعل خبر الحاش حداً فاصلاً بين الحيشة ومصر ، فلم يعبأ بالرسالة ، وسعى الرسولين اللذين أولفهما إليه أرنديروب بك ، فتقدم الجيش المصرى ليسيئ الأخبار إلى الجميع .

(٩١) هو من صباط أركان الحرب . أصله تركى . ثم جده مصر وتعرف إلى الخيال اسود باشا . وليس أركان الحرب . فذهب إليه الحملة و الجيش المصرى على أن دون حملة الحشة كما زعم في مبادئ الكلام .
(٩٢) إحصاء الجيش سوزا : Suzura مصر ١٨٧٥ في مصر على عهد إسماعيل في تقريره للجيش عن حرب الحيشة ، ولد بشر هذا التقرير في مجلة مصر Revue d'Egypte مسمو جيلدهو على عاد مارس وأبريل ومايو سنة ١٨٩٦ م ٦٦٦ و ٦٧٣ و ٦٧٧

حملة جوندت

(نوفمبر ١٨٧٥)

اشتك الجيش في جوندت يوم ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ . وكان حش حشته « كبر سدد » وأشد حراسة من الجيش المصرى ، فحصى وعلين القتال . وانهت معركة سرعه حش المصرى . وقتل معظم رجاله ، ولم ينج منهم إلا امر اليسر . وكان من بين القتل أرنديروب بك وإيراكيل بك نوبار محافظ مصوع . وارتدت للول الحملة مبرمة إلى مصر .

حملة مترنجير باشا

أد الحملة الأخرى فقد نولها مترنجير باشا ، فأمر من مصوع على رأس ثلاثة بلوكات من الحدود المصرية والسودانية ، ونزل في « تاجوره » بيشكل منها معدات الحملة من الإبل ، وترك معظم الجند في تاجوره حتى يتم إعداد الحملة ، وأقطع هو في قوة صغيرة من الجند بصحبة الرأس « بورو » الذى كان على خلاف مع الملك يوحنا ، ونزل في رأس « جيلاجمو » الذى يبعد عن تاجوره غرباً بحسبة عشرة ميلا ، وقصد إلى بحيرة « أوسا » Aoussa الواقعة في الجنوب الشرقى من الحيشة ، ووصل إليها يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ، بعد مسيرة مبرمة أيام .

مقتل مترنجير باشا

(نوفمبر سنة ١٨٧٥)

قابل مترنجير باشا في طريقه إلى بحيرة « أوسا » ابن الشيخ محمد الحدة أمير ذلك الإقليم ، فتظاهر له بالولاء للحكومة المصرية . ولكنه كان يصر له السوء . فاطمأن إليه مترنجير . واتحده مرشداً وصيراً . وسارت الحملة إلى أب عسكرت بالقرب من شاطئ البحيرة ، فيها كان الجود باشا (ليلة ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥) هجم عليهم رجال القبائل غيلة بقيادة الشيخ محمد الحدة . وأعملوا فيهم السيف ، وقتلواهم تكاد دريقاً ، وشنت الواقعة في جميع الظلام

حدود انصرية من أرض الحبشة ، ويرد الملك الأسرى إلى مصر ، ويصح طريق التجارة بين مصر وحبش

مستدس مسمى وقعت بك عن عقد الصلح وبقيت سنيت في أملاك مصر^(١٦٦) ، وعاد هوبنالي لأسرى إلى مصر ، وأبحرت قلوب الحملة إلى السويس ، وبلغت خسائر مصر من رجال في الحملات التي جردتها على الحبشة ٨,٥٠٠ قتل

نتائج حرب الحبشة

نكثت مصر في هذه الحرب التزم خسائر فادحة في الرجال والمال ، وتصعدت هبتها لما أصابها من الهزائم المتوالية ، وكلفت الخزانة المصرية نحو ثلاثة ملايين من الجنيئات^(١٦٧) ، في وقت كانت تنوء فيه بالديون الجسيمة ، ونماى أشد ضروب الاوتياك الملل .

وليس يخفى أن هذه الحرب وقعت في الوقت الذي تحفزت فيه الدول الاستعمارية ، وخاصة إنجلترا ، للتدخل في شؤون مصر المالية والسياسية ، فانهزام الجيش المصري ، في تلك الحرب ، قد ضاعف آمال إنجلترا في التطلع إلى احتلال مصر ، ذلك أنها كانت تحسب حساباً كبيراً لقوة الجيش المصري ، منذ تبينت مكائده ووسائله في المعارك التي خاضها تحت لواء إبراهيم باشا ، ولكن هزيمته في الحرب الحبشية كشفت عن ضعفه ، وهن القومى القارية أطنابها في نظامه ، ففقد المهابة التي كانت له من قبل .

فالحرب الحبشية كانت تجربة مؤلمة ، أظهرت ضعف قوة مصر الحربية ، ولم يكن من سبيل إلى عديد هذه الحقبة في وقت أشرمت فيه حكومة علي الصبر والعسر لمن ، في أواخر عهد إسماعيل . وليس ثمة شك في أن هذه النتيجة كان من شأنها أن تغرى إنجلترا بحميم أطرافها في مصر ، فلا جرم أن تضاعف مداخلها في وضع يدها على البلاد ، وما زالت تدأب على تلك الخطة مدى خمس سنوات حتى وقعت الحوادث العراقية التي انتهت بالاحتلال الإنجليزي

(١٦٦) - ح. ب. إيطاليا بعد حلا مصر للسودان واحتلالها شرقاً من مصر

(١٦٧) - ح. ب. مصر - موزر فصل الخامس في مصر على عهد إسماعيل في تقريره المسمى من يونيو سنة ١٨٧٧ السابق

حكمدارو السودان في عهد إسماعيل

انتهينا من بيان الحوادث الهامة في السودان على عهد الخديو إسماعيل ، والآن نذكر مدة عامة من حكمداري السودان على البحر للذى اتبعناه في كلامنا عن عهد محمد علي باشا (عصر محمد علي ص ١٧٧ من الطبعة الأولى)

موسى باشا حمدي

كان على السودان حين تولى إسماعيل الحكم (موسى باشا حمدي) ذو الأحوال الجيدة والمآثر الحسنة ، وقد سر الخديو من أماله ، وأنعم عليه برتبة العريق ، فذهب إلى مصر في يوليو سنة ١٨٦٣ ليؤدي واجب الشكر ، وأطلع الخديو على أسواق البلاد التي يحكمها ، فلق من إسماعيل باشا عطفاً كبيراً ، ثم عاد إلى مقر عمله بالخرطوم .

وعنى بزيادة عدد الجند فوصل عددهم في عهده إلى ثلاثين ألفاً من الجنود النظاميين والباشيزق ، وسار في حكمه حجة ودراية ، وفق حكمداراً للسودان إلى أن توفى سنة ١٨٦٥ بالخرطوم ، ودعى بها .

جعفر صادق باشا

(١٨٦٥ - ١٨٦٦)

ثم خلفه جعفر صادق باشا . وفي عهده فتح الجنود المصرون فاشووه سنة ١٨٦٥ كما تقدم البيان

إنقاذ ثورة كسلا

وفي عهده أيضاً أقمعت ثورة شت بين الحشود السودانيين المراططين في (كسلا) وعدتهم نحو أربعة آلاف حمدي

ظهرت هذه الثورة في أواخر عهد موسى باشا حمدي ، وخرج أسبانيا إلى سوء إ.
الحكام ، وتأخير دفع رواتب الجند ثمانية عشر شهراً ، فأرأوا وعصوا الأوامر وتمردوا على

وسنهد . وقتو بعض الصباط ، وسبوا أموال الأعيان ، وغربوا بعض القرى ، فأخذهم الحكومة بحيلة تارة ، وبالعنف والقسوة تارة أخرى ، ولما بلغ عدوهم إسماعيل باً هذه الثورة معه ، أمره هجوماً كبيراً ، وبعت بحمر صادق باشا حاكماً على السودان ، وأرسل أوامره إلى السلطات المحلية بإمداد قوات الحكومة في كمال الإخاء الفتن .

وقد كان الفصل في إخمادها لضابط موداني كبير يسمى (آدم بك) ، وهو من خيرة صباط جيش مصرى ، تلقى التعليم الحرفى في مصر على عهد محمد على باشا ، ورافق إبراهيم باشا في حروبه بسوريا ، واشتهر بالبسالة والإقدام ، في المهارة والكفاءة . وقد أرسل إليه الحديو خطاباً يدين على تقديره لشجاعته استعنه فيه على العمل لإخماد الفتنة وعظمه معه . « وإلى أعلم بإسافتك وحسن سياستك ، متذكنت مع المرحوم والدنا في سوريا ، فحققت آمالك بك ، وعند الثوار الثورة انحضر إلى مصر والسلام » سبتمبر سنة ١٨٦٥ (١٢٠)

أدى آدم بك مهمته خير أداء ، فخطب الثائرين بالحنس ، ووعدهم بأن يحصل لهم على حقهم من الحديو ، فأخذوا إلى الطاعة ، ثم جاء حسن باشا القائد العام للجند ، وعقد مجلساً عسكرياً للنظر في أمر العصاة ، فقرر تجريدهم من السلاح ، واحتفالهم حبساً حتى يرد أمر الحديو في شأنهم ، فثارت الفريضة من جديد ، بسبب ظرسة بعض ضباط « ياشيوزى » فاطلق الحند الرصاص على الثائرين فقتل كثير منهم ، واعتقل الباقون .

جعفر مظهر باشا

(١٨٦٦ - ١٨٧١)

تم حصر جعفر مظهر باشا وتكبل الحكمدار ، فحقق أسباب الثورة ، وأوقع العقاب على من سلك فيها . ونهى على يده إخمادها . وأمر الحديو على آدم بك برتبة اللواء مكافأة له على ما بذله من أهمية في إخماد الثورة . وفى غضون ذلك مرض جعفر صادق باشا وعاد إلى مصر ، عين حمر مظهر باشا حاكماً للسودان ، فسار صيرة عدل وإصلاح ، وكان من غير حكام السودان . ونظم

(١٢٠) من كتاب السودان لعم بك شفيق ج ٢ ص ٤٢

إبراهيم . وأصلح دار صناعة الخرطوم ، وأنشأ بعض المدارس وفتح عدة محاكم للفصل في منعت الناس .

وفى عهد عمن آدم بك الضابط السودانى المتقدم ذكره قاعداً عاماً للجيش المصرى بالسودان ، وأنتم عليه بالباشوية ، فصار يعرف بآدم باشا . وقد أظهر ولاء صادق لمصر والحكم المصرى

وفى عهده أيضاً نشطت الحكومة المصرية في مطاردة تجار الرقيق ، ووجه صمويل بيكر ، من بعثة من الجيش المصرى على إقليم خط الاستواء وضمه إلى أملاك مصر كما أسلفنا ، وكان مظهر باشا يناوئه في مهمته .

واشتهر مظهر باشا بالعدل والزراعة ، ولا فرق فهو أعظم ولاية السودان شأنًا ، وأحسب سمية ، وكان يقرب إليه هؤلاء السودان ويكرمهم ، ذكر عنه إبراهيم باشا فوزى أنه فارق الخرطوم وعليه دين يرمى على ألف جنيه ، وهذا من أقوى الدلائل على نزاهته ، وقال أن راجه لم يكن يقى بمحاجاته ، لكثرة ما كان ينفقه على الفقراء والمعوذين ، وما كان يقبضه من المآدب للطمع ودوى الفصل ، قال ولا يزال السودانيون يذكرون له هذه الحيات ، وهم مجمعون على أن أيام ولايته كانت حرة في جيبى السودان (١٢١) .

وقد عين في سبتمبر سنة ١٨٧١ عضواً بمجلس الأحكام بمصر (١٢٢) فافصل عن منصبه في السودان ، وعين في مكانه ممتاز باشا

ممتاز باشا

(١٨٧١ - ١٨٧٤)

هو من صباط مرموق في الجيش المصرى ، وكان سعى السيرة مرموقاً بمرشاه وشكاه لأهله . من حديو ، فأمر بالتحقيق معه ، وسعى بالخرطوم وهو التحقيق ، ومات بالسنس ، والأثر الوحيد الذى تركه أنه علم الأهلى زراعة القطن

(١٢١) السودان ج ١ ص ٦٧

(١٢٢) الوقائع المصرية العدد ٤٤٦ الصادر في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٧١

إسماعيل باشا أيوب

(١٨٧٣ - ١٨٧٧)

في عهده اتسعت فتوح مصر اتساعاً عظيماً ، ففتحت سلطنة دارفور عن يد الزبير باشا رحمت ، وضمت زيلع وبربره . وفتحت سلطنة هركا بيتاه في موضعه ، وله فصل كبير في بسط رواق العمران في السودان ، فقد أمن السبل ، ووطد دعائم الأمن في واجبه ، وشط الزراعة والتجارة والصناعة ، وعلى يده أنشئت محطات عسكرية بين الخرطوم ودارفور إلى حدود واداي ، وبين يبر على النيل وسواكن على البحر الأحمر ، لتأمين سبل المواصلات ، مما كان له أثره في تشييط التجارة ، وهي بتوسيع زراعة القطن ونشأ مهندسين جميع الأنفس وسجوها ، وفي عهده أنشئت عدة مكاتب سرية في أهم المعاصم ، وقد برز من مصبه في أن تدخلت السياسة الإنجليزية ، وأوعزت إلى الخديو إسماعيل بتعيين غردون باشا مكانه ، فنقل إسماعيل باشا أيوب عضواً بالمجلس الخصوصي العالي (مجلس الوزراء) ، وهذا التعيين وإن كان دليل الرضا عنه ، لكنه أدى إلى انفصائه عن السودان ، ثم ترقى في المناصب ، إلى أن صار وزيراً للدخلية عقب الاحتلال الإنجليزي ، وإليه سبب امتناع الحكومة عن إرسال الجدة التي عليها عبد القادر باشا حاكم السودان لإنقاذ الفتنة المهدية ، ثم استعاضاه من السودان سنة ١٨٨٣ ، مما كان سبباً في استعجال الثورة ، وشدة المطامع الإنجليزية ، كما سببه في موصله ، وتوفي سنة ١٨٨٤ .

غردون باشا

(١٨٧٧ - ١٨٧٩)

بقطع الكولونيل غردون عن السودان طويلاً ، فبعد أن استقى سنة ١٨٩٦ من منصبه أولاً ، وحاد إلى إنجلترا ، صحت الحكومة الإنجليزية لدى الخديو كي يصب حاكماً عاماً لسودان ، وهكذا تدرجت السياسة الإنجليزية في تدخلها في شؤون السودان ، فبعد أن كان غردون حاكماً لحظ الاستواء ، صار لحاكم العام للأقاليم السودانية جميعها . وهذه أول مرة

وفي فيها هذا المنصب الخطير حاكم نجدي . وهو ليس حاكماً لنجدياً فحسب ، بل ينتمي إلى دولة لها في مصر مراتب استعمارية لا يخفى . ركبت تتطلع إلى مصر وتعمل على إنشاء جمهورية عربية حديثة تنسبها على أنقاض الامبراطورية المصرية .

فبعد غردون حاكماً عاماً على السودان . هو هو كمن يمسسه الإحسنة . ودبل على منع ما أدركته من بعد . سياسي في بلاد السودان . ولا يخفى أن هذا التعيين وقع سنة ١٨٧٧ . أي بعد أن حصل خبراً بخصوص لأور يتدخل في شؤون مصر . وبدأ تدخله بعمل بشرائها أنسبه معه في قناة السويس سنة ١٨٧٥ . وأهبط ذلك تدخلها والدول في شؤون مصر طالبة بإنشاء صندوق الدين ، ثم فرض الرقابة المالية على مالية الحكومة سنة ١٨٧٦ . فتعين غردون هو من آثار ارتباك مصر المالي ، ومن نتائج سياسة إسماعيل المالية ، فقد كان يظن أنه يستطيع عمل هذا التعيين كسب عطف إنجلترا ، لتعاونه في عمله ، لكنه لم يزل أي مقابل هذه النحة العظيمة . وعلى العكس ، كانت إنجلترا أشد حيله وطأة من الدول الأخرى ، وكذلك شأن السياسة الإنجليزية في مصر ، تأخذ كل ما تستطيع أخذه ، دون أن تعطي شيئاً . ويستفاد من رسائل غردون أن إسماعيل كان متردداً في إسناد هذا المنصب الخطير إليه . ولكن غردون رفض أن يذهب إلى السودان ما لم يمين حاكماً عليه ، وكان يظن أن الخديو لا يقبل هذا الشرط (٦٨) . ولكن ضغط السياسة الإنجليزية ، وانقاس الخديو الجدة منها في محته المالية ، كل ذلك مال به إلى التساهل والتسليم ، وأصدر في ١٧ فبراير سنة ١٨٧٧ مرسماً لغردون باشا بالولاية على جميع أصقاع السودان بما فيها دارفور ، وبحر الغزال ، وشط الاستواء ، وهرر ، وسواحل البحر الأحمر مع مصر ، وسواكن ، وزيلع ، وبربره (٦٩) ، ونحوه في حكمه سلطنة مطلقة ، عسكرية ومدنية ، وكان سلطان مصر في السودان قد بلغ وقتئذ أقصى مداه ، إذ امتد من سواحل البحر الأحمر وخليج عدن إلى قبائوس الهندى شرقاً . إن حدود واداي غرباً . والبحيرات الاستوائية جنوباً .

لم يكن غردون على كفاءة للاضطلاع بأعباء المنصب الكبير الذي تولاه ، بل كان صريح التأثير ، سهل الانقياد لمن يثق به ، كثير التصديق في آرائه ، ولم يقرب منه إلا بحرية . لا بالرفيق . واحتكار الحاج ، لكنه أسرف في عمله ، ولم يأخذ الأمور بالحكمة وبعد النظر .

٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥

(٦٩) كما وردت في : الوقائع المصرية ٦٩٨ و ٦٩٩ الصادرين في ٢٥ فبراير و ٥ مارس سنة ١٨٧٧

و. شاي لويج بك : « إن أمر غردون باحتكار الحكومة محصول الحاج قد أثار بخار سودان على الحكومة ، وعزلاء التجار كانوا مادات السودان الحقيقيين ، فكان هذا العمل سطوي على الظلم الثورة المهدية ، وكانت إدارته عرضي ، وبالجملة فقد تولت حكم السودان ، والأس واليسار بسودانه ، ولما غادره سنة ١٨٧٩ ، كان بنوه تحت أعباء ميون ، والثورة تسمخص في أنشائه (٧٠) .

وقد جعل غردون اعتماداً على الموظفين الأجانب في تلك الأصقاع النائية ، فمصر سناليا بك Messodaglia مديراً للقاهر (دارفور) وكان إيطالياً ، وجيوش باشا Gessi الايطالي مديراً لبحر النزال . وغرد بك روسي Rossel قنصل لثانيا في الخرطوم مديراً لدارفور ، وشارل رينجولي Rigoli المرسوي مديراً لداره ، واميلاني Emiliani مديراً لكينيه ، والدكتور زورجين مفتشاً للصحة ، والصابط (سلطين أحد ضباط الجيش المصري مفتشاً للآلية ، وهو الذي صار فيما بعد سلاطين باشا صاحب اللواقظ المشهورة أثناء الثورة المهدية ، وجيكر باشا المصري ، مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق ، وهلم جرا .

وكان الكولونيل (بروت) الأمريكي يتولى الحكم في مديرية خط الاسراء ، فحين يئله إبراهيم لوري (باشا) ، ثم ما لبث أن أكاله وحين في مكانه الدكتور شتر الألمان الذي صرف بعد ذلك بأمين باشا .

وأعمل غردون شأن المقاطعات الامتوازية ، ولم يكن يوطيه سلطة الحكومة المصرية فيها ، مكانه كان يبنى إقصاءها عن الحكم المصري ، تمهيداً لإدخالها في منطقة النفوذ الانجليزي وأهمل المدارس التي فتحها الولاة من قبل ، وتلوع إلى ذلك بقلة المال ، ومنع إرسال الطلبة الناجمين بمدرسة الخرطوم إلى مصر ، وعزل الموظفين مهم

وشملت الفتن والثورات معظم مدته ، وكان عهده تديراً بشيوب الثورة المهدية ، وساعد على شيوب الفتن تشده في إبطال الرقيق ، وتقص قوة الجيش المصري في السودان ، كما أخذته الحكومة من صعوه من الأملاد التي أرسلتها إلى تركيا في حرب البلقان (سنة ١٨٧٧) .

تارسلان بن الزبير باشا سنة ١٨٧٧ انتقاماً لآليه ، إذ كان ممنوعاً من الرجوع إلى السودان ،

(٧٠) مصر ومصرياتها لصحيفة : الكورنيل شاي لويج بك ص ١٨٩

وطمع في الاستقلال ببحر العزل . فأنفذ إليه غردون باشا حملة طارئة وأوقعت به ثم عاد يقاوم الحكومة ، فأند إليه غردون حملة بقادة حتى ص - سبب سرعة سجين ومقتله (يولييه سنة ١٨٧٩) . وقد حزن عليه بوه الزبير باشا حزناً شديداً ، لكنه بقي مؤلياً للحكومة المصرية

وتار قائد من فود جيش الزبير يدعى (الصباحي) ، مطارته الجود المصرية حتى أدركه ، وحوكم أمام مجلس عسكري وحكم عليه بالإعدام (مارس سنة ١٨٧٩) وتار في دارفور أمير من سلالة سلاطين يدعى هارون ولقب نفسه بالرشيد ، وبه الأهلون سلطاناً عليهم في أوائل سنة ١٨٧٧ ، فحاربه الجود المصرية حرباً طويلة ، انبث بقتله في أوائل سنة ١٨٨٠ (٧١) ، وسمى غردون في الاتفاق مع يوستا ملك الحبشة على تحديد التحويم بين مصر ، فلم يوق إلى ذلك ، وفي أواخر سنة ١٨٧٩ جاء إلى مصر ، وكان ذلك في أوائل حكم المدير توفيق باشا ، وقدم استعاه من منصبه ، فميت الحكومة محمد رموف باشا حاكماً للسودان خلفاً له ، وهو آخر الولاة الذين حكموا السودان قبل الثورة المهدية ، وفي عهده ظهرت بوادر تلك الثورة المشتومة التي قضت على نفوذ مصر في السودان ، ومهدت للحكم الإنجليزي في أرجائه

التقسيم الإداري

دخل على التقسيم الإداري في عهد إسماعيل تعديلات أنضى إليها في الغالب التوسع في المنح وضم بلاد جديدة إلى السودان .

فصار مؤلفاً من المديرية والمحافظة الآتية (٧٢) :

المديرية والمحافظة	العاصمة
مديرية الخرطوم	الخرطوم
مديرية سنار وفازوغل	سنار
مديرية بربر	بربر

(٧١) دارفور في عهد غردون باشا لسناليا بك . مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ٣ عدد ١ ص ٦٧ (مايو سنة ١٨٨٨)

(٧٢) انظر إحصاء سيبو C. B. S. كبير محتو الري بالسودان في كتابه (النيل والسودان ومصر) ص ٩٧ .

ويعوم بك شير في كتاب السودان ج ١ ص ٦٧

مديريات وأمفطات

مديريات	مديريات
دققة	مديريات
كلا	مديريات كسلا أو الناكه
فاشود	مديريات دشود
الأيصر	مديريات كره
الاشر	مديريات الفاشر
د	مديريات دارفور (١٩٣٧)
كبكيه	مديريات كبكيه
ديم الزير	مديريات عمر الغزال
الإسماعيلية (مذكور) ثم	مديريات خط الاستواء
اللاذو ثم ودلاي	
وكانت مقسمة إلى مأموريات لانوكا، ووير، ومكره، ومتينو ودلاي، وطويه	
سواكن	محافظة سواكن
مصوع	محافظة مصوع
هر	محافظة هرة
زيليغ	محافظة زيليغ
بربره	محافظة بربره

الجيش المصري في السودان

بلغ الجيش المصري في السودان على عهد إسماعيل نحو ٣٠ ألف مقاتل موزعين على المراكز الآتية

دققة، زير، الخرطوم، سنار، الفلابات، الحيرة. (بالقرب من حدود الخنكة)
لنصارف، كسلا، أمبدييه، سيوت، سواكن، كردفان، دارفور، عمر الغزال، خط
الاستواء، مصوع، هرة، زيليغ، بربره

(١٩٣٧) ذكر دكتور سيدني بك مدير دارفور في عهد فردون بلش في حقه لتقرير لجنة الحمية البحرية المبرانية المدعوية مجموعة ٣
عدد ١ (يناير سنة ١٩٨٨) من ٤٩ مع تسمية مديريات كبكيه باسم كركال ويوافق التقسيم المبراد في خريطة سيداليا بك داته
من السودان تنقحه بالكتاب الأزرق الايطلي Blue Book ١٩٨٣ ج ١١ ص ٣٩



ودرع الدخان في القصارف ، وأنتج صفحا لا يقل جودة عن دخان الأناصول ، وأصعقه
 سخون في جميع أراضي السودان ^(٧٧) ولما تبين ذلك (باشا) حولا للبحر لدرعية
 حبر (الرحاف) ^(٧٨)

وكثير حصل لي دمنه ، ورد محصور ، تمر كل سنة ، وكان يعمل إلى مبر و الخرطوم ومن

هذه يوصل إلى أقصى السودان حتى حط الاستواء - الحشة .

طرق المواصلات

تسلط المواصلات بين مختلف بلدان السودان في عهد الحكم المصري ، والبك أهم
 الطرق التي كانت تسلكها القوافل أو السمر ^(٧٩)

- ١- من الخرطوم إلى الأنص عاصمة كردلان - ١٢ مرحلة سير القوافل
- ٢- من الخرطوم إلى العاشر عاصمة دارفور ٣٢ مرحلة سير القوافل
- ٣- من الخرطوم إلى خندكرو (الإصمعية) بطريق النيل والمسافة بينهما بالبر والبحر في ثمانية عشر يوما .

- ٤- من الخرطوم إلى قود رجب على بحر عطبرة - ست مراحل .
- ٥- من الخرطوم إلى دنقلة - ٨ مراحل .
- ٦- من الخرطوم إلى أبو حواز للقصارف وتقطع المسافة بينهما في ثلاثة أيام بالبر والبحر ثم
 خمسة أخرى على ظهور الجمال
- ٧- من الخرطوم إلى عمود رجب مكسلا في ثمانية أيام ، من
- ٨- من القصارف إلى القلانات في أربعة أيام على ظهور الجمال
- ٩- من القصارف إلى (البحيرة) في يوم ونصف على الجمال
- ١٠- من القصارف إلى مكسلا في خمسة أيام بالجمال

(٧٧) النيل والسودان وعصر سبيل شيبو بك من ١٠٩

(٧٨) ملك عهده حبره عدد مائة سنة ١٨٨١ من ٣٦

(٧٩) كما ذكرها الكولونيل سوارث في تقريره بظفر بالكتاب الأول الإقليمي عن عصر سنة ١٨٨٣ (ج ١٦

من ٨)

أعمال السودان

بدأ في عصر محمد علي (ص ١٨٠ وما بعدها طيبة أولى) عمران السودان في عهد
 محمد علي ، ثم ذكرنا في الفصل الثاني - كتابنا الحلال مات على يد سعيد باشا من الإصلاح .
 والآن نذكر أعمال عمران التي تمت في عهد إسماعيل ، جدا ما ذكرناه فيما تقدم من البنا

استيابة الأمن

كان من أول ما فعل في الحكم المصري في السودان بسط روافق الأمن ، وهو قيام عمران
 وأساس تقدم الرورع والتجارة ، ويكنى دليلا على فصل الحكم المصري من هذه الناحية كند
 السير صمويل بيكر في هذا الصدد ، قال : « إن السائح الأوروبي يمكنه أن يجوب تلك
 الأصقاع السعيدة ، دون أن يخشى على نفسه أكثر مما يخشاه من يتتبعه بعد غروب الشمس في
 حديقة هايدبارك بلندن »

الزراعة

وانشئت الزراعات المحلية في أنحاء السودان وخاصة في عهد إسماعيل باشا أيوب ، فقد
 عمل على توسيع مناطق ررع القطر . واستقدم لهذا الغرض كثيرا من آلات الري لتوفير المياه
 اللازمة للقطر ، وأُنشئ في هذا السبيل أموالا طائلة لشراء الآلات ونقلها عن طريق سواكن ،
 وأيضاً معمل لتجميع القطر في مكسلا والخرطوم ^(٨٠) . وكان في بيته إنشاء معمل آخر في (بربر)
 لكنه فصل عن حكمه السودانية سنة ١٨٧٦ ، وعين بدلاً من خردون باشا .

وانشئت زراعة القطر في السودان الشرق ، وأُنشئت أسواق لبيع محصوله في مكسلا
 والقصارف (أيوس) والقلانات ، ووصل لمكسلا أهمية تجارية كبيرة لكثرة ررع القطر
 حوضا ، فضلا عن موقعها الأخرى

(٨٠) ذكر في الواقع المصرية عدد ١٨٨٨ الصادر في ١٠ مارس سنة ١٨٧٦ وأبعد سلطج الأقاليم بمكسلا ، وبناء ذكر
 والده للخرطوم في كتاب شيبو بك ، النيل والسودان وعصر ، من ٣٥

- ١١- من فوز رجب إلى مواكس في أحد عشر يوماً على ظهور الجبال
- ١٢- من مصروح إلى سيوت (محصنة الوعيس) في خمسة أيام على بحر
- ١٣- من سيوت إلى كسلا في سبعة أيام بالجمال
- ١٤- من غندكرو إلى الدملاي سيراً على الأقدام في تسعة أيام
- ١٥- من غندكرو إلى مبولو في ٣٤ يوماً سيراً على الأقدام
- ١٦- من غندكرو إلى فوريه في ١٨ يوماً سيراً على الأقدام
- ١٧- من غندكرو إلى لاتوكا في تسعة أيام سيراً على الأقدام
- ١٨- من غندكرو إلى مكركا في سبعة أيام سيراً على الأقدام
- ١٩- من القاشر إلى أسيوط في أربعين يوماً على ظهور الإبل

المواصلات النيلية وفار الصناعة بالخرطوم

وأصلح عمري النيل في شلال (حكه) جتري وفدى حلقاً ، ونسخت الصخور والمنعيات التي كانت تعترض السفن فيه ، فصار صالحاً للملاحة لنيلية ومرور السفن الشراعية والبواخر ، سهلت المواصلات بين مصر والسودان (٧٨) وأزيل جزء من السدود على النيل الأعلى (٧٩) . وأصلحت ترسانة الخرطوم التي كان إنشاؤها في عهد محمد علي ، وكثرت بها البواخر النيلية ، وبلغ عددها ١٥ باخرة وعدة دميات مصنوعة من الحديد والخشب ، وقد أرسلت هذه البواخر من مصر إلى الخرطوم بطريق النيل على الباخرة (الإسماعيلية) التي أبحرها الحكامون لركوبهم إليها نقلت قطعاً مكنكة وركبت في ترسانة الخرطوم وانشئت في هذه الترسنة أربع بواخر حديثة (٨٠)

الملاحة البحرية والقنارات

وأنشئ فئار في ميناء (بربره) من خليج حلق لتخليد السفن وتسهيل الملاحة . وبنى بها أيضاً وصيف لإيواء السفن بمصر

(٧٨) الوقائع المصرية العدد ٣٦٧

(٧٩) الوقائع المصرية العدد ٥٥٤ (٧) - ١٨٧٤

(٨٠) سيرة ملك من ١٧٩١

وعهد حديو إسماعيل سنة ١٨٧٨ في تكوونل جريفر GRAVES والفاستقام محمد مختار بك (شك) - وشرطى السومك شحة مصر والواقعة على المحيط الهندي لاحتياض موقع بدءه في دار برشد سن في صرندج من المحيط وخليج عديبد وقد اصطفا بهذه المهمة وحفظت من مبدء مختار بك خريطة هذه الجهة ومكان القنارات وهو يقع على بعد ثمانية أميال جنوب رأس جردفون (جردفون) وعلى مسافة ثمانية مائة من مصب بحر صغير يجري فيه الماء الحصب بود يعرف بوادي لشوره ولكن الماء لم يشأ ، لانتباه حكم إسماعيل في يونيو سنة ١٨٧٩

وتجد بالصحة الآتية خريطة رأس جردفون وموقع القنار الذي كان مزمعاً إنشاؤه كما حفظها الفاستقام محمد مختار بك

مشروع السكة الحديدية

وعهد الخديو إسماعيل إلى جماعة من المهندسين تخطيط السكة الحديدية التي تصل السودان بمصر .

وشرع في مد الخط الحديدي على طول ايل من وادي حلفا إلى (حك) ، وأمدق في ذلك نحو ٤٠٠ ألف جنيه ، ومد من الخط نحو ٥٧ كيلومتراً فقط من وادي حلفا ، ومهد الطريق على بعد ٤٧ كيلومتراً أخرى ، ثم وقف العمل سنة ١٨٧٨ بسبب ارتباك الحكومة المال .

المدارس

وأنشئت بعض المدارس كتدبير الأهالي وتعليمهم ، وعهد بالتدريس فيها إلى المتخرجين من مدرسة الخرطوم التي أنشئت في عهد عباس الأول . وقد رأينا في (الوقائع المصرية) (٨١) وصف احتفال فخم أقامته مدرسة (بربر) لانتدالية ، مناسبة امتحان سنوى . أشد فيه نجباء التلاميذ القصائد المنظومة ، وتم الاحتفال

(٨١) نظره في الصفحة المصرية بحرقه عدد ٩ (أغسطس - نوفمبر سنة ١٨٨٠ من ٢٦٩)

(٨٢) عدد ٢٦١ - ٢٦٠ ربيع سنة ١٨٧٤



رأس جردون - جردون

وكان من أملاك مصر على الجبل القمى في عهد الخديو إسماعيل ، حتى موقع القطار الذي احتزم إسماعيل بكشا
تسليم سنة ١٨٧٧
ومعه الخريطة مصورة من خريطة وضعها بالفرنسية اللواء محمد طاهر باشا ونشرت في مجلة الجغرافية الجغرافية
سنة ١٨٨٠

على نظام الجمعيات المدرسية في عهد إسماعيل

وأشأ أمين بك (باشا) في اللاهوت عاصمة مديرية خط الاستواء مدرسة لتعليم أبناء الأهالي

ومستشفى ومسجد (٨٣)

(٨٣) مجلة الجمعية الجغرافية - عدد يوليو سنة ١٨٨١ من ٣٧

التجارة

يسط الحكم المصري روافق الأمر في السودان ، فشطت حركة تجارة في بدايته . واتسع
مطلق المواصلات التجارية بينه وبين مصر ، وانتشرت فيه بيوت تجار كبرى تتولى إصدار
متاجر السودان إلى مصر وأوروبا وتجلب إلى السودان ووردات أوروبا ومصر ، وقد أثرت هذه
اليوت ، وصار لها شأن يذكر ، وأكبرها بيت السيد أحمد العقاد ، وبيت علي أبي حموري ،
وفرج الله الموصلي ، والحواجة عطاس ، وجيلو ، وامرواز وغيرهم . وقد مد هؤلاء حاسم
إلى أقاصي السودان ، وصار لكل منهم قوة مسلحة من السودانيين ، وأماكن للتجارة في
عطف الجهات تسمى « مشارع » ، يقيمونها على شكل مربع من حروق الأشجار ، ويقم
التاجر أو وكيله فيها بحراسة رجاله المسلحين ، ول هؤلاء الحراس مهمة أخرى ، وهي اقتناص
الرفيق للتجار بهم في أسواق مصر ، وقد ذرت عليهم تجارة الرقيق ثروات كبيرة لما فيها من
الأيام الحظائفة ، وما يدل على اتساع غزو هذه البيوت التجارية أن (الوزير باشا) الذي صار
له شأن كبير في السودان كان في بداية أمره وكيل بيت علي أبي حموري .

ولما احتزم الخديو إسماعيل منع تجارة الرقيق عهد إلى ولاية السودان الاتحاق مع أصحاب
« المشارع » على أن يتخذوا عنها للحكومة مقابل تعريصات تدفع إليهم .

وكانت هذه البيوت تتولى إصدار متاجر السودان ، كالعاج ، وريش النعام ، والحرير ،
والصمغ ، والحبوب ، والفحم ، والمواشي ، والتمر الهندي ، والبن ، والكنحل ، وقرن
الحريث ، وما إلى ذلك

وظلت التجارة مزدهرة في ظل الحكم المصري وبيع عدد بيوت لتجارة سموكه
للمصريين في السودان ثلاثة آلاف بيت ، والسموكه لأوروبيين ألف بيت ، وبلغت واردات
السودان في السنة مليونين من الجنيهات وصدراته مائة ألف هذا التقدير (٨٤)

(٨٤) من بيان تقدمه التجار الوسيون والأجانب في مصر احتجاجاً على إغلاق السودان سنة ١٨٨٤ ، وصحبه فيه ن
حلاوة يؤدي إلى بروز مآثرهم فيه (كوشري - المركز الدولي لمصر والسودان من ٦٨٦)

البريد

عهد الخديوي إسماعيل إلى مونتشي بك مدير مصلحة البريد المصرية إنشاء مكاتب منتظمة للبريد في عواصم السودان ، فصدع بالأمر وأنشأ بها عدة مكاتب ، وأنشئت إدارة البريد في الخرطوم سنة ١٨٧٣ احتلت بافتتاحها اجتماعاً فيها^(١٨٥) .
وأنشئت مكاتب منتظمة للبريد في الخرطوم ، ودققة ، وهرير ، وكسلا . وفتحت أيضاً مكاتب أخرى في سائر ، والمسلمية ، والقصارف ، وفاروق ، وكرجوع ، وفاشودة ، ولأبيض ، والقناشر ، وبقيت هذه المكاتب تؤدي مهمتها ، إلى أن تعطلت بعد شوب الثورة المهدية سنة ١٨٨٣ ، وظل مكتب الخرطوم مفتوحاً إلى أن سقطت المدينة في أيدي الثوار سنة ١٨٨٥

التلغرافات

طلعت الخطوط التلغرافية التي أنشئت في السودان لعاية سنة ١٨٧٠ ، ٢١١٠ كيلومتر ، وبلغ عدد مكاتب التلغراف في مدن السودان ٢١ مكتباً ، وذلك سنة ١٨٧٧ .
وهاك بيان الخطوط التلغرافية والمدن التي وصلت إليها^(١٨٦) .

- ١ - مصر دققة وهرير الخرطوم
- ٢ - الخرطوم - أبو مراد - الأبيض - ورجة
- ٣ - الخرطوم - نوحر - سلمية - سار - فاروق
- ٤ - سلمية - كوة
- ٥ - نوحر - نصراف - كسه - سبب - مصرع
- ٦ - كسه - ح (على ممر عسرة) - ربر
- ٧ - سركس - كسه

(١٨٥) الوقائع المصرية لسنة ١٢٨٨ (١١ مارس سنة ١٨٧٤)

(١٨٦) تقرير التكنولوجيا سوارث من السودان المنشور في الكتاب الأزرق الإنجليزي Blue book من مصر سنة

٨ - خصر - دوكه - جوف - نقصير - القلانات

٩ - نقصير - أسيرة (بالتقرب من حدود الحبشة)

وكان مركز هذه الخيوص في الخرطوم وقد ظلت دمه في عطف في عهد الخديوي
مهدية .

ميرانية السودان

ذكر عردو - باشا في رسالته ، من ٢٨١ - ميرانية السودان من ١٨٧٨ - سلف من الأرقام الآتية

٣٢٧,٠٠٠ جنيه دين السودان

٥٧٩,٠٠٠ جنيه إيرادات الحكومة

٦٥١,٠٠٠ جنيه مصروفاتها .

٥٧٢,٠٠٠ جنيه المحجز

الرحلات والبعثات الجغرافية

إن بسط سيادة مصر وسلطانها على وادي النيل قد مهد الطريق للاكتشافات والتحقيقات الجغرافية والعلمية في أرجاء السودان ، فحفل عصر إسماعيل بالبعثات والرحلات التي أنعمها الخديوي لهذا الغرض على نخبة الحكومة المصرية ، وقوامها ضباط أركان حرب الجيش المصري .
مكان لهم الفضل الكبير في مدرواق الحكم المصري ، ونشر لواء الحضارة في السودان ، ولم فضل لا ينكر في تقدم علم الجغرافيا والاكتشافات ، بأنصافوا إليها من الحقائق الماسة ، والبيانات المتكثرة ، والخرائط والرسوم الدقيقة .
وإنما دأبوا بالصفى والإعجاب موجر أعمال هذه البعثات والرحلات المصرية .
وما وصلت إليه من الاكتشافات الجغرافية .

فلول هذه البعثات حملة صمويل بيكر باشا إلى منبع النيل وقد أسلفنا الكلام عنها في سنة ١٨٧١ قامت بعثة برئاسة الأميرالاي (بوردي بك) Purdy أحد ضباط أركان حرب الأمريكان في الجيش المصري ومعه طاقمه من الضباط المصريين ، فجاوبوا

جهاز لواقعة بين النيل والبحر الأحمر ، من القاهرة والسويس شمالاً ، إلى قنا والقصر جنوباً ، وكتشور طرق المواصلات ومناجم المعادن واهاجر في تلك الجهات .

وفي سنة ١٨٧٣ سار الأميرالاي يوردي بك محرراً إلى موقع برنيس (برنيق) القديمة على البحر الأحمر (عربي رأس بناس) ولحقه بها الأميرالاي كولس Colston أحد الصباط الأمريكيان في الجيش المصري من طريق قنا برأ ، وتخطا الجهات المقفرة الواقعة بين برنيس و (بربر) على النيل وقصبا في هذه المهمة بقا وسبعة أشهر (٨٧) .

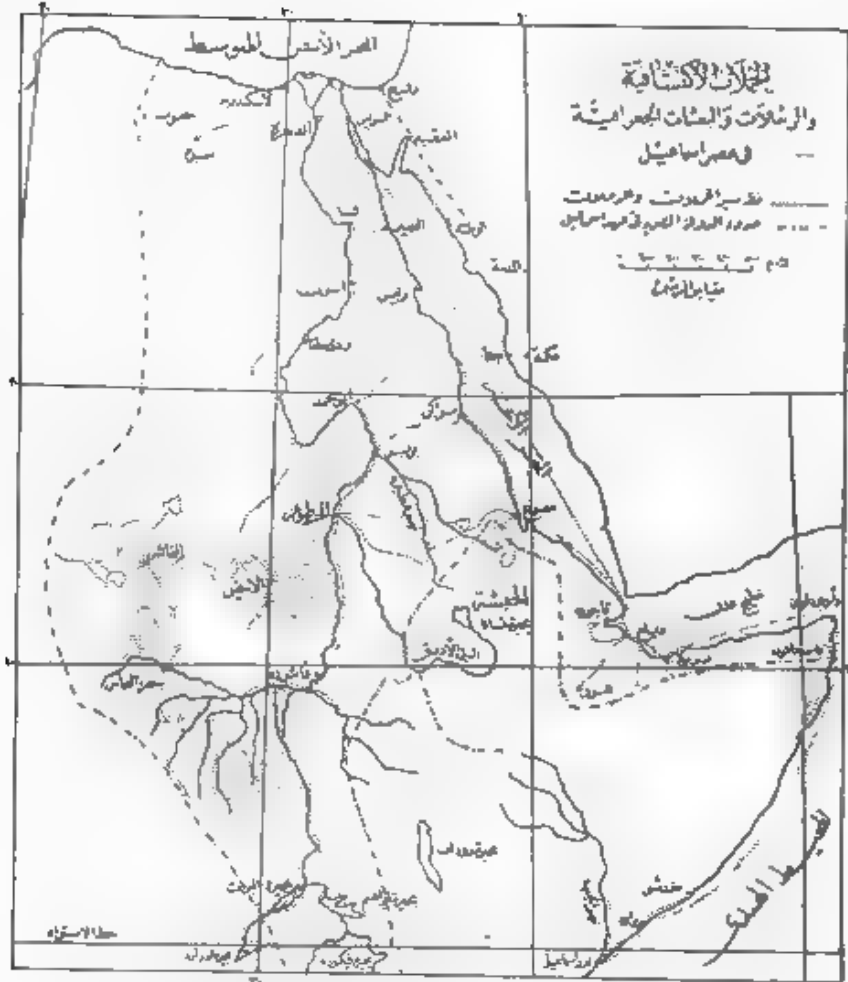
وفي سنة ١٨٧٤ اكتشف الأميرالاي شاي لوينج بك Chaille Long بحيرة إبراهيم كما يباء في موضعه ، واكتشف معظم مجرى النيل المعروف بنيل فيكتوريا ، وحقق بقعة كانت غامضة وهي أن نيل فيكتوريا يصب في بحيرة ألبرت ، وروى الطريق بين اللاموسوكركه جنوبى بحر الزبال

وبعد أن تم فتح دارفور سنة ١٨٧٤ أنفذ الحديو ثلاث بعثات كبرى مؤلفة من صباط أركان الحرب لاكتشاف جهات كردفان ودارفور .

البعثة الأولى برئاسة الأميرالاي يوردي بك ، ومن أعضائها القانعقم ميزون بك Maizon من الصباط الأمريكيان في الجيش المصري ، والملازمون محمود فتدي صبرى (باشا) ، ومحمد أفندي سامى ، وسعيد أفندي نصر (باشا) ، وعليلى أفندي حليم ، والدكتور محمد أفندي أمين ، ومهمتها اكتشاف جهات دارفور ، فكشفت المواقع وطرق المواصلات بين النيل و (حفرة النطس) بقصى حدود دارفور جنوبا بغرب (٨٨) ، وجابت أرجاء هذا الإقليم لعظم ، وكشفت من الطرق ما طوله ٦٥٠٠ ميل ، وحقت ٢٢ موقعا من المواقع الفلكية . ورسمت خريطة دقيقة لهذه البلاد .

والبعثة الثانية برئاسة الأميرالاي كلستون ، ومن أعضائها الصاغ أحمد فتدي حمدي (باشا) والأميرالاي بروث Prout من الصباط الأمريكيان في الجيش المصري ، والملازمون عمر أفندي رشدي (باشا) ، ومحمد أفندي ماهر (باشا) ، ويوسف أفندي

(٨٧) راجع تقرير الأميرالاي يوردي من هذه الرحلة في مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ثمة عدد ٨ من ١٩٦ ، وتقرير الأميرالاي كورس يا حلة المذكورة بمجموعة ثمة ٩ (أغسطس سنة ١٨٨٦) من ٤٨٩ ، وبثت الأستاذ كورس عن رحلة كولس من قنا إلى برنيس وخريطة الرحلة في مجلة الجمعية بمجموعة ٣ عدد ٧ (سبتمبر سنة ١٨٩١) من ٥٢٣ .
(٨٨) راجع بحث الأميرالاي (القواد) يوردي باشا عن هذه البعثة بمجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة عدد ٨ (مايو سنة ١٨٨٠) من ٥ وخريطة المنطقة بهذا العدد .



ول سنة ١٨٧٧ حارب الأمير لاني مروب من (Mauit) عبيد (جرب) وانهم لاكتشف
بني بدها هم سر صومون سكر ووضع حد حده دهمه .
وبعد الحادي سنة ١٨٧٧ بعثه رئاسة المستيريتوب لاكتشاف المعادن التي يجدها (مطين)
تجزيرة العرب .

وحقق صباط أركان الحرب برئاسة البكاشي عبد الله بك هوري (باشا) حدود الحبشة
والتيه والفرق من مصوغ وخرطوه ورشتر حرسب
وحقق حبسب ماث موقع خر حراز .

وحارب الأمير لاني محمد مختار بك (باشا) موسى سرور ن شرقي حين كان رئيساً لأركان
حرب السودان سنة ١٨٨٠ بصحب من صباط أركان الحرب خليل بك هوري واللازمان محمد
حميد الله وطلي عيسى ، وله بحث صهيب في تحليط نو حراز . وانقصارف (أموس) ،
واققلابات ، وطومات ، وأليبيب وطيرها من مدن السودان الشرق (١٩١)

ولاكتشف أمين باشا مدير خط الاستواء نهر السليكي الواصل بين بحيرة إدوارد وبحيرة
البرت

ورسم صباط أركان حرب الجيش المصري سنة ١٨٧٧ خريطة لأفريقية ، وهي أنق
خرطة عرفت إلى ذلك الحين . اشرك في رسمها كل من الأمير لاني لوكت Leochetti ،
والأنتمقام محمد مختار بك (باشا) والصح عبد الله بك هوري ، وعبد الرزق بك ظلي ،
والصباط محمود صدي (باشا) ، وأحمد فائق (بك) ، ومصطفى كامل ، وأحمد هسي ،
وحس حارس (باش) ، وحس صلوب ، ويرمهم حلفي . وعبد حورب ، وعبد غير
الله ويوسف صبا (باشا) ، وعلى حمد (باش) . وأحمد رشيد

وهذه الخريطة مودعه حسي بمخطوطات الجمعية الجغرافية المصرية .
ذكر لحرب سترور باش رئيس حرب الجيش المصري في عهد إسماعيل أن الجهاد
بحر حب صباط أركان حرب وحققوما ، ورسموا مواقيها ، بلغ في اتساع مداها مجموع
مساحة حرب وديب والنجا وخر (١٩٢) حدودها القديمة . هذا يدل على عظم الاكتشافات

(١٩١) هيئة الجمعية الجغرافية المصرية ١ - د. ٥ (يناير سنة ١٨٧٧ - فبراير سنة ١٨٧٨) ص ٥

(١٩٢) مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ١ - عدد ١١ (مارس سنة ١٨٨١) ص ٥

(١٩٣) الزمالات المصرية في أفريقيا للبريدال سرور باشا - مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ٦ - عدد ٧ (يناير ١٨٨٥)

حسن فادي هوري . والذكور معروفه Pfund العالم الطبيعي . وقد اكتشف
وحدثت مندها وديها وطرقا لواصلات فيها ، ورسمت خريطة دقيقة
من هذه سنة خلال الرحلة فيون ترسة بده الأند لاني رروب
فقدى عشاء حشيت ثلاث سنوات يصعب من دخل ويصرون بعداده وسبهمون

عبي الشخصية في سبيل الاصطلاح مهمتهم

والبطلة الثالثة : رئاسة للهنس الأمريكي مثل Michael ١٨٨١ يصحبه القباط
عبد التاج فدي قصي لاكتشاف المعادن بين النيل والبحر الأحمر ، وقد كشفت هذه البية
محم للذهب في (الحامة) شمال كذا ، ثم عريت بقود البحر الأحمر وتخليج عدن ،
كمعبر ومصوغ . وباحوره ، وريبع ، وروعب في القسل ، ثم عادت إلى مصوغ
واكتشف الجهاد الشريفة من الحنة

ورسم لرست ليان دي لمون (نر ليان باشا) الطريق بين خندكرو وديابجا عاصمة
لوعده ، وقد قتل وهو عائد من مهمته ، ومن بيانه وصح العلامة جورج شوهرت خريطة
من تلك الجهد

ورسم الكاشي محمد الفدي موت أحد ضباط متخير باشا خريطة الجهاد الواقعة بين
تاجوره وخيرة وأوسا باخيشة

ورسم محمد مختار بك (باش) وعبد الله بك هوري (باشا) خريطة بلاد مرز ، ورسم الأرن
خرطة الملية ، ووضع خريطة أخرى لرأس حردقون (١٩٠) (جودوي) وموقع الدار الذي
أصبح اجتماعا يشاه في تلك الجهة كما نعلم بيانه

ورسم صباط أركان حرب هادي باش جهات الواقعة بين مرز وريبع
ووضع بالانقسام عند الرزي بك ظلي خريطة برره وملحقها

واكتشف حده سروب لاني بعدها إسماعيل سنة ١٨٧٥ سواحل البحار الواقعة على الجهد
صدي وحدهب فدي (بار سمعيل) وسو سوبا . وهي الجهاد التي قصدت إليها حلقة كا
لصدا في موصمه

(١٩١) د. ٥ - عشار (من دهنس مادم وكان مدعى عسب زكان حرب حشيت المصري وعد فدي من هذه

مات في عك خديب حمدي حشيت حشيت ١ - عدد ١٠ أكتوبر سنة ١٨٧٩) ص ٧ و ١٥

١٩٠ - (١٩٠) الشخصية ، حردوب . ن حده العلامة حمد كر باش

والتحقيقات التي تمت على أيديهم

وقد صاغ كثير من مباحث هذه العتات ، لأن الاحتلال الإنجليزي تعمد أن يبدد أعمارها وحرانها وبجانبها العتية ، وذلك لكي يقطع الصلة بين جيشنا القديم بعيد بحيش الذي أنهه الإنجليز بعد الاحتلال ، هل أن المباحث الباقية لأعضاء هذه العتات تسجل لصاحب الجيش المصري أجل الخدمات للعلم والحضارة والعمران ، فإن الاكتشافات والعمليات الحدة المدي التي اصططلوا بها جديرة بأن تعد من مفاحر تاريخنا القومي ، ومن الصفحات المشرفة في تاريخ الجيش المصري والصباط المصريين

الحكم المصري في السودان وشهادة الثقافات من الأجانب

ذكرنا في كتاب « عصر محمد علي » (ص ١٨٢ من الطبعة الأولى) أقوال الثقافات من الأجانب فيما بلغه السودان من العمران على عهد محمد علي .

والآن نذكر ما شهدوا به عن عمران السوداني على عهد خلفائه وخاصة في عصر إسماعيل

قال السير صمويل بيكر سنة ١٨٧٣ في كتابه (الإسماعيلية) : « أن مصر وحدها هي التي تستطيع تمديد أرمية القبلية بإنشاء حكومة نظامية ، وسعياً أن تعد حدودها إلى خط الاستواء ، وبذلك تضمن حياة الساعين في تلك الأنظار ، واليوم قد أصبح امتداد حدودها الجنوبية إلى خط الاستواء أمراً واقعاً ، فافتحت أفرقة الوسطى للحضارة والعمران (٩١) .

وقال السير سوتزرا SUTZGER متصل المصا على عهد إسماعيل : « إذا علينا ما كانت عليه الشعوب في تلك الأنظار من المسيحية ، وجب علينا أن تعد خصوعها لسلطة الخديو تدريجاً نحو التقدم ، فإن هذه الشعوب أنجلت تألف الإدارة المنظمة القائمة على قواعد لاستقرار والنظام ، ومن جهة أخرى فإن الأنظار السودانية التي كانت مغلقة قد فتحت للتجارة والرحلات ، فامهد السبل لتسول الحضارة إليها (٩٢) .

وقال رودلف سلاطين (باشا) في كتابه (النار والسيوف في السودان) الذي وضعه سنة

١٨٩٥ حظه خلاصه من أمر التعايش (٩٣)

« إن السودان المصري يحكمه الآن (سنة ١٨٩٥) الخليفة عبد الله التعايشي : الرئيس المستبد لدعاة المهدي ، وقد كانت السوات العشر من حكم المهديين كافية لشر المبودية في نواحيه ، ومن الحق أن نقول إن السودان ظل سيمين سنة وبها . منذ عهد محمد علي مستظلاً بالحكم المصري ، مفتوحاً للحضارة والمدنية . والمتاجر المصرية والأوروبية تزدهر في حرمه ، والدول الأجنبية توفد قناصلها إلى الخرطوم ، والسجون على اختلاف أجناسهم يحويون خلال البلاد ، دون أن يلقوا بماتمة ، بل كانوا يلقون عطف ورعاية من ولاية الأمور . وانتظمت طرق المواصلات والتلغرافات وإدارة البريد ، فسهلت الاتصال بين أرجاء السودان القاصية ، وأدى الناس الشعائر الدينية بجله الحرية سواء في للساجد أو الكنائس ، وقامت مدارس البعثات إلى جانب مدارس الحكومة ، وعلى الرغم من تعدد القبائل التي تسكن السودان وما كان بينها من العداء ، ونحضرها للاتصال ، فإن حزم الحكومة وسلطانها كانا كافيين لتوطيد دعائم الأمن والسلام في عطف أصفاهه .

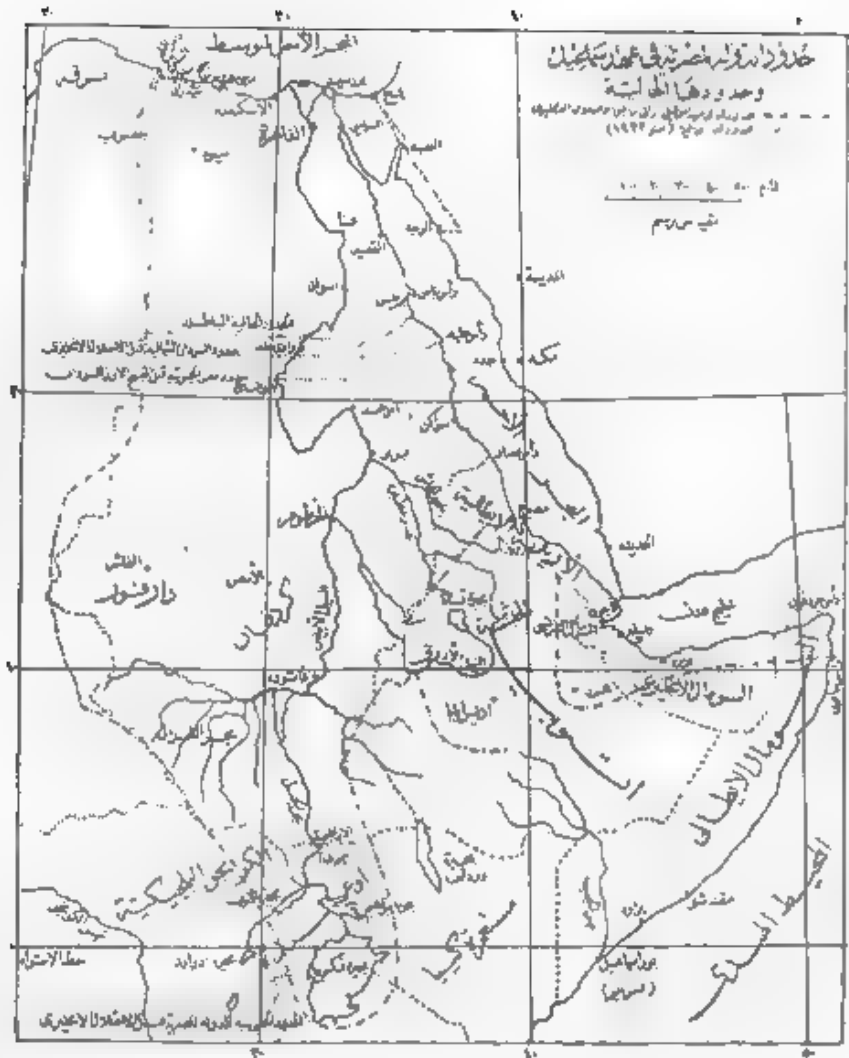
وقال في موضع آخر يصف تهذل الحلال بعد غيبة الثورة المهدية

« لقد شهدنا في السودان منظرًا محزنًا ، إذ رأينا الحضارة الجديدة التي دخلت مع الحكم المصري ، تتدهى أركانها ويتبدد صرحها بأيدي ألوان جهلاء يكادون يكونون من المسح ، فأسروا على أنقاض هذه الحضارة حكومة وضعوها نظاماً يشه في بعض أشكاله نظم الحكم المصري ، ولكنهم قضوا على ما ازدان به من العدل والتهديب ، فأقاموا في السودان صرح الظلم والاعتباط ، ولا يكاد المرء يشهد في التاريخ الحديث بلاءاً أخرى سادت فيها الحضارة للباشة زهاء نصف قرن من الزمان ، ثم انقلبت إلى حالة أقرب ما يكون إلى الممجية ، فإن الخليفة والقبائل التي تناصره ، بعد أن اغتصروا سلطة الحكم وانزعجوها من أيدي المصريين . يحكون الآن الأهلي التمساء حكماً جائراً ، ويسوقونهم بعضاً من حديد ، ويسومونهم من الحسف والكمال ما جعلهم يتوقعون إلى التخلص من هذه الدولة ويتطلعون إلى حكمه بمحسون في ظله الراحة والسلام ، وليس أقل على مبلغ ما عاناه السودان في عهد المهديين أكثر من عناه ما يقرب من ثلاثة أرباع أهله ، ممن اجتاحتهم الحروب والاضاعات ، والأمراض المختلفة والتفتيل والتكبل . »

(٩١) النار والسيوف في السودان نسخة الفرنسية ج ٢ ص ١٨٤ وما بعده

(٩٢) الإسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٢١٢

(٩٣) تقرير سوتزرا للشور في مجلة Revue d'Égypte للسير جاليفرود بك عهد مارس سنة ١٨٩٦ ص ١٦٩



وعلى كل موقع آخر « لقد بعد العهد بحالة السودان تحت حكم إسماعيل ، إذ كانت حكومة مصر - حينئذ - ريوحه لواء الحضارة والمدنية ، على حين كانت المفاع الحارجة هي مصته القود نصير في حالة الانحطاط والدحر . فالسودان بعد أن دخلته حضارة في ظل حكم المصريين قد تعرفت إليه الحمجية على عهد لمهدين »

وعلى ما كان عن رباط السودان مصر ، لما نجد هنا أن تذكره على الدوام وتجدده عبرة وعظة لنا وقاعدة لا تتبدل لسياسة في السودان

« رى رجا عن أن أبين وجهة نظري في أهمية السودان وقيمته لمصر . وأبدي الرأي الذي ثبت في قرارة نفسي فأقول ، إن الأسباب التي دعت محمد علي منذ خمس وسبعين سنة إلى ابتلاك السودان لا تزال قائمة إلى اليوم ، فالسودان هو مصدر الحياة لمصر ، وكل جهودها يجب أن تنصب إلى صيانة وادي النيل من أية غارة أجنبية ، فإن كل خطوة تخطفها دولة أخرى نحو النيل ينظر إليها بمعنى الفرغ من كل من يقدس خطر السيطرة الأجنبية على ذلك البر العظيم وما يجره من فضيحة سمادة مصر وتقديسها وتعرضها لأخطار المزار » .

حدود السودان المصري أمس واليوم

اكتمل الفتح المصري في السودان وبلغت الدولة المصرية حدودها الطبيعية على عهد إسماعيل ، فشملت جنوباً بحيرة ألبرت وبحيرة فيكتوريا والبلاد التي بينها ، إذ ضمت مملكة أوبيرو وسقطت حايها على مملكة أوغنده ، وبلغت شرقاً سواحل البحر الأحمر وخليج عدن ، ووصلت حدودها الجنوبية الشرقية إلى المحيط الهندي ، وضمت إليها في هذه التوالى سواكن ومصوع وريبع وبربره وهرر وسواحل السومال الشمالية ، وصارت جميع شواطئ البحر الأحمر الغربية من السويس شمالاً إلى بوغاز باب فلتب جنوباً ملكاً لمصر وامتدت سلطتها إلى شرقي خليج عدن ، من بوغاز باب فلتب إلى رأس جردود (جردوى) ثم إلى رأس حافون الواقع على المحيط الهندي . وبلغت حدود الدولة المصرية غرباً إلى مملكة وادى الوقعة غربى درعور

واليك ما ذكره الكولونيل ستوارت Stewart في حدود السودان المصري سنة ١٨٨٧ ، في تقريره الذى قدمه إلى البرلمان البريطانى سنة ١٨٨٣ (بعد الاحتلال الإنگلىرى)

سنة وبيع وشرب فيه ، في أرض وعصية ، ومصر - وبذلك فقد كانت مصر من مملوكات
والأرجنتين والولايات المتحدة -

وبرجع خلدن مصر وسودان ، فصار يشهد عند الخط ٢٢ من خطوط العرض ،
وأصبح عند سودان - شبرا عدا (عرض) شمال وادي حلفا ، بعد أن كان الحد الجنوبي
لمصر على خط العرض ١٩ (في عهد محمد علي) يصل إلى حرية (سى) حول وادي
حلفا - وكان يسمى من الاحتلال الإنجليزي عند ١٨٩٩ ، حول وادي حلفا أيضاً
وصارت سيكي - وودى حلفا و ١٩٩٩

الاتفاق الباطل للبرم في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

١٨٩٩

في غرب من الحدود لدى ذكره ، و

في حدود سودان المصري من صومالي برنس على البحر الأحمر (مسح من رسم
فيه) ، وتقع خط ٢٤ من خطوط العرض التي في عطفه غير مدية في جوف مصر -
جوبه بالغرب من خط ٢٨ من خطوط العرض - ومن هناك نجهة الحدود جنوباً غرب ، حتى
حتى دركيه بشان لغربي من دارفور حيث خط ٢٣ من خطوط الطول ، ثم نجهة جنوب
حتى يصل إلى ما بين الخط ١٩ - ٢٢ من خطوط العرض ، ثم جنوباً بشرق إلى كوبريتو
وعبره البرم إلى أن يصل بحيرة فيكتوريا ، ومن هناك يصل إلى شرق ويشمل إقليم
هرير ثم يصل إلى شواشي ، فيجد الحدود مع السودان (حدودى) ، ومن ثم يعود
مخاضه الشامي ، حتى يصل إلى برنس ١٨٩٩

ومع ذلك أن جميع وسائل البحر الأحمر العربية ووسائل السودان الشمالية لواقعة على
جميع عدل كانت من أملاك مصر ، وقد ألحق الكونفيل ستوارت تقرير ، خريطة مسداليا
بك (مدير دارفور) عن السودان بهذه الحدود ، وهي مشهورة في الكتاب الأزرق المتقدم
ذكره ص ٣٨ .

وعبر خلاف أن هذه الحدود قد تراخعت منذ الثورة للهدية والاحتلال الإنجليزي ، إذ
تواطأت إنجلترا مع الدول الأخرى على انتفاض مصر من أطرافها ، فاحتلت إنجلترا لوعده
وأوبورو ومسطقة البحيرات والمجرى الجنوبي كله من منبرية خط الاسماء ، وصار أحد الجنوبي
للسودان يسمى الآن عند يمين (الإبراهيمية) بعد أن كان يشمل بحيرة فيكتوريا وبحيرة
البرت ، واعتصمت إنجلترا أيضاً بمحافظتي ربيع وبربر ، وأسست إيطاليا مصبح والأزيريه
ورئيس جودفون (حدودى) ، وروسا ناعوره وحسول ، والحشة بلاد هرير وشقول من
إنجلترا داروخل

ولا يمكن إنجلترا بالتأخر على تقسيم أسلاف الإمبراطورية الإيطالية للقطعة التي أسستها
مصر مدتها ونودها وجهودها ، من شارك مصر في سادتها على السودان باتفاق ١٩ يناير
سنة ١٨٩٩ ذلك لأعلى الباطل الذي حصل - سودان شركة بين مصر وإنجلترا ، وأخذته
فده سبلا - لا يترد حكم السودان ، وإتصافه فلود مصر الشرعي عن بلاد فتحها منذ مائة

(١٨٩٩) الكتاب الأول الإنجليزي من مصر سنة ١٨٩٩ ج ١٩ ص ٩

الفصل السادس

الجيش

خلاصة تاريخ جيش في عهد إسماعيل به عني بدمه وسيفه ومصابحه فوه .
والوصول به إلى مستوى الجيش الكبيرة للأمة الحديثة ، وعلى أيضاً بمهنة التعليم الحربي ،
فأنشأ المدارس الحربية على أرق طراز حديث . واختار لها أكفأ المدرسين والضباط ، وأحسن
المنهج الدراسية ، فكان التقدم في نظام الجيش يسير مطرداً مع تجديد التعليم في المدارس
الحربية .

ولكنه في السنوات الأخيرة من حكمه أعمل شئون الجيش جملة واحدة ، فاجتهد نظامه ،
ثم أنقل معظم المدارس الحربية التي أنشأها . وذلك لتضريب معنى المال ، وإرتباك أسواق
الحكومة بسبب فداحة الديون التي تقترضها من غير حساب ، بحيث لم ينته عهده حتى كان
الجيش المصري قد وصل إلى درجة هزلة من الصنف والارتباك .
تلك كلمة إجمالية عن حالة الجيش والمدارس الحربية في عصر إسماعيل ، فالشطر الأول
من ذلك العصر هو دور التقدم ، والشطر الثاني يمثل عهد التأخر والاضمحلال .

في الشطر الأول بدل الخديو جهوداً كبرى في تنظيم الجيش ، وأرسل إلى فرنسا بعثة حربية
تتألف من خمسة عشر ضابطاً من نخبة ضباط الجيش^(١) ليقصروا زمناً في مشاهدة نظام
الجيش الفرنسي . واقتباس خبرة قواده وصداقه ، فأعمرت هذه البعثة على ظهر السفينة الحربية
المصرية « شير جهاد » وأقنعتهم إلى فرنسا . فاستقبلتهم الحكومة الفرنسية بالحدوة ، ودروسوا
النظم العسكرية الفرنسية والاستحكامات والمناورات العمومية ، وغير ذلك من فنون الحرب
وقتال . وجمعوا طائفة من المؤلفات الحربية المتعلقة على أساليب الجيش الفرنسي ونظماته ،

(١) ذكرهم إسماعيل باشا مرهونك في كتابه ج ٢ ص ٢٠٨ وهم : شامس باشا ، إبراهيم باشا السوارى ، علي بك رضا
الفرنجي ، علي بك وهبي ، يوسف بك صديق ، محمد بك رضا ، محمود بك ساسي ، إسماعيل بك أنور ، عبد القادر بك
حسن ، مصطفى بك بهسي ، صلي بك غالب ، حمد فتحي حمدي ، حسن أفندي مطهر ، محمد أفندي

وعدوا بها ليطبقوها في مصر ، وأخذ الحديو إسماعيل في تنظيم الجيش على نظام الجيش
عربي الحديث .

ولم يكن بذلك بل أحضر من فرنسا بعثة حربية مؤلفة من بعض الضباط الفرنسيين لتنظيم
مدراس الحربية المصرية . وجاءت هذه البعثة إلى مصر سنة ١٨٦٤ برئاسة الكولونيل مرشر
(بك) Mircher ومعها ثلاثة ضباط آخرون وهم رباتيل Rebatal ولاسي (باشا)
Larmec ، وبولار Polard ، وألحق بهم الضابط دوبراردى بك الذى كان يخدم
الحكومة من عهد سعيد باشا ، فتولى هؤلاء الضباط نظارة حصص المدارس الحربية ونظموا
شئونها .

ولما شرع إسماعيل في تنظيم التعليم الحربي نقل المدرسة الحربية التى كانت بالقناطر الخيرية
إلى قصر النيل ثم إلى العباسية ، وأنشأ بهذه الجهة عدة مدارس حربية أخرى بدل المدارس التى
أنشئت في عهد محمد على وعفا أثرها ، واختار جهة العباسية لقربها من الصحراء حيث يسهل
على التلاميذ القيام بالتمارين الحربية وضرب النار ، ولأنه كان يبا السراى الفخمة التى أنشأها
عباس باشا الأول ، وتقدم الكلام عنها ، والمباني الملحقة بها ، وكانت تصلح مقراً للمدارس
والمعاهد والشكاك .

وجعل لهذه المدارس إدارة واحدة تدعى « إدارة المدارس الحربية » .

وفى على بيان المدارس الحربية التى أنشأها الحديو بالعباسية في أوائل حكمه :

١ - مدرسة الليادة (المشاة) أنشأها سنة ١٨٦٤ ، وكان عدد تلاميذها حين تأسيسها
٤٩٠ تلميذ ، وتولى نظارتها محمد أمين بك ، ثم دى برنارى بك ، ثم منصور أفندى حسن ،
ثم محمد وعنا أفندى ، ثم جعل لها مديري إدارة وهم على التتابع : محمد كامل أفندى ، ثم
إبراهيم حاصم أفندى ، ثم محمد صالح أفندى .

٢ - مدرسة السوارى (الفرسان) ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ١٦١ تلميذ ،
وتولى نظارتها الضابط الفرنسي بولار ثم ياور بك .

٣ - مدرسة لطوبجية (المدفعية) والمهندسة الحربية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها
٢٨٠ تلميذ ، وتولى نظارتها الكولونيل لارسي (باشا) ، وكان تلاميذها يتبحرون من بين
طلبة مدرسة المهندسة ، وهذا يدل على رفق المستوى الطبقى لتلاميذها وخرجها ، فاعزو
أن نبغ فيها وفي مدرسة أركان الحرب طائفة من أكمأ لضباط المصريين .

٤ - مدرسة أركان الحرب بالعباسية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ ، وكان عدد
مرشديها بك ، ثم شحاتة عيسى بك أحد خريجي بعثات محمد مر
بعثتها مرشديها بك ، ثم لارسي باشا ، ويختار تلاميذها من
أو المهندسة ، وتعد هي ومدرسة الطوبجية من أول مدر
إسماعيل

٥ - مدرسة الحظيرة بالقاهرة ، أنشئت سنة ١٨٧٤ ، وهو م
والمرض سبباً في خروج صف الضباط ، وتولى نظارتها القائد جبر
المدرسة طويلاً .

٦ - مدرسة صف الضباط أنشئت سنة ١٨٧٤ .
وقد خرجت هاتان المدرستان عدداً من صف الضباط الذين استخدمهم الحكومة في
الاكتشافات الجغرافية بالسودان .

٧ - مدرسة الطب البيطرى ، أنشئت سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها السيد
إسماعيل راضى أفندى ، وأحيلت نظارتها منذ سنة ١٨٧٠ على ناظر
(السوارى) .

٨ و ٩ - مدرسة قلفاوات الشيش ، ومدرسة الجيولوجية .
وقد أقضت هذه للناس في فواخر عهد إسماعيل (فبراير سنة ١٨٧٩) لارتباك شئون
الحكومة المالية ، واضطراب أحوالها الإدارية والسياسية ، وأنشئت بهذا مدرسة الحربية
المتجددة في أبريل سنة ١٨٧٩ ، وعين لارسي باشا ناظراً لها ، وهو المدرس سابقاً إلى اليوم
(١٩٣٢)

هيئة أركان حرب الجيش

عهد الحديو إسماعيل إلى طائفة من الضباط الأمريكيين . هذه الهيئة
المصرية . تألفت هذه الهيئة من الضباط المصريين الذين عادوا من الحرب الحربية بفرنسا ،
ومن الضباط الأمريكيين ، وجعل على رأسهم الكولونيل (جون) (١٨٧٥) ، وهو ضابط
أمريكي على جانب كبير من الكفاءة والخبرة ، طاهر الالاء ، الشجاعة ، من انتهاء الحرب

لأهلية ، وحده مصر وعرض خدماته على الخديوي محمد علي فأخذه بالجيش ، وعهد إليه سنة ١٨٧٠ برئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصري . - آتت به من الكفاءة ، وأمر عليه برتبة اللواء ، فصار يعرف بالجنرال استون باشا ، واصبح مهمته التي استندت إليه ، واستعان على إحياء هذه الهيئة وتنظيمها بمطابقة من الصالح الوصفي وبمطابقة أخرى من ضباط الأمريكان ومن الميكانيكيين والهندسيين والخيلاء في علم طيدب الأرض . وأنشئ من هذه الهيئة قسم للجغرافية مهمته وضع الخرائط الطبوغرافية بدقة عن حدود مصر والسودان ، وتبين تخطيط هذه الخرائط ضباط أركان الحرب المصريون وضباط الأمريكان مرة أخرى بالرحلات الاكتشافية التي نكلمنا بها في موضعها ، فبدأت أهمهم غاية في الدقة والاحكام .

وانشئت مطبعة خاصة لهذه الهيئة ، لطبع رسوماتها وخرائطها ، ومكتب قيمة نحوي كتاباً قيمة في القسوس الحربية وما إليها ، وألحق بها متحف حربي للأسلحة والتحف والتذكارات الخاصة بالجيش ، وتقدمت هيئة أركان الحرب تقدماً مطرداً لم يوقفه سوى رتباك الأحوال في أواخر عهد إسماعيل . وقام الثورة العربية ، ثم الاحتلال الإنجليزي^(٢)

ولكن من الحق أن نقول أن هيئة أركان الحرب في عهد إسماعيل كاد ينقصها الاتصال المتين بالقيادة العامة للجيش ، فلم يتم التعاون بين الهيئتين . بل حبس التفويض بها ، وأدى إليه في الغالب صلف ضباط القيادة العامة ومعظمهم من الشراكسة الذين كان من أعين صفاتهم الزهر والخيلاء . . وقد كان هذا النافر من أهم أسباب إغراق الحملة الفرنسية في حرب الحبشة ، كما تقدم بيانه ، وكان انفصال هيئة أركان الحرب والقيادة العامة من العوامل التي حالت دون وحدة الجيش ، وأفضت إلى ضعفه واضمحلاله .

الصحافة الحربية

وانشئت صحيفتان لتثقيف عقول التلاميذ والضباط . أحدهما تدعى (جريدة أركان حرب الجيش المصري) والأخرى (الجريدة العسكرية المصرية) ، تولي تحريرهما ضباط الجيش المصري ، وقد اطلعتنا في دهر الكتب الملكية على مجموعة من جريدة أركان الحرب ،

(٢) صدر مشور بالامام مصر سنة ١٨٨٢ من اعظم الإنجليز وضع يده على الجيش المصري ، ولول في نيويورك

وهي مجلة شهرية . صدر العدد الأول منها في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (١٠ يولييه سنة ١٨٧٢) ، واستمرت تصدر بانتظام عدة سنوات ، ورأب مجموعتها كاملة لغاية أكتوبر سنة ١٨٧٨ . وفيها مباحث قيمة لتجربال اسون باشا وليس أركان الحرب ، ولمحمد مختار افندي (دشا) . وسجاد بك عبد المعاض للدرس بالمدارس الحربية . وعبد الرارق بطشي (بك) . وأحمد بك عزى . وعبد الله بك عري . من ضباط أركان الحرب وغيرهم ، وكان الشيخ حسن الطويل العالم المشهور يصحح المجلد

ورأيت في العدد الصادر في ١٥ شوال سنة ١٢٩٦ (٢٤ يولييه سنة ١٨٧٤) مجلة تاريخية عن الحملة الإنجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ وهزيمتها ، استخلص كاتبها وجه العبرة منها بقوله : « وإذا قلنا الله بغزو هذه الديار مرة أخرى فليذكر ضباط الجيش المصري غرورة سنة ١٨٠٧^(٣) ، وبكى كل ضابط مصعباً على المدافعة والنسب من وطنه ، ولا يرتكب العار في التسليم كما ارتكبه أمين أها ، بل يدافع بنفسه ويحاربه عن كل نقطة يشبه الهجوم إليها ، كما فعل على بك السلاطكي الذي اكتسب الفخر والشرف ومنع العدو وصدده عن الوطن في غزو بنكر رشيد رحمة الله عليه آمين^(٤) ، فهذه العبرة بذلك عن الروح التي كانت تمتشى في مباحث المجلة ، وكيف كانت تبت في نفوس الضباط روح الواجب والقومية ، ومن المؤلم أن البلاد لم تزلت سنة ١٨٨٢ بغزوة المجرية أخرى كغزوة سنة ١٨٠٧ ، ولكن ضباط الجيش وجنوده لم يقوموا بالواجب الذي ذكروهم به جريدة أركان الحرب سنة ١٨٧٤ ، فكان ماكان من الخيبة والاحتلال

تجهيد السلاح والمصانع الحربية

وصى الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٦ بمعامل الأسلحة الفرنسية بصنع عدة آلاف من البنادق حديثة ذات الإبر المعروفة ببنادق (شاسيو) سنة إلى عمرها ، وسلاح بها الجيش المصري ورمم حصون الإسكندرية . وجدد أسلحتها ومدافعها . وجلب المدافع الصعبة من طرز مستخرج ، وركب في طوالي الثعور ، وخاصة الإسكندرية . وهي المدافع التي كان لها عمل من شأنه صرب الأسطول البريطاني مدينة الإسكندرية سنة ١٨٨٢ ، ولم تؤثر في مصر

(٣) راجع واقع هذه الحروب في (مصر محمد علي) ص ٤٠ وما بعدها (من الطبعة الأولى)

(٤) جريدة أركان حرب الجيش المصري العدد ٦ من المجلد الأول للسنة الثانية

لأسفله لعدم تمرن رماثها على استعمالها بسبب سوء تدبير الحكومة والعربيين
وعلى إسماعيل بشأن المصانع الحربية ، التي كانت منشأة من عهد محمد علي . فنظم معمل
حرس الرصد وأصلح من شأنه ، وصارت تصب فيه للدافع ، وصنع فيه الأدوات
والآلات الحربية للجيش .
وشيد بطره معملًا لصنع الأسلحة المدسة ، وآخر لصنع المدافع وآخر للبنادق ، عدا
معامل الخرطوش والقنابل ، وأصلح مصانع البارود التي كانت موجودة عصر حتى أشهر
ذكرها في الآفاق ، وأرسل سلطان مراكش بعثة من المعاربة ليتعلموا في مصر صناعة البارود
والطبعة .
وأصلح معمل الأسلحة بالإسكندرية ووسع نطاقه .

إنشاء ميدان للرماية والتجربات العسكرية (البوليجون)

وفي عهد وزارة الأمير حسين باشا كامل (السلطان حسين كامل) للحربية وضع لارمي
بث تصميم إنشاء البوليجون للتمرين على حرب النار ، وأجندت أوروبا المهتمين في بنائه
بإشراف لارمي بك وسفاحي بك أحد أساتذة مدرسة أركان الحرب ، وجعل به عدة أقسام
للتمرين ، منها قسم تمرين صباط المدعية على الرمي بالمقاع ، وقسم تمرين الصباط المشاة على
الرمي بالبنادق ، وقسم لصف الصباط ، وقسم لتعلم الطفرافات العسكرية وقسم للإشارة

إدخال النظام الألماني

كان النظام الفرنسي هو المتبع في الجيش المصري ، ولكن الخديو إسماعيل اعتمد تدريبه
على أساليب الجيش الألماني ، لما دأبت شهرته بعد انتصاره على الفرنسيين في الحرب
السببية ، فأمر بترجمة الفواتير والخطابات الألمانية وتحويل الملابس وتغيير الأسلحة ، ولكن
أوتناك شؤون الحكومة المالية في أواخر عهده حال دون الانفاق على الجيش وتجديده

إحصاء الجيش

ذكر إسماعيل باشا سرهك في كتابه (ج ٢ ص ٣١١) إحصاء الجيش سنة ١٨٧٣ ، ومنه
يتبين أن عدده بلغ نحو ٩٠.٠٠٠ مقاتل من جند وصناد وتلاميذ المدارس الحربية كاليان
لآتي

٨٤.٥٣٠ جند وصف صباط

٠٢.٦٦٨ صباط وقواد

١.٨٩٠ تلاميذ المدارس الحربية

٨٩.٠٨٨

وعدا عدا الجيش المرابط في السودان ، وقد بينا أنه بلغ ثلاثين ألفاً ، أي أن تعداد الجيش
المصري في مصر والسودان بلغ على عهد إسماعيل نحو ١٢٠.٠٠٠ مقاتل .

الافتقار للجيش إلى قائد عظيم

رأيت مما تقدم تطور حالة الجيش في عهد إسماعيل وعلمت ما أصابه من الضعف في
السنوات الأخيرة من حكمه ، وترجع أسباب هذا الضعف إلى أوتناك شؤون الحكومة المالية
التي كان نتيجة لقروض الخفير ، وإلى عدم التعاون بين قيادة الجيش وهيئة أركان الحرب ،
وثمة سبب جوهرى لهذا الضعف ، يترامى في عصر إسماعيل عامة ، وهو عجز القيادة العامة ،
فقد كان الجيش يعوزده قائد كبير بصارع إبراهيم باشا في كفاءته وعبقريته . ويبحث في نفوس
لحمد روح البطولة والهدوء والبسالة ، ولم يكن إسماعيل عن غرار أبيه في التسرع والعبقرية ،
ولا وراث عنه صفاته الحربية ، ولم يألف خصوص غمار القتال ، ولا وجد بين قواده من يمد
بمراغ الذي كان يملؤه البطل إبراهيم ، وعنى عن البيان أن حرمان الجيش مثل القائد العظيم .
ومثل سليمان باشا العرتساوى أو القواد الذين ازداد بهم تاريخ مصر الحربي في مباركة مصر
وليونان وسوريا والآناسول ، كان العامل الأول فيما أصابه من الضعف

وقد ظهر الضعف في حرب الحشة سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، كما بيناه في الفصل السابق ،
وتبين أن أهم أسباب الخيبة في تلك الحرب عجز القيادة وسوء النظام ، وكانت هذه الخيبة

موضع دهشة المصريين والأجانب على السواء . فقد كانوا يعتقدون . - حش مصرى . - من
محمداً من كاتبة التي نالها في حروب محمد على أنولى حرم القرم . ولكن حرب حشنة
هذه مكنته وكشفت عن أعرض الضعف لدى صلب الجيش عن مر السنين في عهد محمد
محمد على

وقد زاد في ضعفه ارتباك الحكومة الملى ، وتدخل الدول في شؤونها . فإن هذا الارتباك
أنهى إلى نقص بمخصصات الجيش ، وكان من أعمال وزارة بشار باشا الأول تخصيص عدد
الجيش ، توفيراً في النفقات وسداً لجزء الميزانية ، فقررت بحالة ٢٥٠٠ صابط على
الاستبداح ، وتسريح عدد كبير من الجنود ، واستمرت فساد الضعف تزداد وتتعمق . - - -
ظهرت نتائجها مرة أخرى في وقائع الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ ، تلك الوقائع التي تعد
صفحة مزرنة في تاريخ مصر الحزينة

• • •

الفصل السابع

البحرية

توفي خديو إسماعيل بحكمه والحرية المصرية في حالة سيئة من التآخر وضعف . فقد
اضمحلاله كما قلنا في عهد عباس . ولم يصل سعيد باشا على إحيائها ، لم نقيه من العيوب
من ناحية تركيا

لأحمد إسماعيل في أوائل حكمه يعني بتجديد الأسطول ، فبث النشاط في ترسة
الإسكندرية (دار الصناعة) ، وأحيا معاملها ومصانعها ، وجلب لها المال من الإسكندرية
ومن داخل البلاد ، واستحضر لها الآلات والمعادن ، فساد إليها نشاطها الذي كان لها في عهد
محمد على .

وأشبه بها بعض السفن الحربية في عهد ولاية عبد اللطيف باشا ، ثم شاهين باشا ،
لوزارة البحرية ، وباسم الأول منها سميت البارجة « لطف » وتم في عهد الثاني بناء البارجة
« الصاعقة » .

وأوصى الخديو بصنع عدة سفن حربية مدرعة في ترسانات أوروبا
وحدد المدرسة البحرية بالإسكندرية ، وأنشأ مدرسة بحرية أخرى بمجرى الترسانة ، أحضر
لها المدرسين الأكفاء من مصر وأوروبا ، وعهد بنظارتها إلى ضابط من ضباط البحرية
الإنجليزية ، يدعى مكيلوب (باشا) . ووكيله ضابط مصرى كصفه وهو عبد الرزاق بك
درويش ، ثم نولى هو نظارتها من بعده^(١) . ومن كبار فوائدها سلطان قيودان حلاوة^(٢) من
مشاهير ضباط البحرية ، وتنحى تلاميذ هذه المدرسة من أبناء طلبة المدارس الأميرية
، لأبتدائية . وكانت تدرس فيها العلوم ونجوم البحرية التي تدرس في المدارس البحرية
(أوروبية) . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . واختبرت الحكومة طائفة من حريجه

(١) اودع بحرية العدد ٢٩٨ - ٢٩ مارس سنة ١٨٧٥

(٢) اودع بحرية العدد ٣٤١ - ٢٣ يناير سنة ١٨٧٦

وأولدهم إلى إنجلترا لإتمام العلوم البحرية ، منهم ثمان لتعلم من إنشاء لبحري . وها حس
مريد أفندي ، وحشمت أفندي ، واثان لتعلم الميكانيكا البحرية ، وها محمد أنيس أفندي .
ومحمد عارف أفندي ، ولما عافوا إلى مصر التحقوا بفار الصناعة بالإسكندرية . ومن هذه
مدرسة مخرج إسماعيل باشا سرهنت . مؤلف كتاب حقائق الأحبار عن دول البحار . ووطر
المدرسة الحربية المتقدمة .

بعد الحديوي إسماعيل كما نرى جهوداً ممتدة في إحياء البحرية المصرية ، ولكن عقبات
جدة اعترضت في سبيله . ذلك أن الحكومة التركية رأت للبحرية المصرية أداة بأسب
النشاط والقوة . وعلمت بأن إسماعيل أوصى على ثلاث مدرعات في فرنسا ، ومدرعتين
أخريين في النمسا ، وأن هذه المدرعات قد تم صنعها ، وأرسل الحديوي سنة ١٨٦٨ طوافها من
المصايط والبحارة ليشيروها ، فاعترضت على تسليمها ، وتلوعت بأن القرمات لا تبيع لمصر
إنشاء السفن الحربية المدرعة ، فأنهى الخلاف بأن ابتاعها تركيا لنفسها .

وكان هذا الاعتراض بإيماء من إنجلترا التي يسودها أن تجد مصر قوتها البحرية .
فاستخدمت نفوذها لدى الاستانة لتتحول دون هذا التجديد ، وقد وقعت إنجلترا هذا الموقف
دائه في عهد عباس ثم في عهد سعيد . وكانت بذلك تعمل على خطة ومجتبا لنفسها منذ أنشأ
محمد علي الكبير الأسطول المصري ، وهي إضعاف قوة مصر البحرية ، لكي تأسر على سيطرتها
في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر .

خدمات الأسطول

ورغم ما اهرص الأسطول من انقبات ، فإنه أدى خدمات لا تترك ، فقد اشترك في
عدة حملات حربية على ظهر البحار ، كحملة كريت ، وحرب البلقان ، فكانت سعة نقل
الجوهر المصرية إلى الحيات التي تقصدها . وكان صلة الاتصال بين مصر وبنوعها وأملاتها
المرمية على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي ، وقد أفلت منه تصرفات العسكرية
التي أرسلتها مصر إلى تلك النحر البعيدة . كمصوع ، وريبع ، وبيرونة ورأس جردون
(حردوي) ، كما أفلت الحملة التي أهدتها إلى بلاد الصومال ، ووصلت إلى ثمر تسايو
(بور إسماعيل) شمال زنجبار على شاطئ المحيط الهندي .

وصارت مصر سعة حول هذه (فوجيه) مشقة من سحر الأبيض المتوسط والبحر
الأحمر عن طريق إقربوس لأقصه ورأس برجاه الصالح على أن تشق عدة سوس

إحصاء الأسطول

أخصي علامة على دات مارت " الأسطول المصري في عهد الحديوي إسماعيل ، فذكر أن
عدده ١٤ سفينة حربية . وهي عروسه مصر حربية . محمد علي شيرجهاد لطيف
دقته مصر سعة خرصوه أسيد و ثلاثة مراكب أخرى صغيرة
ولإسماعيل باشا سرهنت إحصاء آخر ، فقد قال (ج ٢ ص ٥٥) أن عدد سفن لأسطول
١٨ سفينة حربية ، وذكر (ص ٢٨٧) أسماءها مع ثلاث بواخر حربية أخرى مخصصة لركوب
الحديوي ، وهذا بإسب :

اسم البارجة	عمل إنشائها	نوع مدنها	عدد مدافعها
١ - محمد علي (قرقاطة)	أمريكا	حديد وخشب	٢٨
٢ - شيرجهاد	نريتا	خشب	٢٨
٣ - لطيف كورفت	الإسكندرية	خشب	٦
٤ - الخرطوم (مدعية)	إنجلترا	خشب	٥
٥ - دنقلة (مدرعة)	إنجلترا	مدرع	٨
٦ - الماعقة (كورفت)	الإسكندرية	خشب	٨
٧ - سار (مدعية)	إنجلترا	خشب	٧
٨ - ربح نرد ١	فرنسا	مدرع	٢
٩ - ربح نرد ٢	فرنسا	مدرع	٢

ثلاث بواخر حربية لركوب الحديوي

١ - بحري	لندن	حديد	٨
١١ - مصر	طولون (فرنسا)	حديد	٦
١٢ - العربية	طولون (فرنسا)	حديد	٤

طائرات وسفن النقل

م. ل. ر. ح.	نوع معدنها	عدد مداتها
١٣ - بطور	البحرية	٢
١٤ - أسود	البحرية	٤
١٥ - شدى	البحرية	٤
١٦ - أسود	البحرية	٢
١٧ - الحمراء	البحرية	٣
١٨ - سمود	البحرية	٢
١٩ - نور الهدى	البحرية	٢
٢٠ - بحر	البحرية	٢
٢١ - عجمي	البحرية	٢

لن هذا الإحصاء ومن مقارنته بإحصاء الأسطول الفسخ الذى كان لمصر في عهد محمد على (عصر محمد على ص ٤٣٢) يتبين لك مبلغ ما أصاب البحرية المصرية من الضعف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم إذا قارنت هذين الإحصاءين بحالة أسطول مصر الآن - ١٩٣٢ - (أى بعد الاحتلال الإنجليزي) وبحت حيثاً بين هو الأسطول وم يتألف؟ وماذا يعمل؟ يبروك الدهش والأسى والألم، لا سدام قوة مصر البحرية في عهد الاحتلال

الأسطول التجارى

لما وجد إسماعيل، بمرسه من عقبات في سبيل تجديد الأسطول الحربى، وجه عنايته إلى الأسطول التجارى، فأشأ شركة للملاحة التجارية - سميت الشركة العربية - سبة إلى السلطان عبد العزيز، أعاد بواخرها لنقل المسافرين ونقل المتجر إلى ثغور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، بعد أن أبطل الشركة الخفية التى نشأت في عهد سعيد باشا، وجعل رأس مال الشركة الجديدة مورعاً على أسهم ليشترك الأفراد فيها

وكتب حاجة من سرة المصرية في رأس مالها. ونخصص لها الخديوي سبع بواخر كانت موجودة من قبل، وأوصى بإشاد بواخر جديدة في إنجلترا، وجعل على قيادة هذه البواخر ضباط بحرية القدماء الذين تركوا خدمة الأسطول منذ التمهيد، وكذلك بحارته، وانتاحت وزارة البحرية، على ذلك عدة سفن شرايف كبيرة لنقل الأخشاب اللينة لورارى البحرية والمحربية من بلاد الأناضول، فكان الأسطول التجارى المصرى يتوحيه من البواخر والسفن لشريعة بالغا حرجة كبرى من التقدم

وكان لبواخر (الشركة العربية) عمل كبير في نشاط حركة التجارة الخارجية لمصر، وتسهيل مواصلاتها البحرية مع الأنصار الأخرى. وزاحمت شركات الملاحة الأجنبية في هذا الصدد، ونجحت في حملها، وامت إيراداتها، وربحت الأرباح الوفيرة، ثم ابتاع الخديوي إسماعيل أسهمها، احتكاً لأرباحها، وحوّلها إلى إدارة من إدارات الحكومة عرفت بمصلحة (وبورات البوتة الخديوية)، فاستمرت مطردة النجاح واتسع نطاق عملها، وصار لها من البواخر الكبيرة ست وعشرون باخرة^(١) تجوب البحار واطعة العلم للمصرى، وتنقل الناس والمتاجر والبريد بين ثغور مصر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط في سوريا والأناضول وبلاد اليونان، وشواطئ القردنيل والبوسفور، وتغور البحر الأحمر كسواكن ومصوع وبجدة والحديدة، وتجار بوظاز باب المنجب إلى ريلج وبربر.

وقد ألحق بهذه المصلحة الخوض العام الذى أنشأه عمياء الإسكندرية، ونخصص بواخرها لمعمل (قابريّة) في ترسانة الإسكندرية للقيام بما تحتاجه من الإصلاح. وبقيت هذه الإدارة الكبيرة ببواخرها وملحقاتها كالخوض وقابريّة الفرنسية ملكاً للحكومة، إلى أن باعها في عهد الاحتلال، إلى شركة إنجليزية، بأغس الأثمان، فانتقلت تلك سفنات البحرية العظيمة وهذه القوة القوية المضخمة، إلى أيدي الإنجليز، وأزول العلم مصرى عن بواخرها، واستبدل به العلم البريطانى، فكانت نكبة، وكان خسران.

(١) حى - الرحانية الملاكا تقوم البحرية الشرقية المصرية ططا شدى شوى صوب كويك - حنود الملا المصرية سبر للصورة ططا النجيلة صوب الزريق. الخطر الحديدة بنج القصص. سواكن مصر (كتاب إحصاء مصر سنة ١٨٧٣ - ص ٤٧)

إنعام ميناء السويس

١. إنعام أصحاب الإصلاح في ميناء السويس ، وإصلاح ميناء الإسكندرية ، وإنشاء القنارات البحرية ، هي من أعمال العمران التي تتصل بالبحرية ، ولذلك نتكلم عنها في سياق الحديث عن البحرية في عهد إسماعيل

شرح سعيد باشا سنة ١٨٥٦ في إنشاء ميناء جديد بالسويس لسهولة إيواء السفن ، فجعل من البحر مرفأين ، أحدهما يسمى ميناء إبراهيم ، جعل للبوارج الحربية ، وجعل الثاني للسفن التجارية ، وأقيم حاجز من الأحجار لصد الأمواج عن الميناءين ، وبه الميناء لتتولى السفن وحروبها

وشرح في إقامة حوض لعبارة السفن ، وقد استمر العمل في إنعام هذه المشروعات إلى أن كملت في عهد إسماعيل ، وبلغت تكلفت الحوض والجسر الذي يصله بميناء السويس ٢٤٠,٠٠٠ جنيه ، وقد تنازلت عنه الحكومة المصرية في عهد الاحتلال إلى الشركة الإنجليزية التي اشترت وإبورات البوطة الخديوية

إصلاح ميناء الإسكندرية

لما اتسعت حركة العمران وازدادت المواصلات البحرية في الإسكندرية شرع إسماعيل في توسيع مينائها وإصلاحه ، واعتمد إنفاذ هذا الإصلاح بعدما أنشئت بورسعيد وقارب مشروع قناة السويس إنعام ، فقد عتق أن تراحم بورسعيد الإسكندرية ، وتتحول إليها حركة التجارة الخارجية ، فاعتمد توسيع ميناء الإسكندرية لتجذب إليها السفن في غلدها ورواحها فأول ما بدأ به إقامة حوض عام من الحديد لإصلاح السفن ، بدل الحوض اللبني بالحجر من عهد محمد علي ، والذي صار مع الزمن لا يفي بإصلاح السفن ، وخاصة كبيرة الحجم ، وقد جلب الحوض الحديد من فرنسا سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م)

ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخم الذي يقى المياه طغيان الأمواج ، ويحفظ السفن الراسية به من من من العواصف ، ولا يزال قائماً إلى اليوم ، وهو جسر من الأسس والأحجار الضخمة

والصخور ، يمتد من طرف شبه جزيرة رأس لنج إلى جهة العجسي ، وبه الميناء لمروء البحر منه ، وأنشأ بداخل الميناء وصيفاً للشحن والتفريغ بأوصاف أخرى ممتدة في داخل الميناء ، وكانت هذه المشروعات من أعمال العمران الضخم التي انقضت جهوداً كبيرة ، وكلفت الخزنة نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . وقد عهد بها الخديو إلى شركة المحلرية تسمى شركة حرقلا ، وبه في العمل سنة ١٨٧١ . ولم يتم الا بعد تسع سنوات سنة ١٨٧٩

القنارات

وأنشأ عدة قنارات في ثغور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر لإرشاد السفن وتسهيل الملاحة البحرية .

وهذا بيانها :

في البحر الأبيض المتوسط : قنار البلس ، أنشئ سنة ١٨٦٨ ، وقنار رشيد سنة ١٨٦٨ ، وقنار دمياط (تجاه رأس البر) سنة ١٨٦٩ ، وقنار بورسعيد سنة ١٨٦٩ ، وقنار المعجى سنة ١٨٧٣ ، وقنار حاجز لليناء سنة ٨٧٦ ، وقنار القبارى سنة ١٨٧٧ ، أما قنار رأس قطن الكبير فهو منشأ من عهد محمد علي .

في البحر الأحمر : وكان بالبحر الأحمر من القنارات قبل عصر إسماعيل قنار زوني ، وقنار الزهران جوى السويس ، وقنار الأشرف ، وقنار أبي كيزان ، فرأى الخديو إسماعيل في هذه القنارات لا تكفي لإرشاد السفن في البحر الأحمر ، لكثرة صخوره وعماطه ، فأنشأ قنارات أخرى وهي .

قنار السويس . وقنار رأس الغرب جنوبي رأس الزهران ، وقنار صخور الأخوين الشمالية ، وقنار جزيرة شلوان الذي تم سنة ١٨٨٩ ، وقنار (الوجه) من ثغور الحجاز^(٥) وأنشأ في خليج عدت بالأقباقوس الخدي قنار بربر ، السابق الكلام عنه ، وأمر بإقامة قنار في جردوى (جردوى) سنة ١٨٧٨ ، ولكنه لم يثأ كما تقدم بيانه (ص ١٦٥)

• • •

(٥) كانت مصرية (الوجه) تابعة لحكومة مصر

الفصل الثامن

حروب مصر في عهد إسماعيل

حصلت مصر في عهد إسماعيل عدة حروب عشت في أعقابها وباعثها ، ومنصتها بما دعه تركيا بن حوصه عارها سنده جيشها ، ما حلا حروب السود ، ، فقد كاسب اسكرا من لحنيو إسماعيل ، لسه يعود مصر في ماطل إفريقيا وشرقها ، والوصول إلى الحدود الطبيعية لواءى النيل . وحرب . لحنة التي كانت حرباً عقياً من كل الوجوه ولم يكن للحروب التي حاصها مصر ثلية لطلب تركيا من نتائج عملية مصلحة مصر سوى أن إسماعيل كان يتجدها في الحملة ، درية لاستصدار مرابا وحقوق جديدة تقرب مصر من استقلالها التام ، ومن جهة أخرى ما كانت مباحين لمران الجيش المصرى وحجوده ومباط على ممارسة القنا والإفادة من تجاريه ووقاته

١- إجماع لوزة الصير

في أوائل عهد إسماعيل مار الأمير محمد بن حاتف أمير الصير على الدولة العثمانية ، وقصد الاستيلاء على تامة إلى ، فطاريه منصور الحديدة ، وصده في بعض المواقع ، ولكن الأمير استعمل فره وسنن على بعض المدن ، فاستجدت السلطان عبد الحميد بإسماعيل ، وطلب منه أن سدد جيشاً مصرياً لإجماع الثورة على إسماعيل عليه ، وأقصد إلى عير قوة من ثلاث أوط من المشاة ، وودعا ديداع وكاتب ليرسان . وعقد لواء عبادا للأمير الامى إسماعيل صدق بك ، فلما وصل إلى شبر حدة ، اتفق وواله على حريد الحملة لمصرية صحة المردة المنهية عن الثور من جهة (قنده) فسكر من إجماع الثورة . وقدم الأمير محمد بن عافى طاع ثم عدت . معرفة للمصرية طافرة مشكورة على ما ألبته في القتال ، وأنهم لحنيو على عاندها ربة اللواء مكافاة له على ما أبدى من الشجاعة والكمالة في القيادة ، وأرسل السلطان إلى حديو كتاب شكر وثناء

على ما بدله من الحماية والولاء ، وتوسط إسماعيل لدى السلطان عبد العزيز في العفو عن الأمم
الناثر ، قبل شفاعة وحمايته وأقره في إمارته

٢- حرب كريت

قامت سنة ١٨٦١ ثورة في ولاية المرسى إحدى ولايات البدون بحريص أمير الحبل
أسود ، مجردت تركيا حيوشها لمناطة الشر ، ولما تولى إسماعيل عرش مصر طلبت له
حكومه تعزية لبحر جوشها في الروملى بجيش مصرى حتى لا يفوى مساعد الثوار
ولا ترداد اضطراباتهم في تلك الجهات ، فأعد إسماعيل باشا مرة تولى قيادتها اللواء على غالب
باشا ، فوصلت الحملة المصرية إلى الاسنة ، وعرضها السلطان ، ثم سارت عن طريق
(سلايك) إلى (مناستر) ورابطت هناك .

ثم نبت ثورة عامة في جزيرة (كريت) سنة ١٨٦٦ ، وعجزت تركيا عن إخمادها إذ كان
جودها موزعين في ولايات البلقان ، ولم تقو الحماية التركية في الحرية على مقاومة الثورة ،
فاستجبت بمصر ، وأرسل السلطان عبد العزيز إلى الخديو يطلب إليه إعادة بعض فرق الجيش
المصرى إلى الجزيرة لمقاتلة الثوار ، فلبى الطلب ، وأخذ جيشاً مؤلفاً من خمسة آلاف مقاتل
وبصف ، عقد لواءه للفريق شاهين باشا ، فحدد قواد الجيش المصرى المشهورين ، يعاونه اللواء
إسماعيل صادق باشا ، وكان من ضباط الجيش المصرى في هذه الحرب راشد بك حسنى
(باشا) الذى عظم شأنه في حوادث الثورة العربية ، وأبلى البلاء الحسن في واقعة
القصاصين ، ومحمود سامى بك البارودى (باشا) الذى صغر من كبار زعماء الحركة العربية ،
وفي هذه الحرب كانت نشأة البارودى الحربية .

أقلعت الحملة إلى جزيرة كريت ، نقلها حاملة من الأسطول المصرى مؤلفة من حشر
سفن ، معفود لواءها للأميرال قاسم باشا ، وتولت هذه الحاملة نقل القوة المصرية التى
كانت مرابطة في (مناستر) وجاءت بها إلى الجزيرة .

نزلت الحملة في كريت ، فاشيكت والثوار في جهة تسمى (أبوفرون) ، جرح فيها اللواء
إسماعيل صادق باشا جرحاً بلياً نقل على أثره إلى مصر ، وتبدلت القيادة العامة للجيش
المصرى . إذ استدعى شاهين باشا إلى مصر وعين بهل الفريق إسماعيل سليم باشا وزير احرية

وقد تقدم كما تقدم بيانه (ص ٨٣)

ومن حسد ل ر و و ر قادى . وكانت من أعظم وقائع الحرية . حرم فيها الثوار
هزيمة كيرة ، وحسرو خسائر عظيمة ، وأبلى فيها الجنود المصريون بلاءاً حسناً في القتال ،
وأسو من الشجاعة والإقدام ما حلد ذكركم ، وكان راشد بك حسنى وأبلى أكثرهم
مداً . فأمر عليه الخديو برتبة اللواء ، وأرسل الجيش المصرى كتاباً بلياً من إنشاء المرحوم
عبد الله باشا فكرى ، ينشئ فيه على حس بلاء الجنود وصبرهم وقوادهم . ويسجل لهم
ما أبدوه من شجوب الشجاعة والكفاءة

واستمرت الحرب سجلاً حتى انتهت الثورة ، فعاد الجيش المصرى إلى مصر ، وقبول
مظاهر الحفاوة ابائلة ، وأقام الخديو لأفراده الولائم تكريماً لهم عن حس بلائهم في القتال

٣- حرب البلقان

(١٨٧٦ - ١٨٧٧)

كانت روسيا لاقتغا تعرض إمارات البلقان على الانتقاص على تركيا ، لكن تعهد نصها
الدخول في حومة الوعى بعد أن توزع تركيا قواتها في إخماد الثورات المحلية ، فمن ذلك أنها
بادرت بتسور الثورة في تلك البلاد حتى شب أوارها في المرسى سنة ١٨٧٥ ، وامتدت إلى
البوسنة ، وقامت للصرب تشدد أوزر الثوار

فطلبت تركيا من الخديو إسماعيل إمدادها بنجيد ، من الجيش المصرى ، فأعد الخديو قوة
من نحو سبعة آلاف مقاتل بقيادة الفريق راشد باشا حسنى ، ومن صباطها محمود بك نصيب
(باشا) الذى صار فيما بعد من زعماء الثورة العربية ووزرائها . وصاحب كتاب البحر الزاخر
في تاريخ الأوائل والأواخر .

أقلعت الحملة إلى الاسنة . ثم قصدت إلى حدود الصرب ، فاشركت والجيش المالى
في قتال انصريين ، وقازت عليهم ، وأظهرت شجاعة وبسالة في المواقع التى خاضتها . بما دها
الخديو إلى الإيعام على طائفة من قوادها وصباطه بالرتب العالية

وفي غضون ذلك تولى عرش تركيا السلطان عبد الحميد الثانى (٣١ أغسطس سنة
١٨٧٦) ، بعد أن قتل السلطان عبد العزيز ، وخلف السلطان مراد ، ورجع الجنود المصريون

مدرسة الهندسة

هي مدرسة (الري والعمارة) وسميت الهندسة ، أنشئت بالمعاشرة سنة ١٨٦٦ بمصر الزعفران ، ثم نقلت سنة ١٨٦٨ إلى حري دوق الحامير (ثم إلى الخيزه) . وكان أول ناظر لها . سماعيل بك (باش) مصطن القديكي ثم محمود بك (باشا) القديكي ثم عاد بها إسحاق بك صديكي

مدرسة الحقوق

هي أعظم المعاهد العلمية التي أسسها إسماعيل ، أنشئت سنة ١٨٦٨ . وكان اسمها مدرسة الإدارة والأمن ، وقد حلت محل مدرسة الأمن التي أنشئت في عهد عباس ، وسميت «مدرسة الحقوق» منذ سنة ١٨٨٦ ، كان أول ناظر لها السيد فيدال Vidal (باشا) أحد علماء فرنسا. المشرعين ، ويقع بقول نظارتها أربعاً وعشرين سنة إلى عام ١٨٩١ . وفي هذه المدرسة تخرج معظم رجال القانون الذين نبغوا في عصر إسماعيل وما يليه من المصور ، وما الفصل الكبير على نهضة القانون والتشريع والقضاء ، وعلى النهضة الأدبية والسياسية في البلاد

مدرسة دار العلوم

أسست سنة ١٨٧٢ ، والغرض منها تخرج أساتذة اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، انتخب طلبتها من تلاميذ الأزهر ، وتولى نظارتها على التعاقب في عهد إسماعيل : حامد أفندي تيارى ، ثم محمود أفندي حورى ، ثم على بك هسي رفاعه ، ثم حامد أفندي باري ، وقد أدب المعهد حتى أنشئت من أبنائها ، وكان من عصب كبير على نهضة اللغة والأدب العربية في مصر ، وسنعود إليها في ترجمة مؤسسها على مبارك باشا

مدرسة الطب والولادة

وأنشئت مدرسة الطب في عهد إسماعيل ، واتسع نطاقها ، وخرجت جماعة من أعلام الطب في مصر ، وتولى نظارتها على التعاقب : بروجير بك Burguere Bey ، ثم حافظ أفندي محمد ، ثم محمد علي بك (باشا) البقل ، ثم محمد الشافعي بك ، ثم محمد علي باشا البقي ، ثم جلياردو بك .

مدارس البنات

بدأ إنشاء مدارس البنات في مصر على عهد إسماعيل ، وهي ميزة تشهد له بالفصل في نهضة الأمة ، فقد كان التعليم النسوي يعتبر من قبل أن يحكم التعليم ، إذ لم تكن في البلاد مدرسة للبنات سوى مدرسة الولادة ، ولم يكن يتعلم فيها في الغالب سوى البنات المحشيات ، أما القتيات من سائر الطبقات فلم يكن هن مدارس لتعليمهن ، وكان الجهل يهبط عليهن ، اللهم إلا من كن يتعلمن في بيوت آبائهن وأهلهن ، وقليل أولئك .

في سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة السويحة للبنات ، أنشأها السيدة جشم عبد هدم ثالث زوجات الخديو إسماعيل ، وكان بها حين افتتاحها نحو مائتي تلميذة^(١) ، وبلغ عددهن سنة ١٨٧٤ أربعمائة تلميذة ، يتعلمن محاسن ، فضلاً عن الإتقان على مأكلهن وملبسهن ويتعلمن القراءة ، والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، والحساب ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والتفكير والنسج ، وغير ذلك من الصناعات^(٢) وتولى نظارتها حسن أفندي صالحي ، ثم مدام روزة . وأسست مدرسة أخرى للبنات في القرية بالقاهرة سنة ١٨٧٤ ، وأنشئت سنة ١٨٧٨ .

(١) مخطوط الترويض ج ٢ ص ٤٦ - وجاء في الوقائع المصرية العدد ٥١٩ (٥ أغسطس سنة ١٨٧٣) أن عددهن حين افتتاح المدرسة ١٨٠ تلميذة

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٢٦ - ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٤

المدارس الصناعية

وأسس إسماعيل من المدارس الصناعية :

مدرسة الفنون والصنائع ، وكانت تعرف بمدرسة (العمليات) أسست سنة ١٨٦٨ لتخرج الصناع الفنيين ، ومنهم مهندسو الواووات البرية والبحرية ، سواهمها ولوطيون للمباني مصلحة السكك الحديدية ، وتخرج منها مهندسون لصنع عربات السكك الحديدية والبواخر والآلات البخارية وتولى نظارتها السيد جيجون بك Gigion bey . ثم عيسى شاهين أفندي ، ثم عاد لنظارتها جيجون بك . ومن كبار أساتذتها إسماعيل يشاق بك كبير مهندسي المناير بالسكك الحديدية

ويشتمل برنامجها على العلوم الصناعية والفنية ثم الفنون العلمية .

وفي السنة الأولى : يدرس الحساب ، والجبر ، والفندقة الوضعية ، والرسم ، وفي العارة ، واللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

وفي السنة الثانية : تدرس أنواع الرسم ، واللغات ، والطبيعة وتطبيقها على الصناعات والميكانيكا ، والجغرافية ، والمحاسبة .

وفي السنة الثالثة : تدرس المواد المذكورة مع التفرغ وتطبيق الكيمياء على الصناعات ، ورسم الآلات البخارية وتركيبها .

وكان الطلبة يمارسون بعد الظهر الفنون العملية في خمسة معامل .

أولها : معمل تركيب الآلات وتصلبها .

والثاني : معمل الحدادة

والثالث : المسك الذي كان يعرف بالدوكمجانة

والرابع : معمل الخراطيم والنجارين والعتات التي يجلب عنها

والخامس : معمل قنود القنارات الحديد والتحاس ، وفي المدرسة قسم لتعليم التلويح

بالأدب المختلفة^(١)

(١) من المراجع : ص ٢٤١ (١٩ يناير سنة ١٨٧٠)

١ - مدرسة الطغرف أسست سنة ١٨٦٨ ، وألغيت سنة ١٨٦٩ ، ثم ألحقت بمدرسة

مبور وصنائع

٢ - فرقة النقاشين أسست سنة ١٨٦٩ ، وألغيت سنة ١٨٧١

٣ - فرقة عمليات مرور أسست سنة ١٨٧٠ وألغيت سنة ١٨٧٢ ، وفرقة أخرى أسست

سنة ١٨٦٨ وألغيت سنة ١٨٧٢

المدارس الخصوصية

وأنشأ من المدارس الخصوصية :

١ - مدرسة المساحة والمحاسبة ، أسست سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها نظار مدرسة

المهندسات

٢ - مدرسة اللسان المصري القديم (اللغة الممروغلية) أسست سنة ١٨٦٩ وتولى نظارتها

السيد بروكش (باشا) Bruges العالم الألماني في الآثار المصرية وألغيت سنة ١٨٧٦ .

وتشهر من تخرج من يرحى هذه المدرسة العالم الأثري الكبير أحمد كمال باشا .

٣ - فرقة الرسم بالمدارس الملكية أسست سنة ١٨٦٩ وألغيت سنة ١٨٧٩ .

٤ - مدرسة الزراعة أسست سنة ١٨٦٧ وألغيت سنة ١٨٧٥ .

٥ - مدرسة العميان والخرس ، للبنين والبنات ، أسست سنة ١٨٧٥ ، وتولى نظارتها

محمد أنسى بك لجل عبد الله أبو السعود أفندي .

المدارس الثانوية

وأنشأ من المدارس الثانوية .

١ - المدرسة التجريبية بالعاصمة أسست سنة ١٨٦٣ ، ثم حلت إلى حزب الجواميز سنة

١٨٦٨ ، وعرفت بالثانوية

٢ - مدرسة رأس العين بالإسكندرية ، أسست سنة ١٨٦٣ .

المدارس الابتدائية

قلنا إن معظم المدارس الابتدائية التي أنشأها محمد علي قد أقيمت في أواخر عهده ، ولم يحد بلطغا في عهد عباس وسعيد ، فبدل إسماعيل جهوداً كبيرة في إنشاء المدارس الابتدائية في القاهرة وفي مختلف العواصم .

ويرجع الفضل في إنشاء هذه المدارس إلى شريف باشا ، ثم إلى علي باشا مبارك ، الذي فكر في تحويل التعليم في الكتاتيب إلى التعليم الابتدائي النظامي ، وكان عدد الكتاتيب وقتئذ نحو خمسة آلاف كتاب .

وهناك بيان ما أنشأه إسماعيل من المدارس الابتدائية :

مدرسة للتدريسيين بالعباسية أنشئت سنة ١٨٦٣ ثم نقلت إلى الناصرية ثم إلى الترية
مدرسة وأسس التبريد الابتدائية بالإسكندرية أنشئت سنة ١٨٦٣

مدرسة طنطا (بب)	أنشئت سنة ١٨٦٨
مدرسة أسيوط	أنشئت سنة ١٨٦٨
مدرسة بني سويف	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة المنيا	أنشئت سنة ١٨٧٣
مدرسة الغربية	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة البحيرة	أنشئت سنة ١٨٧٣
مدرسة البحيرة	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة باب الشعرية	أنشئت سنة ١٨٧٤
مدرسة عابدين	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة مصر القديمة	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة أبو العلا بولاق (عباس)	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة السيدة زينب (محمد علي)	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة شبراخين	أنشئت سنة ١٨٧٣

مدرسة العباس	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة الجيزة	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة الإمام شاذلي	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة الحامية	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة رشيد	أنشئت سنة ١٨٧٦
مدرسة الفشن	أنشئت سنة ١٨٧٩

ويضاف إلى هذه المدارس مدرسة (الصلبية) ، وقد كانت مكتباً أنشأه والده عباس باشا الأول ، وصم إلى المدارس الابتدائية سنة ١٨٧٢ ، ومدرسة قلاوون ، والشيخ صالح للشيخ ، ومدرسة محمد بك ميد أحمد ، ومدرسة حافظ باشا بالإسكندرية ، ومدرسة البرصيني ، ومدرسة راتب باشا بالإسكندرية أيضاً .
ومدرسة (خليل آغا) ، أنشأها كبير أغاوات والدة إسماعيل ، قرب المسجد الحسيني بالقاهرة ، ثم انتقلت لتتبع إلى شارع الأمير فاروق .
ومدرسة القبة التي أنشأها الأمير محمد توفيق باشا ولي العهد علي . تلقت هذه الخاصة

الحفلات المدرسية

كان الخديو إسماعيل شديد الميل إلى إقامة الحفلات المدرسية التي تحتم فيها الاختبارات العامة في المدارس على اختلاف درجاتها ، وكان لهذه الحفلات مظهر مهم في ذلك العصر ، إذ كان يحضرها كبار رجال الدولة ، وتوزع فيها الجوائز والمكافآت على المتفهمين من التلاميذ وملتقى فيها الأساتذة وروايغ الطلبة الخطيب والقضاة . فكانت هذه الحفلات من عوامل النهضة العلمية ، ويدل ذلك على مبلغ عناية الحكومة بها أن (الوقائع المصرية) وهي الجريدة الرسمية للحكومة كانت تنشر بوصف كل حفلة مدرسية وتشرك كل ما يلزم فيها من الخطب والقضاة ، تسجيلاً لها . وتعطيها لقائلها ، ويحد في (الوقائع المصرية) بإدات مستعينة عن هذه الحفلات وأسماء من يحضرونها من رجال الدولة وأعلام الأدب والعلم في ذلك العصر ، وأسماء لأساتذة الطلبة الذين يحضرون فيها

الأزهر

ظل الأزهر الجامعة الإسلامية التي تدرس فيها علوم الدين والفقه واللغة ، وكان التحنن فيه يسج الأساليب القديمة التي درج عليها من سالف العصور .

وقد بدأت روح الإصلاح والتقدم تتمشى فيه من عهد ولاية الشيخ محمد العباسي المهدي مشيخته سنة ١٨٧١ .

وبأكورة الإصلاح فيه إنشاء نظام الامتحانات لتخرج العلماء وللدروس سنة ١٨٧٢ فقد كان التدريس في الأزهر خلواً من القيود ، فوضع الشيخ العباسي نظاماً لامتحان العلماء ، وألف لهذا الغرض لجنة برأسته مؤلفة من ستة من كبار العلماء اثنان من الشافعية وهما الشيخ خليفة الصفدي ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي ، واثنان من المالكية وهما الشيخ أحمد الرفاعي والشيخ أحمد الجيزاوي ، واثنان من الحنفية ، وهما الشيخ عبد الرحمن البحراوي ، والشيخ عبد القادر الرفاعي .

ومهمة هذه اللجنة امتحان المرشحين للمعالية في مختلف العلوم وإعطاء الناجحين منهم إجازة المعالية ، وكان تأليف هذه اللجنة أساس النظام الجديد في الأزهر .

وجاء السيد جمال الدين الأملاني إلى مصر سنة ١٨٧١ ، فتبع في الأزهر روح النهضة ، وغرس بذور التقدم الفكري والعلمي ، وقد بدت ثمارها تظهر في المدرسة الحديثة التي حمل نواها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في الأزهر وخارج الأزهر .

البعثات

أعاد إسماعيل عهد البعثات التي ازداد بها عصر محمد علي من قبل ، وأخذ يوفد الطلبة إلى مدارس أوروبا منذ سنة ١٨٦٣ ، وبلغ عددهم مدة حكمه ١٧٢ طالب ، وهو كما ترى أقل من عدد البعثات في عصر محمد علي .

وأنشأ مدرسة لأعضاء البعث في باريس بدل للخدمة التي أنشأها محمد علي لهذا الغرض

وأقبلت في أواخر عهده كما بيناه ، عصر محمد علي (١٨٦٢) ، لكن المدرسة التي أنشأها إسماعيل أقفلت بعد شوب الحرب السبعينية

مدارس الأقباط الأرثوذكس

ومشط الأقباط إلى إنشاء المدارس لتعلم أبنائهم ، ويرجع معظم الفضل في هذه النهضة إلى جهود الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط الأرثوذكس .

فصار لهم في عهد إسماعيل نحو ١٢ مدرسة بالقاهرة ، أهمها المدرسة البطريركية الكبرى ، ومدرسة مصر القديمة ، وأخرى بالحيرة ، ومدرستان بالإسكندرية ومدرسة كاتريكة لتعليم اللاهوت واللغات القبطية والطقوس الدينية ، ونشطوا في تعليم البنات فأنشأوا لذلك مدرستين ، واحدة عمارة السقاين ، وأخرى بالأزبكية .

وقد منح إسماعيل مدارس الأقباط مساعدات جمة أهمها أنه وهبها ١٥٠٠ فدان من نجد أطيان القطر ، ليخصص ريعها على التعلم فيها ، فكان هذا الريع يفي بمعظم ما يتفق على هذه المدارس .

المدارس الأوروبية

كثر عدد المدارس الأوروبية التي فتحتها البعثات الدينية للبنين والبنات ، وبلغ عددها في عهد إسماعيل ٧١ مدرسة^(١) ، ولم تنتشر في أي عهد قبل ما كثرت في عهده .

وقد خرجت عدداً كبيراً من رجال الأعمال والمهنيين وموظفي الحكومة ، وخاصة موظفي البريد والسكرات الحديدية والمحال التجارية والبنوك وترجمة القضاة والمحاكم المختلطة ، وقال كثير منهم الحمايات الأجنبية بواسطة القناصل ، فصاروا في حكم الأجانب في انبائهم للملوك الأجنبية ، وميولهم إلى ، وعدم خصوصهم للنظم الأهلية القضائية والإدارية .

وزارة المعارف

قد رشح محمد علي باشا (وزارة المعارف) بعد أن ألقى في عهد سعيد
وما تقدمت به من تعليم حصص لدراسة المعارف سراي الأمير فاضل مدوبه الجهمير
وهي سراي محمد وسيف الدين بن علي وبعض المعاهد العلمية ، كمدارس الهندسة
ومدرسة الحقوق ، ومدرسة المساحة والمخارطة ، والمدرسة التجهيريّة ، ودار الكتب . ومعلم
لطبيعة والكيمياء ، ومدرج المصنوعات (الاختراعات) ، فصاروا عملة الجامعة المصرية ،
وكان اختيار هذه السراي إجابة لاقتراح العلامة علي باشا مبارك حينما ولد وزارة المعارف
وتعاقب على وزارة المعارف في عهد إسماعيل الوزراء الآتية أسماؤهم

إبراهيم آدم باشا (يناير - يولييه سنة ١٨٦٣) . شريف باشا (يولييه سنة ١٨٦٣ - أبريل
سنة ١٨٦٨) . علي مبارك باشا (أبريل سنة ١٨٦٨ - سبتمبر ١٨٧٠) . مصطفى بيك باشا
(سبتمبر سنة ١٨٧٠ - مايو سنة ١٨٧١) . علي مبارك باشا (مايو سنة ١٨٧١ - أغسطس
سنة ١٨٧٢) . الأمير حسين كامل باشا (أغسطس سنة ١٨٧٢ - أغسطس سنة ١٨٧٣)
مصطفى رياض باشا (أغسطس سنة ١٨٧٣ - مايو سنة ١٨٧٤) . محمد ثابت باشا (مايو
سنة ١٨٧٤ - سبتمبر سنة ١٨٧٤) . الأمير طوسون باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٤ - أغسطس
سنة ١٨٧٥) . يحيى منصور باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٥ - يولييه سنة ١٨٧٦) . مصطفى رياض
باشا (يولييه سنة ١٨٧٦ - أكتوبر سنة ١٨٧٧) . إسماعيل باشا أيوب (أكتوبر سنة ١٨٧٧ -
أغسطس سنة ١٨٧٨) . علي باشا مبارك (أغسطس سنة ١٨٧٨ - أبريل سنة ١٨٧٩)
محمد ثابت باشا (أبريل سنة ١٨٧٩ - يولييه سنة ١٨٧٩)

ميزانية التعليم

كان إسماعيل يفتقر بسطاء على التعليم ، فقد كانت ميزانية المعارف في عهد سعيد لا تتجاوز
سنة آلاف جنيه^(١) ، فزادها إسماعيل إلى أربعين ألفاً ، ثم بلغت كما ذكر علي باشا مبارك^(٢)

(١) الدين في ليرة مصر المديون ١٦٢

(٢) المخطوطات المرفوعة ج ١ ص ٨٩



علي باشا مبارك

رغم مهنة العلم والتعليم في عصر إسماعيل
(١٨٦٤ - ١٨٩٣)

٧٥ ج٢ ، ص ٤٨٠٠٠ من وزارة المالية (الميرانية العامة) و ٢٠٠٠٠ من إيرادات
مصر الوادي ، و ٧٠٠٠٠ من ديوان الأوقاف ، وكان التسم في معظم المدارس بجائياً
ثم شقت ميرانية وزارة المعارف في أواخر عهد إسماعيل بسبب الإبتكارات المالية التي
في سبب قروضه ، فهدت إلى ٢٠٠٠٠ ج٢

على باشا مبارك

رغم صحة العلم والتعلم في عصر إسماعيل

(١٨٢٤ - ١٨٩٣)

إن الحديث عن تقدم التعلم في عهد إسماعيل يستتبع الكلام عن العلامة علي باشا
مبارك ، فإن اسمه مقرون بهذه النهضة المباركة .
في تاريخنا القومي شخصيات جيدة ، تعد أركاناً لهذه النهضة القومية ، لما لها من الأثر البالغ في
تطورها ، وتوجيها إلى مثل العليا في شتى مظاهرها ، من الناحية الأخلاقية والوطنية ، أو
العلمية والأدبية ، أو الاقتصادية والاجتماعية .

ومن واجب الوفاء لهذه الشخصيات أن نذكرها دائماً بذكر ، ونخصص لها ما هي بطيرة
به من البحث والدرس ، ولا نغفل للشخصيات الجيدة في تاريخ مصر هي كالكواكب النيرة
في سماء النهضة القومية .

وقد بذلنا ما استطعنا من جهد لدراسة تلك الشخصيات في الأجزاء الثلاثة السابقة من
تاريخ الحركة القومية ، كلها عرضت المناسبة للكلام عنها ، وهنا ، لمناسبة التطم والنهضة
العلمية في عصر إسماعيل ، نرى حقاً حيناً أن نؤتي بعض هذا الواجب غير العلامة علي باشا
مبارك ، فهو من هذه النهضة ، وقلوبنا النابض ، ورأسها المثير ، وهو من الشخصيات القادة
التي سطعت سطوعاً قوياً في عهد إسماعيل ، وبعد تاريخه قطعة من هذا العصر ، والمصور التي
لته ، إلى عصرنا الحاضر ، وإلى ما شاء الله

نشأته الأولى (٨)

ولد المرحوم في برنال الجديدة ، من أعمال مركز دكرس بمديرية الدقهية سنة ١٨٢٤م
(١٢٣٩ هـ) ، أبوه الشيخ مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروسى من أهالي هذه الناحية ،
وجده الأعلى من ناحية كوم بني مراس والمخيلج على بحر طناح . من أعمال مركز المنصورة ،
« وفشل كبير حصل في هذا البلد تشتت عائلته ، فأقام جده الأكبر إبراهيم ابراهيم في برنال
الجديدة ، ونال فيها مكانة عالية ، فكان إمامها وخطيبها وقاصيها ، وبقيت هذه المكانة في
سبله ، حتى عرفت عائلته بمائلة المشايخ » .

ولاصطهاد وقع بأهل برنال وإرهابهم بالصرالب الشيلة هاجرت عائلة مبارك ، وتفرقت
في البلاد ، فترك والد المرحوم بعزة الحاديين من بلاد الشرقية (مركز فاقوس الآن) ، وكان
ابنه لم يبلغ السادسة من عمره ، ولم تطب لهم الإقامة في هذه البلدة ، إذ لم يلقوا فيها إكراماً ،
فارتحلوا منها إلى عرب الساعة بالشرقية ، فأحسنوا وقادة والد المرحوم ، وأكرموا مثواه ، ولم
يكن في بلدتهم فقهاء ، فجلوه مرجعهم في الأحكام الدينية ، وبنوا مسجداً جعلوه إمامه ،
ولما بدأ ينزع من الشغل التي حلتها قبل أن يهبط هذا البلد ، أخذ يسي يتدبب ابنه
وتعليمه ، وكان المرحوم قبل رحيله من برنال ، قد بدأ يتعلم القراءة والكتابة على يد رجل
ضرب من أهلها ، فلما استقر بأبيه المقام بين عرب الساعة ، أخذ يعلمه بنفسه ، ثم أرسله إلى
ضيه اسمه الشيخ أحمد أبو خضر ، أصله من ناحية الكردى (وهي بلدة قريبة من برنال) ،
ثم ارتحل إلى قرية صغيرة على مقربة من مساكن أولئك العرب ، وهناك حفظ للمرحوم على يده
القرآن في ستين

وكان الشيخ يفسر في معاملته وضربه . كما هي عادة الفقهاء والمعلمين مع تلاميذهم في
ذلك عصر . فسمع عن متبعة إقراده عليه ، وأنه أن ذهب إليه ، وحمل يقرأ عند أبيه ،
لكن أبناء كان لا يستطيع الصرخ لتعليمه ، لكثرة مشغله . فترضى المرحوم في الحفظ
والد من . وكاد يسي ما حفظه ، مهم أنه أن يجبره على الرجوع إلى القبة . لكنه أتى أن

(٨) ص ١٠٠ من معظم الوقائع ، على ما استخلصناه من ترجمة علي باشا مبارك نفسه في المخطوط التوقعية ج ٩

يعود إليه ، وحديثه نفسه بالحرب ، لما كان يحده من سوء المعاملة ، فتدخل نفوذه في الأمر ، فأبدي لهم نفوذه من الحفظ ، وأعرض عن أن يكون « قبيحاً » ورغب أن يكون « كاتباً » ، لما كان يراه على الكتاب من حسن الهيئة والفرق من الحكام .

وكان لأبيه صديق كاتب بناحية (الإخوة) ، فأسلمه إليه ليكمل الكتابة على يديه ، فالتزمه في دأبه يتعلم عنه ، ولكنه رأى منه قوة وعظمة ، وباله منه أدنى شديد ، إذ سأله يوماً عن الواحد فأجاب بالثمن ، فصره مائة ، مشج رقبته ، وكان ذلك على ملا من الناس ، فشكاها إلى أبيه ، فلم يخل بشكايته ، فلهرب ، وانتهى به الطاف إلى العودة وحيداً إلى برنيال ، وهناك وافاه أخوه الذي كان يبحث عنه ، فأعاده إلى أبيه ، وقد حار في معاملته وتعليمه ، وأبدي المترجم نفوراً من الرجوع إلى الكاتب أو الققيه ، لما رأى منها من الإيذاء والصرب .

فارتأى أبوه أن يعهد به إلى صديق له من كتبة السجون ، فصرى بذلك . ولازمه ثلاثة أشهر ، ثم انفصل عنه ، وبقى في بيت أبيه يقرأ عليه ، وبعد سنة جهه مساعداً لكاتب في مأمورية في كبير ، بحرتب قدره خمسون قرشاً ، ولكن الكاتب لم يقضه أجره ، إلى أن تسلم يوماً حاصل الجباية من أبي كبير ، فأخذ منه وأتبه للتأخر ، فغضب منه الكاتب وأغرى به مأمور أبي كبير ، وافق وأياه على تحنيدته ، فاستدعاه المأمور واحتضنه ، ووضع لفل في عنقه ولبث في السجن بضعة وعشرون يوماً ، قاسى فيها مر الشدائد والآلام ، ولا علم أبوه بسجته رفع ظلامته إلى محمد علي باشا وزير مصر ، وكان إذ ذاك في بيت القمح ، فكتب بأعلاء سبيله ، وإطلاق سراحه ، وعاد أبوه بالأمر ليطلب من المأمور تفديده ، وقيل أن يحضر جاء السجن صديق للسجنان ، وأقضى إليه أن مأمور زراعة القطن بناحية في كبير في حاجة إلى كاتب ، فذهبه السجنان على المترجم ووصفه له بالنجابة ، وحسن الخط ، وبعد قليل جاء أمر الإخراج ، وذهب إلى مأمور الزراعة ، وكان أسود حبشياً يدعى (حنبر أفندي) فاعده كاتباً عنده مقابل حراة يومية من الحيز ، وخمسة وسعين قرشاً في الشهر ، فارتضى هذا العمل ، وكانت صحابة أخلاق غير أخددي وطيته مما رغب إليه البقاء في هذه الوظيفة .

ما يؤخذ من نشأته الأولى

ي. هـ - من نشأته المترجم الأولى شيء مما بلغت النظر ، لكنها تصلح أن تكون صورة

مصره سعاد لأبيه في بيت مصر

فانتقل عائلة محمد من مصر إلى مصر من كبره في مصر على هر ضاح ، إلى برنيال . فصرى الدهيدية شيئاً لا يرضى به من مصر . وكان سعاد مدممة الحكام بالاعين في بيت مصر ، ورجعهم مصر . ثم صبر ثمن حمله ، وكثير منها . إلى برنيال فراراً من المصير الذي لم يستصير دمه . من جردو من ماشهم ومتاعهم ، وتشدد الحكام في استخلاصها بالسجن والضرب ، فمر يجدوا مخلصاً من هذه المظالم سوى الهجرة من موطنهم . وهذا بعضنا صور من مظالم الحكام في ذلك العهد ، إذ لم يكن ثمة قنول يحمي ظلم القوى من الضعيف ، ويعور دون اعتداء الحكام على المحكوم ، ولا صرايب منتظمة معروفة القدر ، يعرف كل إنسان حدود ما عليه منها ، بل كانت متروكة لأهواء الحكام والرؤساء ، فلا جرم أن استهدف آل المترجم للتجرد من متاعهم وماشيئهم ، ثم إلى السجن والضرب ، ثم إلى الهجرة والتنقل من بلد إلى بلد . فراراً من المظالم

وهذه الشاة تعطينا من جهة أخرى صورة الكاتب عليه حالة التعليم قبل أن تألف الناس المدارس الحديثة ، فإن فكرة تعليم الأبناء كانت موجودة عند الآباء الذين دولوا حظاً من العلم ، بذلك على ذلك ميل والد المترجم إلى تعليم ابنه قدر ما يستطيع ، لكن طريقة التعليم كانت رديئة . لا تشر في تنمية الفكر وتهذيب النفس ، فحقبة القرية وكاتب الإخوة ، وأمثالها من الفقهاء والعرفاء ، كانوا من الجهل والقسوة حيث لا تسج التعليم على أئدهم سوى المحاماة ، وبت روح الخوف والخجل في أخلاق الشباب ، لأن القسوة والصرب يقتلان في نفس الطفل روح الشجاعة والأخلاق الفاضلة

وليس في نشأة المترجم الأولى حالة غير عادية تجعل منه رجلاً يختلف عن معاصريه ، وفكرت أمراً واحداً بلغت النظر ، ذلك هو نفوذه من الذلل ، ومحافاته قوة المعلم ، فقيهاً كان أو كاتباً ، أفلا تراه يؤثر الهجرة على احتمال القهر والضرب ؟ ثم ألا تراه كأنما يتقدم عصره ويبد معاصريه ، فيصطلح إلى أسلوب في التعبير يرقى من الأسلوب المتقيد الذي كان مألوفاً في عصره ؟

ي. هـ - من مظهراته تدل على أن مصر تسمى مصر . ي. دل ولا تقم على العسر ، وذلك بسبب عن سحر الحس ، لأن به اندر تدل على نفس عزيزة . وعزة النفس تجمع حولها سطفاً من الأخلاق الكريمة ، ولا تراه في أن تثلث النفس العريضة كانت من أسباب شوع المترجم .

سواء رضى عنه وافهون ، لاسم في طريقه ، ولم يحاور أن يصير كاتباً صغيراً ، مردوداً مثل غير أفندي . ولكن اضطر إلى ما حدث به معه . وهو شغل هذه الوصفة . بعد ذلك سنوئه كاتب خلتج بين حويج ورحم .

فقد روى عن بعض أنه لا اشتغل كاتب غير أفندي رضى منه راحة ، وشغفه بعض معاملة . يختلف عما نفيه من كاتب أمي كبير ، لكنه شعر بأن لو كاله غير أفندي على غرار ذلك الكاتب ، لما وجد من ينقله من قسوته وسوء معاملته ، ومن ثم المجهت نفسه إلى أن يكون ، بحالة لا ذل فيها ولا تحشى عوائلها ، كما يقول المترجم .

فهذا الشعور ، هو ميمس النفس العزيزة التي تأتي الهوان ، وتصلح إلى اللذل ، وهو شعور كريم ، كان له أثره في حياة علي مبارك .

وزن سمو هذا الشعور ليدعوا إلى إعجاب ، أن تتعامل من في القبيح ؟ وكيف اختص به دون أقرانه في القرية ؟ إن هذا هو سر نبوغ العظماء ، لا نجد له تحليلاً دقيقاً ، فإذا علمت بتأثير البيئة أو الوراثة ، اعترضك في هذا أن النابغة قد ينشأ وغيره من الناس في بيئة واحدة ، ومن أب واحد ، وأم واحدة ، ومع ذلك يتفرد بالنبوغ دون أقرانه وأخوته .

قد يكون السرف النبوغ هو الاستعداد الفطري للنبوغ ، يولد مع صاحبه ، أو هو الإلهام الذي يودعه الله نفس النابغة ، أو هو التوفيق والعناية الإلهية . ذلك أن تفسيره بمعنى من هذه المسائل ، أو بها كلها محتملة ، ولكن علياً أن عصب حساباً لتقدير الوسط والوراثة ، فلا شك أن علي مبارك قد اقتبس شيئاً من أخلاق أبيه ، فقد كان جده الأكبر رجلاً عظيماً مكرماً ، تولى بلدة برنال ، ولم يكن من أهلها ، فصار إمامها وخطيبها وقاضيا ، وبعد وفاته بقيت هذه الوظيفة في نسبه ، طبقة بعد طبقة ، فلم يكونوا على أخلاق نسبه ، ونفوس طيبة ، لما احتفظوا بهذه المنزلة ، حتى صارت عائلتهم تعرف بمخالفة المناياح .

وكذلك لما هجر أبو المترجم ناحية برنال ، وورد قرية السباحة ، احتفظ بعزة النفس ، ونال من أهل تلك القرية مكانة ممتازة ، أدركها بطمه وصفه ، وإنك لتلمح عزة نفسه من كونه لم يطق صبراً على اعتقال أبيه ، وذهب إلى منيا التمتع ، حيث كان عزيز مصر محمد علي باشا ، ورجع إليه بسلامته ، وشكا إليه ما حاق بأبيه من السجن ، فالتكوى من الظلم ، واستصرخ ولي الأمر ، من الأمور التي تحتاج (في ذلك العصر) إلى شيء من المرأة والشجاعة ، فكلم من المطالم كانت ترتكب ، ويستسلم لها القاصرون ، وإذا علمتهم أنفسهم

بالتكوى منها ، فقد تمهرهم الشجاعة إلى إبلاغه لأكثر رأس في الحكومة فأعجب الظل أن المترجم اقتبس عن أبيه تلك النفس العزيزة . وهذا حصل يجب أن سجله لوالد المترجم . الشيخ مبارك بن مبارك بن سلطان بن إبراهيم الرواحي .

نشأته الثانية في المدارس النظامية

إن طموح مصر على مبارك إلى العمل هو الذي سلك به سبيل المدارس النظامية ، ذلك أنه حينما اشتغل كاتباً عند غير أفندي ، أحد سائر ورش ناموس من أخبار سيده وأسياس بلوغه هذا المركز المتأخر في الحكومة ، وكان يدهشه أن غير أفندي ، وهو أسود حشيش ، يصل إلى هذا المنصب ، حين كان يعتقد أن الحكام لا يكونون إلا من الأتراك على حسب ما جرت به العادة في تلك الأزمان ، فلم من القراش عن سبب اوتقائه أنه كان يشتري سيده من دوات المكانة والجاه ، فأدخلته مدرسة قصي العيني إحدى المدارس النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، فعمل فيها وتخرج منها ، وصار أهلاً للمركز الذي يشغله ، وعلم أن الحكام يؤخذون من حرمي هذه المدارس .

فما استمع المترجم لهذا الحديث ، مالت نفسه إلى دخول تلك المدارس ، ليصل إلى ما وصل وإليه غير أفندي ، وأخذ من تلقاه نفسه يسأل عن السبيل إلى دخول المدارس النظامية ، وسأل القراش : هل يدخلها أحد من الفلاحين ؟ فقال يدخلها صاحب الوسطة فخلعت نفسه بالسبيل لدخولها . واحترم ترك العمل الذي كان يشتغل به ، والذهاب إلى مصر ليتحق بمدرسة قصر العيني .

دخوله مدرسة ميته الحر

وما عالج له هذا الحرم حتى أصر على إتقائه ، دون أن يكشف أحدًا ، فطلب الإذن من رئيسه بإحاره بمصيبة في زيارة أهله ، فأذن له بخمسة عشر يوماً ، وسافر إلى وجهته ، وفيها هو سير في حريمه مر بمرارة بني عباس ، وثمن جماعة من الأطفال سمور رجلاً حاداً ، وكل منهم يحمل دواة وقلماً ، فاجتمع بهم تحت شجرة ، وتعرف حالهم ، فإذا هم تلاميذ

(٩) مركز ميته الآن : قبل أن يغير يشرق

مكتب ميت العز ، أحد المكاتب التي أسسها محمد علي باشا ، وكان ذلك قالاً حسناً للترجم ، كما يقول من نفسه ، إذ أنه اجتمع بالأطفال ورأى احتياط خطه أنجود من حظوظهم . رغب إليه أن يدخل مكتب ميت العز ، وأقنعه أن يجيء المكاتب ينتقلون إلى المدارس دون واسطة ، فابيح المترجم هذه الفكرة ، إذ وجد فيها بغيته التي يتشدها ، ولم يكن أحب إلى نفسه من أن يسلك سبيل الدخول إلى المدارس ، ويحاذ تلك العقبة التي أشد إليه فراش الأمور في حديثه له . وهي « الوسطة لدخول المدارس » ، ورأى أن الاجتهاد في المكتب سيميه عن تلك الوسطة التي قد لا يجدها

دخل المترجم مكتب ميت العز ، وناظره من معارف أبيه ، وكان يعلم أن دخول أبيه المكتب لا يرضيه ، فأراد أن يصرفه عن دخوله ، ولكنه رأى منه إصراراً على حزمه ، فبقى بالمكتب خمسة عشر يوماً ، وأرسل الناظر إلى أبيه ، فجاء يسعى لإرجاعه عن عزمه ، فأبى ، فلجأ إلى حيلة يترعه بها من المدرسة ، فاتفق مع الناظر على أن يشر القرصة في خروج أبيه وإلى الفسحة وقت الظهر ، فاعتطفه وعاد به قسراً إلى بيته ، وجبه في البيت عشرة أيام ، وأعلنت أنه تكي وتستطفه ليرجع عن حزمه ، كي يبقى بينهم ولا يفارقهم ، فوجدوا بالبقاء ، ولكنه أسرى نفسه أن يفتح أقرب فرصة لفراق لعله وذويه ، والرجيل في طلب العلم ، وانتظر حتى أطمأنتوا إلى عدوله عن فكرته ، ولا كانت إحدى الليالي تريض حتى تلوا جميعاً ، وأعد دوائه وأدواته ، وخرج من البيت خائفاً يترقب ، وتوجه لقاء ميت العز ، وكان ذلك - كما يقول المترجم - آخر عهده بسكنائه بين أبيه ، وكانت ليلة مقمرة ، فمشى حتى بلغ ميت العز ضحى القند ، ولم يشر الناظر إلا وهو داخل للمكتب مع زملائه التلاميذ ، وكأى حتى أن يحيى أبيه ويحتال عليه لاعتطاه ثانية ، فحرم المكتب ، لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً ، وجاء أبيه غير مرة ليقتنه بالدخول من حزمه ، ويأخذ بالحسنى ، فلم ينتجع في مساعده ، واستمر الفلام ملازماً للمكتب . مكثاً على الدرس والتحصيل

انتقاله إلى مدرسة (قصر العيني)

بقى المترجم في مكتب ميت العز إلى أن جاء ناظر مدرسة الخانكة (عصمت أفندي) لاختيار بحاء التلاميذ من المكتب المذكور ليكتفوا بمدرسة قصر العيني ، فكان التلميذ على مبارك لم وقع عليهم الاختيار ، فجاء أبيه يحاول من جديد صرقه عن الذهاب إلى المدرسة ،

وشكا أمره إلى عصمت أفندي ، فأحاله على أبيه ، وقال إن الخيار له ، فخبروه به لعودة مع أبيه أو الالتحاق بالمدارس ، فاختار المدارس ، صكى والده بكاء كثيراً وأغرى به جماعة من المعلمين يستميلوه ، فلم يصع لهم ، ودخل مدرسة قصر العيني سنة ١٨٣٦ ، وكان لا يتجاوز يومئذ الثانية عشرة من عمره

وهنا تبدو ظاهره جديدة في شخصية المترجم ، إلى جانب ما ذكرناه عن حزمه نفسه ، وطموحه إلى المعالي . وهي ميله المظري إلى العلم ، وشغفه بالأرتواء من مبه العبدية ، وما عطر عليه من قوة الإرادة ، ومضاء العزيمة .

فناظر إلى مبلغ حبه للعلم ، والتعلم . تجده يسعى جهده للالتحاق بالمدارس ، رغم إرادة والده ، وليس من المؤلفين بين الأطفال والشبان أن يقلبوا على العلم بوارع من أنفسهم ، بل يأوهم هم الذين يدفعونهم إلى دخول المدارس ويرغبونهم بمختلف الوسائل في متابعة الدرس ، وكثيراً ما يتصب الآباء في إيلاف أبنائهم للمدرسة والإقبال عليها .

فالفلام الذي يتعلق بدخول المدارس رغم إرادة أبيه ، ويستهدف لنفسها في هذا السبيل ، لابد أن يكون قد رسخ في نفسه شغف شديد العلم والتعلم .

وتحلى أيضاً قوة عزيمة المترجم ، في إصراره على دخول المدارس ، رغم تلك العقبات التي اعترضته ، من إعصاب والديه ، إلى بُعد الشقة ، ووجود الطريق ، إلى قلة ذات يده ، إلى صغرمته ، إلى المفارقة بنفسه في حياة مجدها ولا يعرف مصيرها ، كل ذلك بدل على حظ عظيم من صدق العزيمة وقوة الإرادة .

هجرة النفس ، والطموح إلى المعالي ، وحسب العلم ، وقوة الإرادة ، هذه هي الصفات التي تطلعت بها شخصية على مبارك وهو بعد في سن الطولة والمراهقة وسرى كيف لازمت هذه الصفات في كل أدوار حياته ، فكان ما ذلك لأثر العظيم في أعماله

التعلم في مدرسة قصر العيني

لم تكن مدرسة للطلب قد نقلت بعد إلى قصر العيني ، حينما جاء مصر على مبارك ، بل كانت لم تزال بأبي رحيل . أما المدرسة التي كانت بقصر العيني وقتئذ (سنة ١٨٣٦) فهي مدرسة إعدادية للمدارس الحربية والعالية .

والحساب والبحر . ويراد كالتلالم . وكلام المدرسين فيها كالسحر . ولكن إبراهيم بك
 رتب أوضح للتلاميذ معاني الهندسة ولقواعد أسلوب تفكير عقولهم . فافتتح محاسن
 ذهن المترجم . وبشيء ما يسمع من الدروس .
 ونفت نجاح التلميذ على مبداء نظر رأيت لك ، فصار يصيرت به أمثل ؟ وتبطل نجاحه
 على يده دليلاً على تأثير أسلوب المدرس في تثقيف أذهان التلاميذ .
 ول سنة ١٨٣٩ اختار ولاية الأمور بجاء مدرسة في زحيل لإحياء مدرسة الهندسة
 ببولاق ، فكان على ما كان ضمن هؤلاء

دخوله مدرسة الهندسة

دخل مدرسة الهندسة ، وكان حينئذ يافعاً ، إذ بلغ السادسة عشرة من عمره ، فأخذ
 بضوئه العلمي يزدهد ويسمو ، ومكث خمس سنوات يتابع الدرس ، حتى امتثل جميع
 علوم المدرسة ، وظهرت عليه مخايل الذكاء والتقدم منذ دخلها ، فكان دائماً أول رتبة ،
 وأساتدته فيها طائفة من علماء الرياضيات ، ممن علا ذكرهم في فجر النهضة العلمية . أمثال :
 محمود باشا الفلكي ، وطال أفندي ، ومحمود بك أيمن . ودقه أفندي ، وإبراهيم بك
 رمضان ، وأحمد بك فايد . وسلامه باشا إبراهيم . وناظر المدرسة المسؤول أمير بك أحد علماء
 الترسيب . ول هؤلاء الأساتذة فضل كبير على المترجم ، إذ تلقى على أيديهم العلوم الهندسية
 والرياضية ، ولم تكن ثمة كتب مؤلفة في الفنون التي تولوا تدريسها ، بل كان المعلمون يملكون ،
 والتلاميذ يكتبون ، يسمونه في كراريس . كل على قدر اجتهاده ، وكان المعلمون كما شهد لهم
 بذلك المترجم ، ويدلون غاية جهدهم في العلم ، وفي آخر عهده بمدرسة الهندسة أخذوا
 يطبعون الكتب في مطبعة الحجر ، فاستعان بها التلاميذ ، إلى أن تكاثرت طبع الكتب المطولة في
 العلوم والفنون الرياضية

انتظامه في صلك البعثات سنة ١٨٤٤

بعدت البعثات العسبية الفرنسية في عهد محمد علي باشا ، وقد تكلمنا عنها تفصيلاً في
 كتابه « عصر محمد علي » (ص ٤٥١ طبعة أولى) .
 وتخرج من البعثات طائفة من النوابغ في عصر محمد علي ، واسماعيل . ومن حسن توفيق

سبب مترجم التعليم في تلك المدرسة ، ويؤخذ من وصفه أنه لم يكن على درجة حسنة
 من ... لا من جهة مستوى التعليم في ذاته ، ولا من جهة معاملة التلاميذ ، فقد ذكر أنه
 ... على خلاف ما كان يصح . وأن مدرسياً ورومياً كانوا لا يحسنون فهم
 ... ولا يعنون بالتلاميذ ، وكان لتعليم العسكري موضع العناية فيها ، فيشرون الطلبة
 ... في معظم الأوقات . في الصباح ، والظهر ، وبعد الأكل ، وفي أماكن
 ... الصرب وأنواع الإيداء من الأمور المألوفة في التعليم ، وكذلك قلة العناية بمأكل
 ... فكانت مفروشاتهم حصر الخلفاء ، وأحمره الصوف المليظ من صبح
 ... ولم يكن الأكل الجاري للتلاميذ سائماً ، فاستأض من على مبارك بالجبن
 و ...

بعد اهتداء في المدرسة مرض ، لما اجتمع عليه من الأفكار والمفاهيم وتغير الطقس ، فقتل
 ... في مستشفى المدرسة ، ولقي في مرضه الشلل والالام ، ولحقه الجوع بالمشقة ، وفيما كان على
 ... جاء أبوه إلى قصر المعين ، واتصل به بواسطة أحد للمرضى ، ورغب إليه أن
 ... قالت عنه لإجابته . وهم يترك المدارس ، لما لقيه فيها من التعب
 ... ولعدم وجدانه التعليم الذي يشده ، ولكنه حتى حوالت اهرب من المدرسة ،
 ... كانت الحكومة تتعقب المخرجين من التلاميذ ، وتعتقل أطعمهم ، وتسيء معاملتهم . فخشى
 ... من عنت الحكومة ما لا يرضاه له ، فامتنع عن الحرب ، فعاد أبوه الكرة يستميله
 ... فأبى واعتزم الصبر على قضاء الله . وما شئ انتقل من المستشفى إلى
 ... واستأنف الدرس ، ولم يصب بمرض بعد ذلك فقله دوايت

انتقاله إلى مدرسة أبي زحيل

لما نقلت مدرسة الطب إلى قصر المعين سنة ١٨٣٧ تحول تلاميذ القصر إلى أبي زحيل
 ... لها المترجم كإشراف تلاميذ المدرسة
 ... بعد شمر بظلم مستوى التعليم في مدرسة أبي زحيل . ونسب المترجم هذا التقدم إلى
 ... وهو المرحوم إبراهيم بك وأفت . وحسن عناية بتعليم النشء .
 ... أنه كان في بداية عهده يجد صعوبة كبيرة في فهم فنون الهندسة

المترجم وحسن استعداده أن انتظم في سلك البعثة الخامسة ، وهي أكبر البعثات شأنًا ، وفيها بعض أعيان محمد علي وأسماءه ، ولذلك سميها علي باشا مبارك (بعثة الأعيان) .

قول القائد سليمان باشا الرساوي اختيار أعضاء هذه البعثة من بوابع طبية المدارس العالية ، فكان التلميذ علي مبارك - حينئذ - لما من مقبلي مدرسة الهندسة ، وبلغ عددهم في حينها ٧٠ تلميذًا ، منهم الأمير عبد الحليم ، والأمير حسين من أعيان محمد علي ، والأمير أحمد رفعت ، والأمير إسماعيل (الخديوي) من أعيان إبراهيم باشا ، وصعدت طائفة ممن شذبوا المراكز الكبيرة في الحكومة بعد عودتهم ، أمثال شريف باشا ، وعلي باشا مبارك ، وسجاد عبد العاطي باشا ، وسيدان نجاشي بك وغيرهم (١٠١) .

وقد بدأ من المترجم التحاقه بهذه البعثة ، ما غطر عليه من الليل لشديده إلى العلم ، فإن المير لأمير بك ناظر مدرسة الهندسة رغب إليه البقاء ليجعله مدرسًا بها ، وأفهمه أن يقامه بجعل بترتيب وعظيمة له ، على حين أن التحاقه بالبعثة يحبطه باليًا في سلك التلاميذ ، وفوت عليه تلك الخربة ، لكنه أثر الالتحاق بالبعثة ، ليرداه اكتسابًا للعلوم ، ولأن سفره مع الأعيان يريده شرفًا ووضعة .

سافرت البعثة إلى فرنسا سنة ١٨٤٤ ، ووجهتها تعلم فنون الحرية ، وأنقام أعضائها ستين بباريس ، ولأحظهم أنشئت بها المدرسة المصرية لتعلم الطلبة اللغة الفرنسية ، وإعدادهم لدخول المدارس العليا بفرنسا ، وخصص لهم بها المعلمون والضباط الفرنسيون ، وكان تلاميذ البعثة يتعلمون التعليمات العسكرية كل يوم ، ولحق المترجم في دراسة اللغة الفرنسية مصاحب جمعة ، ظلها بقوة العزيمة ، فقد كان إلى عهد انتظامه في البعثة غير عارف بتلك اللغة ، شأنه في ذلك كشأن العلامة رفاعة بك رافع الطهطاوي حينما انتظم في البعثة الأولى ، وانقضى نظام التعليم في البعثة أن يجعل من المتعلمين في الرياضيات (وسهم المترجم) والعلمين باللغة الفرنسية فرقة واحدة ، وكلف المعلمون أن ينفروا الدروس بالفرنسية للجميع ، لا فرق بين من معهم تلك اللغة ومن لا يفهمها ، فعملوا ، وأحالفوا غير العارفين بها على الطرقي ليتعلموا معهم بعد انتهاء الدروس ، ولكن العارفين بالفرنسية كانوا يحطون على مثل علي مبارك بالتعليم ، ليعمدوا بالتمدن .

لمكث المترجم مدة لا يحصى الدروس التي يسميها ، وشغلي العاقبة . فعالج هذه

(١٠٠) ذكرنا أعضائهم وترتيب تواجدهم في كتاب : عصر محمد علي ، ص ٢٦٥ وما بعدها

الصعوبة . بالصبر والمثابرة ، وفوة العزيمة ، ذلك أنه أخذ يدرس العربية بنفسه ، ورسى لهذا الغرض الكتب الأولية في المجامع واللغة ، وأكسب على مطالعته ونمسه وحفظه . وبدء في هذا السبيل جهدًا لا يقطع ثلاثة أشهر متوالية ، مع متابعة الدروس حتى تلقى بالفرنسية ، فأتم الحفظ واجهد ثمرة كبيرة ، وصار أول البعثة كلها ، وكان يتبادر إلى ذهنه مع اسمه علي إبراهيم وسجاد عبد العاطي

ولما جاء إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية المظفرة إلى باريس ، سمع به احتفالًا حافلًا ، وحضر امتحان أعضاء البعثة ، فسمع ثناء مستطابًا على حسن إجادتهم ووزع الجوائز بنفسه على الناجحين منهم . وناول علي مبارك الخاتمة الثانية بيده ، وكاتب نسخة من كتاب في الجغرافية ، المؤلفه للسيد مالطرون ، مع مجموعة خرائطه ، ودعا الطلبة إلى تناول الطعام على مائته ، فكان ذلك تكريمًا لهم وتشجيعًا ، وحقق لهم على متابعة الدرس والتحصيل .

ينجلي في هذه الصفحة من حياة المترجم بباريس ، مبلغ قوة إرادته ، ومثابرته على الدرس والتعلم ، ونقطة ظاهرة أخرى ، تزين هذه الصفحة ، وهي يره بوالديه ، وحذره عليها ، فقد أجرت عليه الحكومة مرتبًا شهريًا قيمته خمسون ومائتا قرش ، فجعل نصيبها لأهله ، يصرف لهم من مصر كل شهر ، ويكون حويل نصف الآخر ، وكانت هذه مت معهم منذ دخل المدارس .

وهذا البر بالآبوين بذلك على ما تجملت به نفس علي مبارك من الوفاء ، ومكارم الأخلاق ، وإنكار الذات ، ولا شك أن هذه المزايا لا يزين شخصية المترجم ويزيدها سطوعًا وبهاء .

التحاقه بمدرسة متر الحرية

ولما انقضى عامان على إقامة البعثة بباريس ألحق الثلاثة الأول من أعضائها ، وهم علي مبارك ، وسجاد عبد العاطي ، وعلي إبراهيم ، بمدرسة المتعة والهداة الحرية - سهره - Metz ، وندوا رتبة الملازم الثاني في الجيش الفرنسي ، فأقاموا ستين شهرين يتعلمون الفنون الحربية

وبعد أن أدوا الامتحان الباقى ألتحقوا بالجيش الفرنسي ، فكان علي مبارك في الألباني

من فرق الهندسة الحربية ، وقضى به أقل من سنة ، وينبغي أنه اكتسب بانتظامه في هذه فرق حرة كثيرة ، في الفنون الحربية والهندسية ، فزادت معارفه التي نالها في مدرسة الهندسة بولاق ، ومدرسة بارس ، ومدرسة متر الحربية والهندسية ، فلا غرو أن صار من رابع المهندسين المصريين ، وظهر نبوغه في إدارته مصلحة السكك الحديدية ، وولايته وزارة الأشغال في عصر إسماعيل

وكان إبراهيم باشا يرغب في أن يرداد أعضاء البعثة حرة وعساً وأن يطبقوا مكنبه في الخدمة العسكرية بفرنسا ، حتى يستوخوا تجارباً ، ثم ينتقلوا في الديار الأوروبية الأخرى ليطبقوا العلم على العمل ، ويشاهدوا ما فيها من المنشآت الهندسية والحربية ، ولكن المنية حالت دون إبعاد هذا المبرمج ، إذ توفي إبراهيم وتخلقه عباس الأول ، فطلب إلى نواب البعثة العودة فوراً إلى مصر ، فرجعوا إليها سنة ١٨٥٠ ، وانتقل للترجم بذلك من حياة التحصيل والدراسة ، إلى دور العمل والإنتاج

عمل للترجم في عهد عباس

عاد للترجم كامل التصوُّج ، واسع الإطلاع ، صادق المرم ، مقبلاً على العمل بكل ما فيه من نشاط وحمى ، ولو وجد من ولاء الأمور من يستثمر مواهبه وكفائته في النبوض بأعمال التقدم وال عمران ، تطورت نتائج هذه المجهود حتى عودته إلى مصر ، لكنه لم يجد من يقدّر قيمته ، ويستثمر كفاءته ، فانخفض نحو أربعة عشر عاماً ، والبلاد تكاد تحرم من أعماله المنتجة ، وخاصة في عهد سعيد الذي كان يخبه حقه ، ولا يعرف قدره . ولم يبدأ عهد إنتاجه الكبير إلا في عصر إسماعيل الذي عرف كيف يوجه هذه القوة إلى إحياء النهضة العلمية في البلاد

تعيينه مدرساً بمدرسة طره الحربية

كان أول مركز شغله على مبارك بعد عودته لمصر أن عين مدرساً بمدرسة طره الحربية ، ولكن التعليم في عهد عباس الأول كان مصحلاً بالجمود والإهمال ، فناقص عند التلاميذ في هذه المدرسة ، وخاصة حينما أنشأ عباس مدرسة القروية ، واختار لها الطلبة من جميع

المدارس ، فصار مدرساً بمدرسة طره بإعداد قبل من الطلبة للتقدم في العلم ، وأصبحت مدرسة في ساحة حتى لم يسبق في معرفته التي سبق فيها على مدار دروسه سوى مدرس واحد . ومن بعد هذا لا عجب . وبسبب هذا تميل إليه نفسه ، لأنه اعتاد الحدوث والتأنيب على العمل ، وبعد حديثه عنه ، يحذف عن المدرسة في لحظة ليزور أهله بعد عشاء العظيمة عموماً ، فرغب إليه بصر مدرسة في بقاء حتى لا يقطع صلب راتبه إذ هو عاب عنها

مصاحبته سليمان باشا الفرنساوي

وسعى له الناظر عند اجترال سليمان باشا الفرنساوي القائد العام لجيش المصري ، يصطاحبه في مهمة حربية وهي اكتشاف عمرة لميرة وسواس مصر الشمالية ، فلم لما أراد وصحب المترجم سليمان باشا إلى دمياط ، وأدى ما كان مطلوباً منه ، وهو ارتداد بحيرة المترية ، وحطط رسماً مفصلاً لمواقعها ، وكبب تقريراً عنها ثم ذهب إلى بلدته بربال ، وكان أهله قد رجعوا إليها منذ مدة واستقروا بها

زيارته لأهله

تدخل البلدة ليلاً على حين غفلة من أهلها ، وذهب من غوره إلى منزل أبيه ، وطرق الباب ، وكان أبوه غائبا بمصر ، ولم يكن بالدور سوى والده وبعض إخوته ، وكان قد فارق أمه منذ أربع عشر سنة ، ولم تكن تتوقع حضوره تلك الليلة ، فلما طرق الباب ، قيل من أنت ؟ فقال : ابنكم البار ، فقامت مذهوشة ، وقصصت إلى ما وراء الباب ، وحصلت تنظر وتحن النظر ، لتتحقق الخبر ، وكان هو يرداله العسكري ، متقدماً سيده وحاملاً شعار مصر . فمضى في أنه هو ، حتى أعادت سؤاله وتحققت أنه هو ، ففتحت الباب ، وصار ربه حتى رمت عنه دمه . ووقعت معشاً عينا من دمه وخرج واستتر . ثم ركب وحمل بيكي ، وصحبت . وترعد ، فأقبل أمه بيت . وجاء لأقارب وأخيار بربال . وملازمه مدر . وعصى بين حتى الصباح . والنس بين رائج وفاد ، يجثون لهبت . ومضى منه لأهله . فبعد عودته بها بربال ، وبلغه هذه " البعثة العالية " بعد يومين فصاح

من أهله وعشيرته ، عاد إلى دسباط ، وعرض على القائد سليم باشا الفرنسي نتيجة تجواله في بحيرة المنزلة ، فوَقعت عنده موقع الاستحمام ، وأثنى عليه القائد المستطاب

التحالف مع جمعية عباس باشا

وفي أثناء صحبته سليمان باشا الفرنسي سعى له في منصب آخر بدلاً من التدريس في مدرسة طره ، فتمَّح في إقناعه جمعية جاليس بك قومندان الاستحكامات ، وكان مقره الإسكندرية

فذهب إليها المترجم ليتسلم منصبه الجديد ، ولكن عباس باشا قرر أن يلحقه بجمعيته هو وحماد بك ، وعلى بك إبراهيم . وكلفهم إمتحان مهندسي الأقاليم ومعلمي المدارس ، وأنتم عليهم بركة الصاغ ، فأدى المترجم هذه المهمة ، واستبدل بالمهندسين القدماء مهندسين أكفاء من غربيي مدرسة المهندسخانة ، وأنتم في خلال ذلك تمهلت أُنشأ مدرسة ، إذ أُحيل عليه الكشف على شلال أسوان لدرس مشروع تسهيل الملاحة فيه ، فقدم تقريراً وافياً بهذا المشروع

ولما عاد إلى القاهرة عهد إليه عباس بالاشتراك مع المسير موجل بك Mougel كبير مهندسي القناطر الحربية وضع نظام لمرور السفن من القناطر في كان يتأوها قد قارب إتمام ، فأدى هذه المهمة ، وأُحيلت عليه وعلى زميله على إبراهيم وحماد عبد العاطي كل الأحوال المختصة التي تعالجها دواوين الحكومة .

مشروع تنظيم المدارس

وشرع عباس في وضع نظام جديد للمدارس ، بعد أن أُلقي معظمها ، ففي أواخر سنة ١٨٥١ عرض عليه المسير لاميير بك ناظر مدرسة المهندسخانة مبراة للمدارس الملكية والرسدخانة تبلغ ٢٠,٠٠٠ كيس (٩٠٠,٠٠٠ جنيه) . فاستكثر عباس هذا المبلغ ، وأحال لمشروع على المترجم ، فوضع للمدارس الملكية مبراة تبلغ خمسة آلاف جنيه ، على أن تكون في مكان واحد ، وبإدارة ناظر واحد ، واستجد الرسدخانة من المشروع ، لعدم وجود من يقوم عليها حتى القيام ولكنها عقابها

مظارته لمدرسة المهندسخانة

ولما عرض المشروع على عباس حاز إعجابه ، وأحال على مجلس مؤلف من رؤساء اندواوين ، بحثوه وأقرره . وأنتم على المترجم لهذه المناسبة بركة أميرالاي . وعهد إليه بتعديده ، وجعله ناظراً لمدرسة المهندسخانة وما ينشأ بها من المدارس الملكية ، وكلفه اختيار مدرسي مدرسة الخروزة ، ووضع نظام للتعليم فيها ، واختيار ما يلزم لها من الكتب ، فاضطلع بهذه المهمة ، وعظمت منزلة عند عباس باشا

وبذل جهداً عظيماً في تربية شأن المدارس التي تولى إدارتها ، فكان يرشد المعلمين إلى خير الطرق للتدريس ، ويضبط فصول الدراسة وأحوالها ، ويقوم بتأليف الكتب المدرسية بنفسه ، يعاونه بعض المعلمين ، وأنشأ مطبعة حروف ومطبعة حجر طبع فيها للمدارس الحرية وألأيات الجيش نحو ستمائة ألف نسخة ، من كتب متنوعة ، غير ما طبع في كل من مطبعة الحجر للمهندسخانة ، من الكتب ذات الأطلس والرسوم ، وكان فوق ذلك يلقى بعض الدروس ، كالعليّة والعارة ، ويحكي شديد العناية بتوفير حاجات الطلبة في مأكلهم ، ومشربهم ، وملبسهم ، ويسهر على حسن معاملتهم ، فارتقت حالتهم الفكرية والمعنوية ، وكاد يمتنع الغرب والسجن من المدارس .

في عهد سعيد باشا اشتراكه في حرب القرم

يؤخذ مما كتبه المترجم عن نفسه أنه لم يكن مريضاً عنه من سعيد باشا ، فقد ذكر عنه أنه لما تولى الحكم وشق له بعض الكاشحين بمدرسة المهندسخانة ووصفوها بما ليس له نصيب من الصحة ، واحتقروا عليها معائب كثيرة ، حتى أوعروا صدر سعيد على المترجم فأمره بالاشتراك في حرب القرم سنة ١٨٥٤ ، صحة الحملة المصرية التي كان يقودها أحمد باشا المنكلى وليس من صير على الحكومة إذا عهدت إلى مثل على بك مبارك أن يشترك في حرب القرم . فقد نال حظاً كبيراً من التعليم الحربي ، ونجّح في أرق المدارس الحربية الفرنسية ، ولكن ملاعبات هذا العمل تقل على أن الغرض منه لم يكن الاستفادة من خبرة المترجم ،

د لم يجهد إليه في حرب القرم بعمل حرى دى شأن ، نحر من أجله مدرسة الهندسة كفاءة تالها القدير ، ومن جهة أخرى فقد اقترن تكليفه مراقبة الحملة بإلغاء مدرسة الهندسة ، فالمرص الحقيقى كان يدى إبعاد المترجم ، وإقتال هذا للمعهد العلمى العجم الذى أخذ على عاتقه تربيته وإحصائه ، فالعمل كما يرى ضرره أكثر من نفعه ، وشبه أكثر من حبه . ولكن أهواء سعيد باشا (وقد كان دائماً كثير التغلب فى الآراء) جعلته يصعب لوشية الدسائس ، ويوصد أبواب تلك المدرسة ، ثم يحرم البلاد خطرات على بك مبارك العلمية . ذلك أن حل مبارك ، وإن كانت دراسته العليا عسكرية ، لكن نفسه المجهت إلى ناحية أخرى غير الحياة الحربية ، وهى ناحية التعليم وتنظيمه واليهوض بأبعائه ، فكان واجباً على سعيد باشا أن يستخدم مواهب المترجم فى هذا الميدان ، وأن يعمل على الأمل للمحافظة على نهضة العلم والتعليم التى ازدهرت فى عهد أبيه ، ولكن المعروف أن هذه النهضة قد انصهرت وتراجعت فى عهد عباس وسعيد ، ولم يباودها نشاط والحياة إلا فى عصر إسماعيل . ويستناد مما ذكره المترجم أنه شعر بأن تكليفه مهمة السفر إلى بلاد القرم كان مقصوداً به إبعاده ، والكتابة به ، وهذا مفهوم من قوله : « قلت بهذه السفرة قريباً من مستين ونصف » . وقد لطف الله لى وأحسن إلى .. ورد كيد الحاسدين فى مخبرهم ، فإن وإن قامت فيها مشاق الأسفار .. وما يلحق المحاسدين من الإرجاف والاضطرابات ، والحرمان من المألوفات ، لكنى رأيت بلاداً وعوائل كنت أجهلها ، وعرفت أنا ما كنت لأعرفهم ، وكتبت فيها معرفة اللغة التركية ، فيؤخذ من ذلك أن كمة حاسدين كانوا يكيدون له ، ومن مكائدهم أنهم دبروا أمر إبعاده إلى بلاد القرم ، وإرساله إلى ميادين الحروب المحفوفة بالمكاره والأخطار ، ولكن الله لطف به إذ رد كيدهم ، وعاد من الحرب سالماً وقد نال مرابا حمة والواقع أنه أعاد كثيراً من هذه الحملة ، فإن الاشتراك فى الحروب من شأنه أن يقوى فى النفس روح لشجاعة والإقدام ، ولو اشترك المترجم فى اقتحام اعطار ، وإبقاء فى خط النار ، فكان أثر هذه الحملة فى نفسه أقوى وأعظم ، ولزاد حظه من الشجاعة والجرأة . ولوقف من الحكومات المتعاقبة التى تولت الحكم فى مصر مواقف أعظم شأناً من خطة الذين والمسلة التى اختطها لنفسه ، ومهما يكن من الأمر فلا نزاع فى أن مداركه قد اتسعت وخبرته قد اكتملت فى تلك الحرب

أقام المترجم عشرة أشهر فى بلاد القرم ، وكان يجهد إليه أمر المناوشات والمخبرات بين

روى ونحر . وأقام عليه شهر آخرى فى بلاد الأنصارى ، أغلبها فى مدينة (كومشخانه) . وكان سعيد باشا يسهر على أخذ من مدينة طرابزون الواقعة على البحر الأسود . إلى مدينة رضى روم دارم . وعن . هذه المهمة ليست من صروب القتال العلمية . فقد لاقى فيها شدة ولاهول . شدة برد . وكثرة الثلج فى تلك الجهاد ووعرة صرورها . وصعوبة حصار ما فيها من العقبات . بين جبال شديدة وأودية شديدة . وقد مرض كثيراً من خدمه وأصحابه من البرد ففارس ، وأشداهم مترجم مشفى كومشخانه . نظمه نصب حساً . ودل ساء أعاد خدمه وكأمرها ورؤس الحش

عودته إلى مصر والوظائف التى تولاه

ولما عاد المترجم اضطره عقبات ومتاعبه حمة ذلك أن سعيد باشا أمر بإغلاء سبيل الجنود وإرجاعهم إلى بلادهم ، وولت كثيراً من ضباط الحملة ، ومهم على بك مبارك ، فسكن فى بيت صغير ، وعانى غصاصة المسر والصدى ، وصارت حالته بعد سبع سنوات من عودته من فرنسا ، كحالته عندما عاد منها ، وفقد ما كان يتاله ويؤمله من المناصب ، وفقد ماله ، وشعر بمرارة اليأس تنقص عليه حياته ، وداناه ألم والكدر ، وحلته نفسه أن يرجع عن خدمة الحكومة والتطلع لمناصبها ، إذ لم يجد من ولاية الأحرار إنصافاً ولا تقديراً ، واعتزم الرجوع إلى بلده والاشتغال بالزراعة وقال لنفسه : « عوصت الله خيراً فى نتائج الفكر ونمرات المعارف ، ولن تعرض أتنا ما فارقنا البلد ، ولا عرجا منها » . وببها كان يتأهب للرجوع إلى بلده صدر الأمر للضباط المرفوقين باحضور إلى القلعة . فكان هو ممن أعيذوا لخدمة ، فعمل من عزمه الأول وبعد قليل عين معاوناً لوزارة الحرية ، وأحيل عليه النظم والتنقيبات الخاصة بالمصاع الحربية والمحيطات (محارب البارود) ، ولم يكن هذا العمل مما تألقه نفسه ، لتعاضته وعرضه ، ولكنه راض نفسه على البصر ، عسى الله أن يأتى بالفرح القريب ، وحدث أثناء قيامه بهذه الوظيفة أن شرع وزير الحرية وقتئذ (إسماعيل باشا المرقى) فى وضع رسم حصص الحرب الحربية ، فحجز عن عهده ، وحار فى إتمامه . فاستدعى على بك مبارك لما كان يجهده فيه من لكفاءة والخبرة ، فوضع الرسم المطلوب ، فأثنى عليه الفريق ، ووجهه بأن يذكره بالخبر عند سعيد باشا .

وقد ولى إسماعيل باشا ما وعد ، وكان من نتيجة معاه أن أمر سعيد باشا بإلحاق المترجم مستودعي الدخالية - وكان يحاد عليه النظر في بعض القضايا - ثم عهدت إليه وكالة المحكمة التجارية : فاصطلع بأعبائها بأمانة ونزاهة ، ولكن سلفه فيها وشى به لدى سعيد باشا ، فوفت منها ، وعاد لما بدا ، عاطلاً من المنصب ، واحتكف في بيته ثلاثة أشهر ، ثم عين مفتشاً لمصلحة نصف الوجه القبلي ، ثم استدعاه سعيد باشا ، وعهد إليه بوضع مشروع أحكامات المحاكم ، وهو مشروع جليل الشأن ، كان الغرض منه تحصين موقع المحاكم (بروجي رشيد) ، بين فرع رشيد وبحيرة إدكو ، لمنع العدو من مهاجمة القطر المصري من هذه الناحية ، فوضع للمترجم الرسم المطلوب لهذه الأحكامات ، وأدى المهمة على خير ما يراه ، ولكنه عندما أراد أن يعرض الرسم على سعيد باشا لم يستطع تقديمه إليه ، وتردد عليه آنأ في طره ، وآتونة في قصر النيل ، فلم ييسر له مقابلة ، واضطر للملازمة معية في السفر من بلد إلى بلد ، مدة ثلاثة أشهر ، بلا راتب ، ولا عمل ، دون أن يقتر بتقديم الرسم المطلوب ، إلى أن رآه سعيد يوماً في الجزيرة ، فذكر الرسم الذي كلفه به ، وسأله عنه ، فقدمه إليه ، فظهر فيه قليلاً ولم يزد عن قوله : « أبه حتى نجد وقتاً لإعجاب النظر فيه » ، وكانت هذه الإجابة نتيجة الانتظار مدة ثلاثة أشهر ، ثم لم يلتفت إليه بعد ذلك ، ولكنه أمر بربط مرتب للمترجم ، وبقى في معيته رماً طويلاً بلا عمل إلى أن أصدر سعيد أمره باختيار بعض المعلمين لتعليم الصباط البحريين من تحت السلاح القراءة والكتابة والحساب ، فقدم على بك مفرك للقيام بهذه المهمة ، ليشتغل نفسه بعمل ما ، مها كان ضيقاً ، لأن نفسه كانت تعاف الكسل والبطالة ، فصار يدرس لهم حروف البحارة ، والخط والبادئ الأولية في الرياضيات والقواعد الهندسية ، وحاوله في التدريس اثنين من المتدربين ، ووصع في ذلك كتاباً مختصراً في الحساب والهندسة وطرق لاكتشافات العسكرية معاه (تقريب الهندسة)

وكان يشغل أوقات فراغه بالمطالعة وتدوين بعض الملاحظات على ما يقرأه ، جمعها بعد ذلك في كتاب سماه (تذكرة المهندسين) ، يحتوي على فروع شتى مما يحتاج إليها المشتغلون بالهندسة ، ولا اعترم سعيد باشا السفر إلى أوروبا أمر يفت أطلب من كان يحميه ، فكان المترجم ضمن المرفوضين

وأمر قبل ذلك سبع مهمات مدرسة الهندسة وأبنائها وكتبها من كثير من تعلقات الحكومة التي اشتهرت « رائدة من الحاجة » ، فدعش المترجم ، إدراى هذه التفاسيل تباع

بالرؤى بأجس الأنعام ، وفي جعلها الكتب التي طبعها أثناء مظارته لهذه المدرسة . مدخل الزاد واشترى من هذه الأشياء ما أمكنه ابتاعه .

ولما اشتد الضيق بالمترجم فكر في الاشتغال بالتجارة ، فاجربها بشراء ، وحاس التجار ، وكثر منه البيع والشراء ، لروح واستعان بالربح على الإنفاق وأداء بعض الحقوق ، واستمر تجر مدة شهرين ، ثم ذكر في التمرج للتجارة والإعراض من مناصب الحكومة . لما رآه من اضطراب الأحوال وتقلب الأمور ، مما كان يعقده ثمرات العلوم ، وشعر بأنه كلما تقدم به العمر وكثر بونه . فقد ما جمعه من الكد والتعب ، فذر الاحتراف بالتجارة ورجل بحاطره أن يفتد وبعض زملائه للمهندسين المتفاعلين شركة يحس الغرض منها بناء البيوت للبيع والتجارة ليربحون منها ويستشيرون فيها معارفهم المتدربين وخبرتهم الفنية ، فلم يجد من يوافقه على مشروعه . ففكر في القيام به بنفسه ، وفيما كان مكر في مخرج من الضيق الذي اشتد به طرق سعيد باشا طارق القون في أوائل سنة ١٨٦٣ . فكان لوفاته تركيز حياة المترجم ، ذلك أن إسماعيل لم يكده يحتل المرحى حتى فكر في استخدام مواهب ربه القديم في البعة ، فافتتح باب الأمل والفرق أمام على بك مبارك .

أعماله في عهد إسماعيل

لما تولى إسماعيل الحكم ألحق المترجم معيه ثم جعله ناظرأ على القناطر الخيرية ، وكانت إلى ذلك الحين لم تستخدم أبوابها الحديدية المدة لإختال حيونها ، والمانع من إلحاقها ما قرره المهندسون من أن القناطر لا تتحمل ضغط المياه بل تقويتها ، وترتب على ذلك أن معظم المياه انحرفت إلى فرع رشيد ، وحرم فرع دمياط مرور المياه فيه ، فلما عرض على المترجم أرأى إتقال قناطر فرع رشيد ، لتغذية فرع دمياط ، فعمل الخديو برأيه وأمر بإتقالها ، فالتجذرت المياه إلى فرع دمياط ، وبالت البلاد التي تروى من مائع الري وغيرها ، وأما الخلل الذي كان متروفاً حصوله في بعض الميون بقناطر فرع رشيد فقد تلافاه المترجم ، إذ أقام حاجزاً من الخشب لحاط بالقناطر ، فثبتت خلقها جزيرة من الرمل حطتها من ضغط المياه . وهكذا تبين صواب الرأي الذي ارتآه على بك مبارك

ولما حفر رياح المتوفية^(١) أنشيل على المترجم إنشاء قناطره ومبانيه ، فأقامها على أحسن

(١) حفر رياح المتوفية لأول مرة في عهد سعيد باشا وأمره بحفره وصعد له عهد إسماعيل

نظامه . وفي سنة ١٨٦٥ تدهت الحكومة المصرية مصراً عنها في اللجج التي ألفت لتقدير الأرضي التي صارت حقاً لشركة القناة طبقاً لحكم الامبراطور نابليون الثالث ، فأدى هذه المهمة غير الأداء .

وكالة وزارة المعارف

وفي سنة ١٨٦٧ جعل وكيلاً لوزارة المعارف الموسوية (ديوان المدارس) ، وكان يتولى هذه الوزارة شريف باشا الوزير المشهور ، فتمثل للترجم منصبه الجديد مع بقاء نظارة القناطر الخيرية في عهده ، وبدأ من ذلك الحين عهد جديد للترجم ، إذ صار له بحكم منصبه النفوذ الكبير الذي يسمح له بإقتاد إصلاحاته في دائرة التعليم العام . كان من مرياً للرحم أنه يتم كل عمل ترواه ، ويدل كل ما في وسعه يقوم به على الوجه الأكمل ، فانتبه نذب الخديو إسماعيل إياه لرحلة مالية إلى باريس مقبب تعيينه وكيلاً لوزارة المعارف ، وأخذ يستكمل معلوماته عن حالة التعليم ونظام المدارس في فرنسا ، ليقتبس ما يراه صالحاً لمصر ، ومع أن رحلته هذه لم تتجاوز خمسة وأربعين يوماً بما فيها الذهاب والأياب ، فقد اطلع على مناهج للتعليم في المدارس الفرنسية ، والكتب المقررة فيها ، وحرس أيضاً نظام الجارى العامة المبينة تحت الأرض في باريس .

توليته وزارة المعارف والأشغال

وبعد عودته إلى مصر أنعم عليه الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٨ برتبة الميرمان ، فصار يعرف من ذلك العهد بعل باشا مبارك . وأسند إليه إدارة مصلحة السكك الحديدية ، ووزارة معارف والأشغال ، وبعد قليل صممت له مدرة ديوان الأوقاف ، فجمع بين هذه المناصب لرفيعة . مع بقاءه ناظرًا للقناطر الخيرية والتحاظه بالمعية .

العصر الذهبي في حياة المترجم

وهنا يبدأ العصر الذهبي في حياة المترجم ، وهو العصر الذي جعل بالأعمال العظيمة ، التي خلقت اسمه في تاريخ مصر الحديث ، وخاصة في نهضتها العلمية . وقد ما بلغت النظر في هذا الدور من حياته ، كصفاته المتناثرة في اصطلاحه بأعلاه

جربته المختلفة . فقد كان في وقت واحد وزيراً للمعارف ، والأشغال ، والأوقاف . ومديرًا عامًا للسكك الحديدية ، وناظرًا للقناطر الخيرية . وهي مهام جسام تنوء بالعصبة من الرجال . ولكن على باشا مبارك قام بها جميعاً ، وأظهر من الكفاءة وقوة الإرادة والجلد حين العمل ما يدعو حقاً للإعجاب ، وصعدت كلمته المتراصة التي قال في هذا الصدد عن نفسه . « فبدلت جهدي . وشررت عن ساعد جدي . في مباشرة تلك المصالح فحمت بواجبها »

وهنا تتجلى ميزة كبيرة للمترجم ، تطالعا بحاجة من بواحي شخصيته . وهي قدرته على الاصطلاح بالمهام العظام ، فقد يكون لعل باشا مبارك أنداد في العلم والدكاء بين زملائه الذين تولوا مختلف الوزارات والمناصب العالية ، ولكننا نعتقد أنه بذل أفراته في الجمع بين مره متعددة ، وهي الكفاءة والحلقة على العمل ، والإخلاص ، والتمهدة في أداء واجبه ، وإتقان الأعمال الكبيرة التي تعهد إليه ، على ما تقتضيه من جهود ومناصب ، فأرأس الذي يجمع وولات المعارف والأشغال والأوقاف ، مع إدارة مصلحة متشعبة الأعمال كالسكك الحديدية ، والكفافة التي تصطلع بكل هاتيك المصالح ، والمهمة التي تصرف شؤونها المختلفة ، وتكرها المشاريع الحسة ، كل ذلك لا يصدر إلا عن نبوع قد ، وهذا يعطينا فكرة صادقة عن شخصية المترجم

وزرع على باشا مبارك أوقاته بين هذه الوزارات المختلفة ، فخصص نصف النهار من الصباح إلى الظهر للمعارف والأشغال والأوقاف ، ومن بعد الظهر إلى الغروب لإدارة السكك الحديدية

في وزارة المعارف

كانت معظم جهوده موجهة إلى رفقة شئون التعليم في بلاده .

نقله المدارس إلى درب الحمايز

وأول أعماله نقل المدارس من المعايبة إلى درب الحمايز ، ذلك أنه رأى ما يتكده التلاميذ وأهلهم والأساتذة من اللعاب والمشايق والنفقات ، في ذهابهم إلى المعايبة ، وإيابهم منها ، فاستصدر من الخديو إسماعيل إذا بنقل المدارس إلى درب الحمايز ، وعخص

فد سرائى الأمير مصطفى فاضل ، فأصلحها على باشا مبارك وحصلها على استعداد لإيراد المدارس والمعاهد وتخصيص ملائك السراى لوزارة المعارف ، وجعل كل مدرسة فى ناحية من السراى ، فصارت أشبه ما تكون بالحلقة . وجعل بها أيضا رولوة لأشغال ، وديوان الأوقاف ، فسهل عليه القيام بأعباء الولايات المختصة ومع اصطلاحه بأعباء هذه الولايات ، كان لا يترك أى بتفك يمس بتفك أحوال التلاميذ والمعلمين فى المدارس ، ويدخلها كل يوم ليشهد بنفسه سير التعليم فيها ، وليطمئن على حسن نظامها ويقام المدرسين يورجائهم

لائحة التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية

وقد وجه محتاجه مند تولى وكالة الوزارة إلى إصلاح التعليم فى الكتاب وتحويل ما يمكن تحويله من الكتاب إلى مدارس ابتدائية نظامية ، فوضع لذلك لائحة للشهيرة بلاتة ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ التى نظمت للمدارس ، ودعا طائفة من المشغطين بالتعليم ليراجعوا المشروع ويبحثوه ، ويبدوا آرائهم فيه ، فدرسوا اللائحة وقروها ، وصدر أمر الخديو بإجراء العمل بمقتضاها فى مايو سنة ١٨٦٨

راشى . فى عهده كثير من المدارس الابتدائية النظامية فى القاهرة وعواصم المقريات . وكان لاجتماع وزارة المعارف ونظارة ديوان الأوقاف فى يد تركيز فى نهضة التعليم ، لأنه بما له من سلطة النظر على الأوقاف الخيرية استطاع إحداث كثير من الأمكنة للوقوف لجعلها معاهد للتعليم بعد إصلاحها ، ولو لم تكن له هذه السلطة لبقيت هذه الأماكن معلقة لا يفتح بها ، ولعجزت الحكومة عن التصرف فى اقتضاها إنشاء معاهد جديدة ، وكذلك أمكنه بما له من حق الإشراف على معاهد العلم للوقوف أن ينظمها ويحولها إلى مدارس نظامية . فأحيا هذه المعاهد بعد ما درست فى أيدي نظار الوقت الحاميين ، وكذلك أحسن إدارة أموال الأوقاف الخيرية . واستخدمه جانياً منها فى الإيفاق على التعليم بعد أن كانت تبعد وتضيق عنه . وجعل على أهالى التلاميذ المقتردين مصروفات قليلة تؤخذ برغبتهم على حسب اقتدارهم . مع ترك الفائض مجانياً ، واستوفى ما فى صفقات المدارس من إيرادات الأوقاف الخيرية لمؤونة على الكتاب وغيرها من وجوه الخيرات ، وتخصيص ما للخديو لإسماعيل إيراد أطفال

تحتش الرادى باشرقية . كما منحها بعض الأملاك التى آلت إلى بيت المال من بعض التركات ، فكانت هذه الموارد هى التى يفتق منها على تلك المدارس عدا ما خصص لها فى الإدارة السنوية والمصروفات الصلبة التى يدفعها أهلى تلاميذ دوى الاقتدار واليسار .

معلمو المدارس

إن وضع نظام صالح للتعليم يقتضى توفير العدد الكاف من الأساتذة الأكفاء ، وقد حث على باشا مبارك هذه المسئلة بما أوفى من عناية ، ونظر صدق ، وهزيمة ماضية ، فأنشأ مدرسا للعلوم ، كما سيجى . بياه ، لتخرج أساتذة اللغة العربية ، واختار لتدريس بقية العلوم . كالتاريخ والجغرافيا واللغات الأجنبية بحذاء التلاميذ المتقدمين من أنمو دروسهم فى المدارس العالية ، ككل الهندسة والطب ومدرسة المحاسبة ، ومدرسة الإدارة (الحقوق) . بأن يحملوا أولا معيدين للدروس المعلمين زمنا ، ثم يصبحون معلمين استقلالاً ، ولم تكن مدرسة المعلمين العليا قد أشئت بعد

دار العلوم

هى من أميل مشآت على باشا مبارك ، أسسها سنة ١٨٦٢ ، والغرض الأصل منها تخرج أساتذة اللغة العربية والآداب للمدارس الابتدائية ، ثم للمدارس كافة ومرجع الفكرة فى تأسيسها ، أنه لما أشئت المدارس الابتدائية ، وانجلى العزم إلى الإكثار منها ، صلت الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة وآدابها فى المدارس الحديثة . فارتأى المترجم إنشاء مدرسة عالية دعاها دار العلوم ، لتخرج أولئك الأساتذة . وختار تلاميذها من طلبة الأزهر . ممن حفظوا القرآن الشريف وبقوا دروس لغة وفقه ، واحترق هذه المدرسة بالامتحان ، واشتمل برنامج التعليم فيها على العلوم التى لا تدرس فى الأزهر . كاللغاب والفلسفة والطبيعة والجغرافيا والتاريخ والحط ، مع إتقان علوم الأزهر من لغة وحو وتفسير وحديث وفقه واختار المترجم للتدريس فى دار العلوم جماعة من جلة العلماء الأكفاء فى العلوم الأزهرية

والعلوم العصرية ، وجعل التعلم فيها مجانياً ، مع دفع مرتب شهري للتلاميذ
وقد أنشئت المدرسة ، وتخرج منها أساتذة اللغة والآداب العربية للمدرسة الابتدائية في
معاينة والأقاليم ، ثم للمدارس الثانوية والعالية ؛ وبعد إنشاء دار العلوم أعظم خدمة أسداها
مترجم لإحياء اللغة العربية وآدابها في مصر.

دار الكتب أنشئت سنة ١٨٧٠

أنشئت دار الكتب سنة ١٨٧٠ ، ولتأسيسها مقلحات ترجع إلى عهد محمد علي ، فقد
أنشأ مستودعاً لبيع مطبوعات الحكومة في بيت المال القديم ، خلف المسجد الحسيني ، ولما ولي
إسماعيل الحكيم أصاب إليها نحو ألى مجلد من المخطوطات العربية والعلمية ، ابتاعها من تركة
حسن باشا المنسترلي ، ثم تطورت الفكرة إلى إنشاء دار عامة للكتب
ويستلزم ما ذكره علي باشا مبارك في الجزء التاسع من المخطوط (ص ٥١) أن فكرة
تأسيس دار الكتب ترجع إلى الخديوي إسماعيل ، فإنه ذهب في إنشاء مكتبة عامة تجمع الكتب
المتفرقة في عازن الحكومة ، ومكتاب الأوقاف وفي المساجد ونحوها ، وأمر المترجم بالنظر في
ذلك ، فحقق الفكرة ، وأنشأ دار الكتب في سراي درب الجواميز بجوار المدارس
ولكن يؤخذ مما جاء في الجزء الثالث من المخطوط (ص ١٤) أن صاحب الفكرة في هذا
المشروع الجليل هو علي باشا مبارك ذاته ، فقد قال في هذا الصدد :
« ثم ظهر لي أن أجعل مكتبة خديوية ، داخل القلعة المصرية ، أضعها بها مكتبة
باريس ، فاستأذنت الخديوي إسماعيل باشا في ذلك ، فذن لي ، فشرعت في بناء المكتبة
الخديوية هناك أيضا (درب الجواميز) ، وبعد فراغها جمعت فيها ما نشئت من الكتب التي
كانت مبعثرة الأوقاف ، زيادة على ما صار مشتراة من الكتب العربية والفرنسية وغيرها ،
وحملت لها ناظراً ورثت لها خدمة ومعاونين ، وعملت لها قاعاتاً لسطحها ، وعدم صياح
كتيبها ، فجددت بمون الله من أنفع التجديدات التي حدثت في عهد الخديوي إسماعيل باشا ،
وحصل بها انفع العام ، للخاص والعام » .
وقد ابتاع إسماعيل باشا مجموعة الكتب القيمة التي تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل بعد
وفاته ، وأهداها إلى دار الكتب

وأنفق على المدارس من ميزانية المدارس ، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف ، وسهلت
لهم لإطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات ما كان يمكنهم الوصول إليها لولا إنشاء هذه
الدار ، فأدت ولا تزال تؤدي خدمات جليلة للهيئة العلمية والأدبية

محلة (روضة المدارس)

ومن حلل مشتهرة العلمية إنشاء محلة روضة مدرسه على عفة وزارة المعارف
وبإشرافه . وسكنكم عنها فيما يلي

مدرج المحاضرات (الانفتيخ)

ورثت دروساً عامة أو محاضرات دورية بالانفتيخ (المدرج) سراي درب الجواميز سنة
١٨٧١ . فبعد إلى التابئين من أساتذة المدارس إلقاء هذه المحاضرات لتتفهم أدهان الطلبة .
وكان يشجع هذه الحركة لمحضري المحاضرات بنفسه ، وهذا بدوره كبار الموظفين في مختلف
الوزارات ، وخاصة وزارة المعارف ، وكان يحضرها أيضاً عددا طلبة المدارس العالية . فريق
من طلبة الأزهر ، وهم الذين صاروا بواة دار العلوم التي أنشئت سنة ١٨٧٢
وتولى إلقاء المحاضرات طائفة من العلماء المشاهير بالإن ، فكان الشيخ حسين الرصوف
يدرس الآداب العربية ، وإسماعيل بك (باشا) مصطفى الطنكي ناظر الهندسة يدرس
علوم الفلك باللغة العربية ، ومنصور أفندي أحمد أحد أساتذة الهندسة ، يلقى محاضرات
في الطبيعيات ، وفرانس بك (باشا) كبير مهندسي الأوقاف في اللاني ، وجيجون بك ناظر
مدرسة الفنون والصنائع في الميكانيكا ، ويروكش باشا ناظر مدرسة اللسان المصري القديم في
التاريخ العام ، والشيخ عبد الرحمن البحري في عفة لإبداء أي حجة ، والشيخ أحمد
الرصوف في التفسير والحديث ، والمسيو بكنيت في الطبيعيات . وأحمد بك في علم النبات
وغيرهم إلخ إلخ^(١٢)

(١٢) من كتاب (التعليم العام في مصر) لأحمد مصطفى باشا ص ٢٤

معمل الكيمياء والطبعة

وأنشأ بمصر جامعاً معيلاً للكيمياء والطبعة لتوسيع مدارك التلاميذ في العلوم الطبيعية وإطلاعهم على تجاربها ومشاهداتها والمران على استعمال الآلات الرياضية والطبعة.

أعماله الهندسية

إن شهرة علي باشا مبارك تقوم في الغالب على خدماته الجليلة للتعليم ، على أن له آثار أخرى في أعمال العمران التي تمت في عهد إسماعيل ، منها ما يختص بالرى ، ومنها ما يتعلق بتنظيم القاهرة والمدن الأخرى .

ليس يخفى أنه بولايته وزارة الأشغال سنة ١٨٦٨ ، قد عهد إليه الخديو بمعظم الأعمال الهندسية التي استحدثت في ذلك العهد

فاشترك في تنظيم القاهرة ، وتوسيع شوارعها وحاراتها ، وإنشاء أحيائها الجديدة ، ومعظم الأعمال التي تمت من هذا القبيل مدت في عهده ، مثل شروع محمد علي ، ومبانيه ، وشوارع الأريكة ، ومبانيها ، والشوارع المنشأة بما بين ، وباب القوق وغيرها مما هو يدخل المدينة وخارجها

قال في هذا الصدد : « وجرى العمل على ذلك . فظهرت كل هذه المرافق الحسنة . والشوارع المستقيمة المنسقة المحفوفة بالأشجار المحصرة النصر ، المستوية للقادمين على المدينة انشراح الصدور ، والمرح والسرور ، وأزيل ما كان يحجبها البحرية من التلال التي كانت تعبد من جهة الضجالة إلى قرب باب الفتوح ، ثم نزع الخديو إسماعيل للراغبين بمواضع كثيرة ، فأنشأوا بها المباني المشيدة ، والبساتين الجديدة ، وناهيك بقصور الإسماعيلية ودورها وبساتينها وشوارعها . التي يكنى الوصف عن محاسن هجتها . »

واشترك في استحداث الإبرة بنار الاستصباح ، وإقامة وابور المياه لتلبية القاهرة بماء الشرب الصالح بواسطة شركتي النور والمياه ، وإقامة (كويرى) قصر النيل الدخ ، وغير ذلك من الأعمال النافعة

وساهم أيضاً في أعمال العمران بمدينة الإسكندرية والسويس . وما أنفق في المبانيات من الدواوين . والخسور . والتناظر . والبرق . قال في هذا الصدد : « وهذه الأعمال جميعها أو أكثرها كنت أبشر أموراً من رسومات وشروط مع المفاوضين نحو ذلك . لتعلقها بديون الأشغال ، فكنت في عدة إمالة هذه الدواوين على مشغولاً بالمصالح الأهمية ، وتتجد الأغراض الخديوية . لئلا ونهائياً ، حتى لا أرى وقتاً التفت فيه لأحوالي الخاصة لي . ولا أدخل بين الإيالا . بل كنت أفكر في الليل في عمل بالبر . »

وكان متولياً وزارة الأشغال عند افتتاح قناة السويس ، عهد إليه الخديو إسماعيل إعداد مخططات حملاته الضخمة .

ومن أعماله في ديوان الأوقاف أنه حكر كثيراً من أراضي القاهرة للراغبين في بنائها ، مقابل حكر صثيل بدعوه كل سنة ، مصرع جهات كانت من قبل حراباً بضعاً ، وأقيمت الماني والمائر في أخطاط عديدة من المدينة .

وبإدارته مصلحة السكك الحديدية اشترك في مذ كثير من الخطوط الحديدية وإنشاء محطاتها

انفصاله عن الوزارة ثم عونه

انفصل المترجم عن إدارة السكك الحديدية ، ثم من وزارة المعارف (في سبتمبر سنة ١٨٧٠) ، وعن الأشغال ثم عن الأوقاف ، لخلاف وقع بينه وبين إسماعيل صديق باشا (المفتش) وزير المالية المشهور بحظوته عند الخديو إسماعيل ، ذلك أن المفتش رغب في أن يضم إيراد السكك الحديدية إلى وزارة المالية ، فلم يقبل علي باشا مبارك هذا الصم إلا إذا تمهدت المالية بجميع تغطيات المصلحة ، فوقع الخلاف بين الرجلين ، ووشى إسماعيل صديق بالمترجم عند الخديو ، فأدى ذلك إلى انفصاله عن الوزارات التي كان يقوم بأعمالها ، ولزم بيته ، على أن انفصاله لم يدم طويلاً ، ولعل الخديو شعراً بالمرغ الذي ترتب على انفصاله عن العمل ، ولم يجد من بين وزرائه من يسد هذا الفراغ . فعهد إليه ثانياً بوزارة المعارف (١٣ مايو سنة ١٨٧١) ثم بالنظر على ديوان الأوقاف ، وبعد قليل أعيد إلى ديوان الأشغال ، وفي ١٨٧٢ بتولى وزارة المعارف إلى أغسطس سنة ١٨٧٢

ثم عن الحديدي أن يعي أنه الأمير حسين كامل باشا (السلطان حين كامل) ناظرًا لهذه الدواوين في أغسطس سنة ١٧٨٢ . وفي المترجم يتولى شؤونهم . وصار منصبه مستشارًا لها . وبعد قليل انفصل ديوان الأشغال برئاسة الأمير حسين كامل وحمل للمترجم وكيلًا له . وفي أغسطس سنة ١٨٧٣ عين المترجم عضوًا بالمجلس الخصوصي الذي كان عترة مجلس الوزراء . وبعد قليل انفصل عنه لما أقيمت في حقه الوثائق كإسماعيل باشا صديق وأصحابه وما أوجعوا به من أن كتابه (حجة الفكر) الذي كتفه الحديدي تألعه عن الخيل مشتمل على نقد لحكومة الخديوية وتوبيخ سياسيًا . فإلزم بيته ثانيًا .

وفي مارس سنة ١٨٧٤ جعل رئيسًا لقسم الهندسة بديوان الأشغال . ولما أُلحق هذا الديوان بوزارة الداخلية التي تولاهها الأمير محمد توفيق ولي عهد الأريكة الخديوية وقتئذ جعل للمترجم مستشارًا له ، ثم استقل ديوان الأشغال ، فُيُحَقِّقُ للمترجم مستشارًا للديوان (ديبر سنة ١٨٧٥)

ولاشك أن تعيين علي باشا مبارك في هذه المناصب الثانوية كان نتيجة الوشاية التي ألقاها إسماعيل صديق في حقه عند الخديوي

في وزارة نوبار باشا

ولما وقعت بمصر الأحداث المالية ، وحدث التفتت الأجنبي وعينت لجنة التحقيق الدولية ، كان من مطالب اللجنة تنازل الحديدي عن سلطته المطلقة لمجلس النظار ، فتألفت وزارة نوبار باشا الأولى في أغسطس سنة ١٨٧٨ ، وهي الوزارة التي دخلها الوزراء الأوربيون كما نراه مفصلاً فيما يلي ، واشترك فيها المترجم إذ تولى وزارة المعارف وديوان الأوقاف ، لاستأنف عمله في إحياء حضرة الصنيع ، فشرع في بناء بعض المدارس الابتدائية وظل قائمًا بعمله في جر الملوحة بالاصطرابات والارتباكات ، إلى أن استبدت وزارة نوبار باشا لسطح الأمة ، وثار عليها القضاة فودعهم الأولى لاستقالت في فبراير سنة ١٨٧٩ ، وعملت في وزارة توفيق باشا القصيرة المدى ، وكان المترجم ضمن أعضائها متوليًا المعارف والأوقاف ، ثم دعى شريف باشا الوزير المشهور إلى تأليف الوزارة الجديدة امتجابة لمطالب الأحرار فألف وزارته المعروفة بالوزارة الوطنية

وكان حينئذ لا يكون مترجم من أعضاء . لأن وزارة نوبار باشا استغنى عن منصبه من شعب . وكانت مهمته مملوكة بدون الأحياء . ووزارة نوبار باشا . بكل مرصد عب من برى .

وفي عهد وزارة شريف باشا شنت الأزمة السياسية . بين حديدي إسماعيل وبدون الأوربي . وسبب محنة نوبار على يده بدون

في عهد الحديدي توفيق

ولما تولى توفيق باشا من الحديوية وعهد إلى مصطفى رياض باشا نائب وزيره . كان على باشا مبارك عضوًا فيها ، متقلدًا وزارة الأشغال ، فبدل جهداً مملوحتاً في تنظيم هذه الوزارة والقيام بكثير من أعمال الري والمصارف

الثورة العرابية

وفي عهد هذه الوزارة هبت عواصف الثورة العرابية ، ولم يكن علي باشا مبارك من أنصار الثورة ، بل كان يميل إلى الاعتدال وتهدد الأمير بالحكمة والمروءة ، ونصح العرابين بالمروءة فلم يسموا له بمصداً ، وقد تبين أنه كان أبعد نظرًا منهم ، لأنه لا ينبغي أن التطرف والسطط في مسلك الثورة العرابية ، كان من الأسباب التي أدت إلى كارثة الاحتلال .

لم يكن المترجم إذن من أنصار الثورة ، بل كان عضوًا في وزارة رياض باشا التي تحركت الثورة لمناوئتها وإسقاطها ، وقد سقطت لعل في سبتمبر سنة ١٨٨١ نزولاً على إرادة الثوار ، وألف شريف الوزارة الجديدة

ومع أن شريف باشا كان يقدر كفاءة علي باشا واستقامته وإخلاصه ، إلا أنه لم يشركه في وزارة . لأنه كان عضوًا في وزارة رياض المصوب عليها من الشعب ، وهكذا قدر علي مترجم أن يكون عضوًا في لوزاريين بلتش هت عنها عواصف الثورة وسبب نوبار عن يراة الثور

فالأول وزارة نوبار ، التي سقطت بتأثير ثورة الصباط في عهد إسماعيل . ونسبة وزارة رياض . التي سقطت نوباراً على زيادة العرابين

عليه من المبادئ ، والمبادئ ، والنزاهة ، والأصالة ، والربط ، والشكاف ، والأسبعية ، والقصور ، والزكاف ، والمهامات ، والكائنات ، والأفكار ، والممارس ، والكتاب مع تراجم علماء مصر وشرفها وأدبياتها وحكامها وأمرتها ، وكان مرجع الترجمة في هذه الموسوعة الفكرى ، كتب لتاريخ المخطوط ، قديمها وحديثها ، وصحيح لأوقاف والأمانات ، ومباحث ومثلهاته ، وما وجدته مسطوراً على الأحكام والحذوران ، رأيت قبل أن يخلطه على بشا مبارك استعان لي وضع المخطوط بطقفة من المهتدين من تلاميذه ومروسيه في وزارة الأشغال والمدرب ، وذلك لأينص من قصده ، ولا يقلل من عظم العمل بدى مصنفه به ، وحسن أن إراده وجهت مساعده إلى معاونت في البحث والتفتيش ، وورعه تمسكى في جميع نواب الكتاب ومباحثه

وتقع المخطوط التوفيقية في عشرين مجلداً . ظهرت سنة ١٣٠٥ و ١٣٠٦ (١٨٨٧) ١٨٨٩) أفرد المؤلف الأجزاء الست الأولى للقاهرة . والمجلد السابع للإسكندرية والأجزاء الأخرى لبقية مدن القطر للمصرى وعزاه . وحقق المجلد الثامن عشر لقياس النيل . والتاسع عشر كبرج مصر وباحاتها ومساقط الرى فيها . والعشرين لعمودها القديمة والحديثة . وبالمجلة بهذا الكتاب مرة في تاريخ مصر العلمى - ومأثرة خالدة للترجم . وهو مرجع لكل باحث في شئون مصر العلمية والحضارية والتاريخية . وله أيضاً في عالم التأليف كتاب (علم اللين) وهو قصة صراية قيمة . وكتاب (سيرة الأفيام في تصدى الأقسام) طبع سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) و (حجة التفكير في تدبير نيل مصر)

ويقول الدكتور محمد درى باشا في ترجمته لعل باشا مبارك (ص ٦١) أنه وضع كتابا سماه (آثار الإسلام في المدينة والمصران) فكان هذا الكتاب دسر مؤلفاته شرح فيه ما أدخله الإسلام من المصنوع في الممالك - وما برزت عليه من المدنية والنظام . قائم - والذي يعرفه من أمره أنه ما أكمله تأليفا وتبييضاً أعطاه لأحد أقارب العلماء الأحرار بن سعيد بطر فيه ويدعى في مراحته . وهو باق فيما عمن في حوزاته مؤلفه رحمه الله .

وقد استأنف لترجم جهوده في عهد وزارة رياض باشا بشر «صحيح و بناء بدرس ،

وسمى «حل أعان في هذا العهد» فغيره عليه كتاب (مرشد السيران إلى معرفة سجون الإنسان)

تأليف العلامة (محمد قنبرى باشا) .

كان هذا الكتاب المجلد عسوطا ، فرائى العلامة على باشا مبارك - بحججه للباس

ولما استعالم وزارة شريف وأعطىها وزارة محمود سلمي باشا البارودى ، ظل على مبارك معداً عن الوزارة ، وفي عهد وزارة البارودى جهاد الاسطول قهرماني إلى ثغر الإسكندرية ، ثم تلاخفت الأحداث إلى أن رقت اللاد بالاحتلال الإنجليزي

ولما قامت الحرب بين الفرنسيين والإنجليز ، وناحر الخديو تومس باشا إلى الاحتلال ، انتقلت جميعه عسوية في القاهرة تهم أنبان البلاد ودوى الملكة فيها . وحصر على باشا مبارك هذه المنطقة ، وكان حصر اليوم الذى انتهت له جميعه للسمر إلى الإسكندرية ، ومعالجة الخديو توفيق باشا ، لإيلاعه فرائض الحسية ، فلما وصل إلى الإسكندرية سعى في طريقه لهدنة الحالة ، فلم يجمع ، فأنحار إلى الخديو

في وزارة شريف باشا الربيع

ولما خلف شريف باشا وزارة فراسة سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال كان الترجمة ضمن أخصائها ، ونقله وزارة الأشغال . حتى بأعمال الرى والمصران ، كما كان شأنه كلما تولى هذه الوزارة .

ووزارة شريف باشا هي التي استغلت احتياجها على إيلاء السودان ، فالتزم له نصيب في الموقف الشريف الذى ولقه شريف باشا بتقديم استقالته ففارجية في يناير سنة ١٨٨٤ .

في وزارة رياض باشا ظهور المخطوط التوفيقية

وبعد إتقالة وزارة وزارة شريف باشا الوزارة في ربيع سنة ١٨٨٨ ، مكان على باشا مبارك حصر نصائبا ، ورياً للمعارف الموسوية . وهي الفترة التي ظهر فيها كتابه الخالدة (المخطوط التوفيقية مصر القاهرة ومدنها وبلادها الحديثة الشجرة)

وهو دائرة معارف مخطوط مصر وآثارها وجغرافيتها وتاريخها في عصورها القديمة والحديثة ، وبعد كماله وتجهيزاً لمخطوط القرطبي ، والكتاب مخطوط مصر الذى وضعه علماء جامعة اليرسة ، وفيه وصف شامل لمن مصر ، ووطنها ، وريتها ، وزرعها ، وشجرها وسواطها ، ومخطوط كامل لأحياء القاهرة وشوارعها ، وديورها ، وبياديتها ، وما استحوط

مشور سيم فائده مشور من وريته مرحوم قسري باشا - وطبعه سنة ١٨٩٠ على نفقة وزارة - وفوروت تدريس في مدرسة الحقوق ، ودار العلوم ، فأسدى بذلك خدمة عظيمة للعلوم الشرعية ، والقانونية ، ونبهة العلمية ، والتشريعية ولما استقالت وزارة رياض باشا سنة ١٨٩١ ، لزم الترجيم بيته ثم سافر إلى بلده لتتخذ أملاكه وإصلاحها ، بعد أن تركها وأهمل شأنها طوال الستين ، لاشتغاله بالمصالح العامة ، وهناك مرض بداء المئانة ، فعاد إلى مصر

وفاته

وأنح عليه المرض ، إلى أن وافته ليلة محصر في منزله بالمطبعة الجديدة ، في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣ ، فانطعا للمصباح الذي أضاء البلاد بأنوار العلم والفرقان ، أربعين سنة ونيفا ، وأفتحت المدارس حداً على ألبيا ، وارنجت البلاد حزناً على فقدها وانتقل المترجم إلى عالم الخلود ، تاركاً ذكرى مجيدة ، حافظة بما أسداه لمصر من جلال الأعمال .

الجمعيات العلمية

الجمعيات العلمية هي من الوسائل الفعالة في نشر العلوم والمعارف ، ومن مظاهر تقدم الأفكار والثقافة في المجتمع ، وقد إزدان عصر إسماعيل بظهور الجمعيات العلمية ذات الأغراض السامية والمقاصد الحليمة .

المجمع العلمي

المجمع العلمي هو الهيئة العلمية التي أنشأها تالبيون في مصر سنة ١٧٩٨ وسبق لنا الكلام عنها (تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١١٨ - طبعة أول -) ، وقد ألقى هذا المجمع عد جلاء الفرنسيين ، ثم أعيد إنشاؤه سنة ١٨٥٩ بالإسكندرية في عهد سعيد باشا ، واستمر قائماً في عهد إسماعيل يؤدي مهمته في نشر للباحث العلمية ، وهو قائم إلى اليوم واسمه (مجلس المعارف المصري) ، ومقره بوزارة الأشغال العمومية ، وله مجلة تشر بحث

جمعية المعارف (أسست سنة ١٨٦٨)

هي أول جمعية علمية ظهرت في مصر لنشر الثقافة براسة التأليف والطباعة والنشر ، أسسها سنة ١٨٦٨ محمد عارف باشا ، أحد أفاضل العلماء في ذلك العصر والمضرب مجلس الأحكام . والعرض من هذه الجمعية نشر العلوم والمعارف بطبع الكتب العلمية وتأييدها وتبديدها وتلخيصها ، وقد جعلت تحت رعاية الأمير محمد توفيق باشا ولي عهد الأريكة الخديوية وقتئذ ، وتولى مكانها ورأسها الفعلية محمد عارف باشا ، وتألفت برأس مالك موزع على أسهم طرحت للاكتتاب العام ، قيمة السهم ثلاثون قرشاً (١٣) ، واقتت مطبعة لطبع الكتب التي تولت نشرها ، عدا ما كانت تطبعه في دار العباعة الأميرية ، والمطبعة الموهبة وتولت الجمعية طبع طائفة من أمهات الكتب في التاريخ ولفقه والأدب . بها أسد الغاية في معرفة الصحابة لابن الأثير في خمسة مجلدات . وتاج العروس من شرح جواهر القاموس والفتح الوهمي في شرح المعنى في مجلدين ، وتاريخ ابن الوردي . وشرح التور على سقط الزند (ديوان أبي العلاء المصري) ، وديوان ابن خفاجة . والبيان والتبيين للجاحظ . وديوان ابن المعتز ، وشرح الشيخ خالدة على البردة ، وعنوان المرتصات والمطربات لنور الدين أبي الحسن . والمختصر في أنصار البشر . ومحاضرات الراهب الأصمهان ، ورسائل يسيع الزمان الحمداني . وغير ذلك من الكتب القيمة

ولقبت الجمعية إقبالا عظيماً وتعصداً كبيراً من الطبقات المتتارة والمجتمع . إذ بلغ عدد أعضائها سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ - ١٨٧٠ م) ٦٦٠ ونيف . وردت أمثالهم في ديل كتاب « الفتح الوهمي » ، نذكر هنا طائفة منهم ، نموذجاً للطبقات التي اشتركت في الجمعية ، ولكي نبين مبلغ تعصيد المجتمع في ذلك العصر لمشروعات العلمية .

إبراهيم بك حلم من قصاة محكمة الإستئناف . إبراهيم أدهم بك وكيل محافظة الإسكندرية . السيد إبراهيم جميعي من أعيان الإسكندرية . السيد إبراهيم بك المويلحي من أعضاء المجلس الانتدائي . أبو زيد أفندي إبراهيم ناشمهندس القليوبية . أتولى بك أبو العز من

أعضاء مجلس شورى النواب . أحمد طلعت باشا كاتب الديوان الخديوى . الشيخ أحمد شرف الدين المرصى من علماء الأزهر . أحمد رشيد باشا من أعضاء مجلس الخصوصى (مجلس الوزراء) . أحمد خيرى بك مهندس دار الخديو . أحمد بك صدرا من ترجمه الكتب الخربة . الشيخ أحمد البتولى قاضى طحا . الشيخ أحمد الأصاوى قاضى طهطا الشيخ أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووكيل الجمعية بالاستانة . أحمد بك فتحى ناظر مدرسة الإسكندرية . أمين بك فكرى . جعفر مظهر باشا حاكم دار السودان . جعفر صادق باشا رئيس مجلس استئناف قبل . حسن بك الشريعى . الشيخ حسنة الوائى . حسين فخرى بك (باشا) . حسين شريف باشا . خليل باشا بكى . القزق راشد باشا حصى الدكتور سالم بك سالم . الشيخ عبد الرحمن الايلى . الشيخ عبد الرحمن الرفعى وعبد اللطيف باشا من أعضاء المجلس الخصوصى . محرم أحمدى عن عمده «سبلاوى» ومن أعضاء مجلس شورى النواب . محمد بك محمد عوف باشا السيد محمد يوسى محرم السيد محمد اللولبى الدكتور محمد شافعى بك مصطفى رياض باشا يوسف صالح عمدة كفر بيدة أحمد وسم الملايى من أعيان الإسكندرية . الشيخ دراوى عاشور عمدة بيوت ، الدكتور حسين بك عوف . الشيخ حسين حمزة من أعضاء مجلس شورى النواب . حماد بك عبد العاطى . على دو الفقار باشا وزير الخارجية . محمد مظهر باشا وكيل مجلس الأحكام إبراهيم أهدى هلال مأمور صطبة بيت مصر . أحمد صادق باشا ناظر الدائرة السية . أحمد هريد بك ناظر قلم المحاسبة السيد أحمد مشرفة . حمد دهمى بك ناظر المحاسبات . الشيخ أحمد باشا من علماء الإسكندرية . إسماعيل أهدى عبد الحائق وكيل ديوان الرماحة . إسماعيل بك رهدى ناظر مدرسة للصبيان . أمين بك سيد أحمد السيد حسن موسى العقاد السيد حسن المرقى . شعبى بك مصر . إلخ . إلخ .

وقد طلب الجمعية فائدة تؤدي مهمتها إلى أن تقتد التراجع السياسى بين الخديو إسماعيل والأمير عبد الحليم باشا ، فتناشها على عرش الخديوية . وكان عارف باشا من أنصار حليم باشا . فهاجر إلى الأستانة خوفا من بطش إسماعيل . وانجلى للجمعية

الجمعية الجغرافية الخديوية (أسست سنة ١٨٧٥)

هى من أهم المنشآت العلمية فى مصر ، أسسها إسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ ، والقرص منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها ، وأول رئيس لها هو العالم الألمانى الدكتور جورج شويرت Schweinfurth . ووكيلاه العلامة محمود باشا القللى ، والجنرال استون ماشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، ولها عملة دورية تنشر البحوث والاكتشافات . وتؤدى خدمات جليلة للعلم والجغرافية ، وقد رجعت فى كثير من المواطن إلى للباحث القيمة والمراعاة الدقيقة للمشورة فى عملها

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشئت بالإسكندرية سنة ١٨٧٨ (١٢٩٦ هـ) بمضى السيد عبد الله تديم ومساعده سعد الله بك حلاية من سراف الثغر ، والباحث على إنشائها شعور الخاصة بطفيان التموز الأجنبى فى البلاد ، وتدخل الأجانب فى شئوننا . واستثمرتم بمراقبتها .

قأسست هذه الجمعية فتح المدارس الحرة لتعلم الدين والنيات ، وتهذيب الأخلاق وإعانة الفقراء ، وقد أنشأت مدرسة بالإسكندرية لتعليم الدين والنيات ، وعقد فيها حفل للحفلة ، كانت تلقى فيه الخطب والمحاضرات مرة فى الأسبوع ، ووضع لها قانون ، وأجرت عليها الحكومة راتبا سنويا على سبيل الإعانة ، فانتسج نطاقها ، وذكزت جريدة التجارة (١٥) لأديب اسحق بيا إنشاء هذه الجمعية بالإسكندرية ، وجمعية أخرى بالقاهرة وأخرى بنسباط

وهى غير الجمعية الخيرية الإسلامية الحالية التى أسس سنة ١٨٩٢

الصحافة

م يظهر فى مصر على عهد عباس وسعيد من الصحف المصرية سوى «الوقائع المصرية» ، التى أنشأها محمد على باشا . وكانت الحكومة تتولى إصدارها . ولم يظهر غيرها من الصحف

في ذلك العصر. أمثال علي مارك باشا - وعبد الله بك حكري (باشا) - وشيخ صبح
نورص - وردة بنت رافع - وابنه علي بك فهمي رافعة - والسيو بروكش باشا باظر مدرسة
نصرت مصري أقدم محمود باشا قنلكي - وشيخين بك مصطفى العسكي (باشا)
ومحمد قنكري بك (باشا) ولنديكز محمد بك بدر - وحمد بك بدا الممد السن الشهير -
والشيخ عبد الحادي ع الإيادي - وأحمد بك صابح عسكن - وعبد الله بن السعد أحمدي -
محرم صحفة وادي النيل - وشيخ عمر ممدوح أحمد سائمه اللغة العربية بالدارس
التجيرية - والشيخ حنريه النوروي والشيخ حمزة فتح الله - فكانت هلة بداية ساري
فيه فطائل الكتاب في ذلك العصر - ولها الباحث الطريقة في العلم والأدب والأصناف
والتاريخ والفلك والرياضيات ، وكانت تصدر مرتين في الشهر ، وقد صدر الممد الأول منها
في ١٥ المحرم سنة ١٢٨٧ (سنة ١٨٧٠) ، واستمرت تصدر ثمان سنوات ، فأقادت التقاه
للأمة كبرى ، قال صبا للسيو دور بك مفتش القسم العام على عهد إسماعيل في كتابه (١١٠) :
ومدته الهلة كانت تزوج عانا على التلايد ، وقد ساهمت على نشر العلوم والمعارف ، لأنها
عزمت الطلبة ملكة الخالدة والبحث ، وضعت صفحاتها للنايئين منهم لنشر أبحاثهم القيمة .
فكان ذلك يشجعهم ويحثهم على الباحث والجهود المستقلة عن دورهم
وقد أصابت السيو دور في قوله ، فإن الهلة كانت تنشر مباحث طريقة لبعض نيهاد
التلاميذ ، وقد رأيت فيها قصائد وقيمة من نظم المرحوم إسماعيل باشا صبري ، تحفل فيها بلوح
النشر الحديث ، وكان وقتئذ الشاب النقيب إسماعيل أفندي صبري أحد تلامذة مدرسة

الإدارة ،

فيها قصيدة في مدح المقيم إسماعيل بالمدد ٢٠ من السنة الأولى (١١١) قال في مطلعها :

منرت فلاح لنا حلال سعود ونمي الغرام بغير المصود

وفصدة أخرى بالمدد ٥ من السنة الثانية قال في مطلعها (١١٢) :

عزتك البراء أم طلبة البدر ولما نلتك الميلاء أم عدل السر

وشمرنا م من ربحي سدونه ونترك أم عقد تنظم من در

(١١٠) النسخ الممد في مصر من ١٢٨٢ للمسلمة دوريت

(١١١) هلة سنة ١٢٨٧

(١١٢) سج ١٧١ سنة ١٢٨٨

لغربية ، وهذا من مظاهر انحدار الذي أصاب النهضة العلمية في وقت العهد
ع شغب ح - العسة وأدبه في عهد سماعين - فكان من بعدهم نائب
همه وأدبه ع ساسيه وقد نشر بالمصحفة في ذلك العصر هلة من بعده
والأدباء مصريين وطاعة حري من الأدباء السوريين ، ونعمه عامر ع كان له الأثر ع
في جهة الصحافة ، والهيئة العلمية والأدبية عامة ، وهو يمتصيد احتدو إسماعيل ه ،
ومساعداته الأدبية والعالية للناقلين عليه .

وإذا ذكرنا من هذا الصحف والمجلات التي ظهرت في عصره

١ ع أولاً أن نذكر الوقائع المصرية ، فقد استمرت تصدر بانتظام في عهد
إسماعيل - وربي أسلوبها لإشراق - وحملت بهمة الصحفية حدمه بذكر - فكانت تنشر
من القصص العسية والأدبية ، وكانت تبي بذكر سائر الحكومة وأخبار عارجية ، وتنشر
معاينة مجلس شوري النواب ، وتنشر في وصف المجلات العامة ، وخاصة لمجلات
الطبية والتجيرية - ثم مقالات ساق مخل ، التي كان لها شأن كبير في ذلك العصر - وتند
لوقائع ه سحلا معزوز لما سانية من حياة مصر السياسية والاجتماعية في عصر إسماعيل - وهي
من أهم المراجع المرجية التي لا يفتنى عيا من يك ع تاريخ مصر الحديث
ونشا إلى جانب الوقائع صحف أخرى علمية ثم سياسية

• الصحف العلمية والأدبية والحربية

٢ - أسبقها هلة (اليسوب) ظهرت سنة ١٨٦٥ ، وهي هلة شهيرة طبية ، أنشأها
الذكور محمد علي باشا البثلي وإبراهيم المسوق ، ولم تصدر طويلا

٣ - هلة (روضة المدارس) أنشأها لعلامه على مارك باشا سنة ١٨٦٠ حين كان في
سعارف لسيو ، وهي من نوع عية ، وكانت القرائه تنرف صدر هة لإبدان عية
والعصر من إحصاء الأدب لغربية وتنشر المعارف العلمية ، أسست رسا في العلامة روعة
بلك رافع الطهطاوي - وتولى تحريرها سه على بك همي وردة (باشا) ، مدرس لأشياء
عمومية الإدارة والألسن (المحقق) وقتئذ ، وكان يحوز فيها طائفة من أعلام الأدب والعلوم

ويأبى باشا سنة ١٨٨٠

١١ - حريدة روضة (الأخبار) لصاحبها محمد بك أنسى، نجل عبد الله أبو السعود أمدى، أنشأه بس صحبه (وادي النيل) التي عطشها الحكومة كآسلفا، وكان عبد الله أبو السعود أمدى محرر قسمها السياسي إلى آخر أيامه

وقد ذكرها عليا، إن في المخطوطات ج ١١ من ٦٩، وذكرها نصاً أدب استحق في

حريدة (التجارة) بالعدد الصادر في ٢٩ مايو سنة ١٨٧٨، لئلاسه اعتزام صاحبها تغيير اسمها باسم (النيل)، وصدرت بهذا الاسم سنة ١٨٧٨

١٢ - حريدة (الكوكب الشرقى) لصاحبها سيم (باشا) الحموى، صدرت بالإسكندرية سنة ١٨٧٣، ومحرر طويلا وذكر في الوقائع المصرية، بالعدد ٤٢٩ الصادر في ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧١ أن سليم حموى أنشأ مكتبة بالإسكندرية وقاعة للخطاطة بها

١٣ - حريدة (الأهرام) لسليم (بك) وشارة (باشا) قلا صدرت سنة ١٨٧٥ بالإسكندرية، (والآن بالقاهرة)، وقد لاقت في مبدأ صدرها عقبات جمة، ثم نالت حظاً كبيراً من الرواج، وكانت في مبدأ ظهورها أسبوعية، ثم صدرت غالبها حريدة (صدى الأهرام) يومية حتى عطلت، ثم اعادت (الأهرام) بالظهور وصارت يومية، واستمرت تصدر إلى اليوم، فهي أقدم الصحف المصرية السياسية

١٤ - حريدة (الإسكندرية) حاد ذكرها في حريده (لتجارة) بالعدد ٥ يوبه سنة ١٨٧٨ إذا عالت إن سليم أمدى حموى عزم على إصدار حريدة أسبوعية تسمى (الإسكندرية)، وقد صدرت فعلاً في يولييه سنة ١٨٧٨.

١٥ - حريدة (الكوكب المصري) للشيخ محمد وقاه، ذكرتها حريدة التجارة بالعدد ٣ من السنة الثانية (١٩ مايو سنة ١٨٧٩)

١٦ - (مرآة الشرق)، وهي حريدة سياسة أنشأها سليم حموى، ثم تسمى منها في أبريل سنة ١٨٧٩، وتولاهما إبراهيم أمدى، اللقاني (بك) بإيماء من السيد جمال الدين الأدهال

١٧ و ١٨ - أنشأ الشيخ يقوب صبور صحيفتين سياسيتين، وهما (مرآة الأحوال) صدرت في لندن سنة ١٨٧٩، و (أبو صسارة) صدرت سنة ١٨٧٧ بالقاهرة، وهي صحيفة ملوثة لإسماعيل، وكان الشيخ يقوب صبور مصرياً إسرائيلياً، متعلقاً بالصحافة، يعمل

وأنهى بالعدد ٢٣ من السنة الثانية (١٨٨٠) لسنها بقوله

لا والحموى المدي والرجد على جدول فيك لا يندى إلى مع الصدف وطولها انما باق على بيتان والمهد

ويبين من ذلك أن مدرسة النشر الحديثة قد بدأت باكورتها بظهور مجلة روضة

لندائس (١١)

١٤ - حريدة (أركان حرب الجيش المصري) و (الحريدة العسكرية المصرية) وقد سبق الكلام عنها من (١٨٤) (١٨٤)

الصحف السياسية

وظهر من الصحف السياسية -

٦ - صحيفة (وادي النيل)، أنشأها الشاعر الفاضل عبد الله أبو السعود أمدى سنة ١٨٦٧ وهي أقدم صحيفة سياسية ظهرت في مصر، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع في شكل المجلات، وظلت تصدر إلى أن ألغيت بأمر الحكومة سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)

٧ - حريدة (ترجمه الأفكار) سنة ١٨٦٩ لشتها إبراهيم بك الترياحي ومحمد بك عثمان جلال، وكانت أسبوعية، ولم يصدر بها إلا عدنان، ثم عطلها إسماعيل مصبحة شامري باشا وزير الحرية، إذ حذره عوفق لجنها وما توفى إليه من البارة (مخراطر

٨ - أنشأ ميخائيل أمدى عبد السيد سنة ١٨٧٧ حريدة (الوطن)، وكانت سياسيتها وطنية، وصحبها حرة، وقد امتنعت تصدر إلى ما بعد الاحتلال، ووقفت جب ثم عادت إلى الظهور سنة ١٩٠٠

٩ و ١٠ - وظهروا سنة ١٨٧٧ حريدة (مصر) وهي حريدة أسبوعية، محررها أديب اسحق، ومحررها سليم النقاش، وأنشأ سنة ١٨٧٨ صحيفة يومية بالإسكندرية باسم حريدة (التجارة)، وسلسلة الصحيفتين وطنية حامية، تجلت فيها تعاليم جمال الدين الأدهال وروحه، وكانت له في المبردين بعض الرسائل، يكتبها هو أو عليا على تلاميذه وقد قلدها

(١٨٨) في ملهية سنة ١٢٨٨

(١٩) من كتابها، مصر عند علي، من ٤١٧ (الطبعة الأولى)

وانشئت عدة مطابع أخرى لطبع الصحف والمجلات كان لها الفضل الكبير في إحياء سائر الكتب القيمة في الأدب والعلم ، وتولت طبعا وطبع المؤلفات الحديثة .

من هذه المطابع مطبعة جمعية المعارف للتقدم ذكرها .

والطبعة الأهلية القبطية التي جلبها من أوروبا الأب كزلس الرابع سنة ١٨٦٠ في عهد سعيد باشا ، وهي أول مطبعة أنشئت في مصر بعد مطبعة بولاق .

ومطبعة (وادي النيل) أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي ، وكان يطبع فيها صحيفة (وادي النيل) ، ومجلة روضة المدارس ، وجريدة (أركان حرب الجيش المصري)

و (المطبعة الوطنية) بالإسكندرية .

والطبعة الوهية ، انشئت سنة ١٢٨٠ هـ مؤسسها مصطفى أفندي وهي (بك) ، ومطبعة أركان حرب الجيش المصري التي سبق الكلام عنها .

ومن أمهات الكتب التي طبعت في ذلك العصر وكان لها الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية : كتاب للثلث السائر ، لأبي القتيح القزويني ، والأغاني لأبي القزويني . وتاريخ ابن خلدون ومقدمته ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وهذه اللغة الثمالي . ووفيات الأعيان لابن خلكان ، ووفيات الوفيات ، وإسداء العلوم للغزالي ، وقصص القصر الرافعي ، والبخاري (شرح القسطلاني) ، وسفينة الرافعي ، وحياة الخيران ، ونفع الطيب من غصن الأندلس للطريب ، وقانون ابن سينا في الطب ، وتذكرة داود ، وغير ذلك من هاتس الكتب .

مظاهر النهضة العلمية والأدبية

اقترب عصر إسماعيل بالهضة العلمية والأدبية التي ظهرت في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولقد الهضة عوامل شتى ، أولها انتشار التعليم في المدارس والمعاهد ، وظهور طائفة من العلماء والأدباء ممن تخرجوا في مدارس والبعثات أو في الأهرام في عهد محمد علي وخلفائه ، وقد ظهرت ثمار قرائعهم على توالي السنين ، وخاصة في عهد إسماعيل ، إذ كان يشجع أكثرهم وبعضهم ، ويسند إليهم المراكز الممتازة في الحكومة ويخدمهم بالبلح السحرة ، فكانت هبات إسماعيل أكبر عصب النهضة العلمية والأدبية ، وكان لانتشار التعليم في المدارس

عامة أثر كبير في نموها وتقدمها ، إذ تألفت ربة صالحة من التعليم تزيدها وتناصرها بالإقبال على ما تنسجه قرائع الطماء والأدباء ، ولولا هذا الإقبال لخشعت القرائع ، وكسدت سوق العلم والأدب ، وقمة حامل آخر ، وهو مجيء النيد جمال الدين الأفندي سنة ١٨٧١ إلى مصر وإقامته بها ، فقد وضع في الحياة العلمية والأدبية ثم السياسية روحاً من البقعة خضت بها خطوات واسعة إلى الأمام .

ومن عوامل هذه النهضة ظهور الجمعيات العلمية ، وتقديم الطاعة ، وظهور الصحافة ، ونشاط حركة التأليف والترجمة والنشر ، ففي عصر إسماعيل ازدهرت الحركة العلمية والأدبية التي هي أساس النهضة الحاضرة ، ونشط الأدب والشعر ، وظهرت طبقة من الشعراء بدأ على شعرهم أسلوب العصر الحديث ، من حسن الليثية ، وصفاء القرطبي ، وبلاغة العبارة ، وتهدب أسلوب الكتابة والإشهاد ، وأخذ يتخلص من شوائب التعقيد والزكاة ، والسجع المتكلف ، وهبت عليه نسمة الترميل البليغ والمعاني الطريفة .

وظهرت طائفة من العلماء المؤلفين والمربين توفروا على إخراج الكتب القيمة في الطب والرياضيات والتاريخ والفقه والتشريع وما إلى ذلك .

وارتق مستوى للتأصيل الحكومية ، إذ تولاهما المتخرجون من المدارس والمعاهد والبعثات ، فظهرت ثمار النهضة في فروع الحكومة ، كالعلم والرى والمنظمة والإدارة والقضاء والصحة والجيش والاسطول .

وكان للنهضة العلمية والأدبية أثرها في تقدم الحياة الاجتماعية ، ثم الحياة الوطنية والسياسية ، مما سنعرض إليه في موضعه .

والآن بمرورنا الحديث إلى الكلام عن أعلام هذه النهضة ، وسنقصر القول على خلاصة وجيزة لأعلام أولئك الأعلام الذين اكملت شخصياتهم في هذا العصر ، فمن هذه الخلاصة نجتمع لنا صورة عامة للحياة الأدبية والعلمية في عصر إسماعيل .

احتفال الادب



الشيخ
محمّد
المصري



جمال الدين الأفغاني



الشيخ
عبد الحادي نجار



عبد الله باشا فكيه



علي باشا مبارک



الشيخ إبراهيم النسي



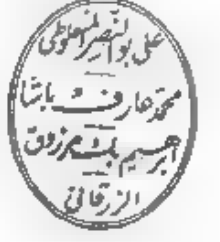
محمد بشار عثمان



محمد باشا سامي البارودي



إبراهيم بك الموهبي



محمد بشار الفايومي



امين بك فكري



احمد بك فقي

في عصر استماتك



اديب السيد



الشيخ محمد السيد



عبد الله السيد



عبد الله السيد



رفاعة رافع الرفيق



محمد السيد



الشيخ محمد الفايومي



احمد السيد



الشيخ محمد الفايومي



احمد بك الفايومي



احمد بك الفايومي



احمد بك الفايومي

محمود باشا سامي البارودي

(١٨٤٠ - ١٩٠٤)

باصحوة الأعلام في دولة الشعر حديث ، وأول من هب في وحاتى في مقفه مصر الشعراء التقدمين ، كاتب بشارة الأدبية والحربية في عصر إسماعيل ، وسطع لجهه في صماء الأدب على ذلك العهد ، ثم انقز اسمه بمصر الثورة العربية ، وكان له ميا اللدور الكبير ، وسترجم له في موضعه من كتاب (الثورة العربية والاستقلال الاخيري)

عبد الله أبو مسعود أفندي

(١٨٧٠ - ١٨٧٨)

أول صحفى سياسى ظهور في تاريخ مصر الحديث ، ولد في دمشق قرب الجزيرة ، وأصله من بوقه ، تلقى العلم في مدرسة البورشى ، ثم انتقل إلى مدرسة الأسن ، وتخرج منها على يد رفاعه بش ، فهو من تلاميذه الأعداد . وكان يحضر دوروس الأزهر ، وأقن اللغات الغربية والترسية والإيطالية ، وسع في ميون الأدب والشعر ، وارتقى في المناصب حتى صار في عهد إسماعيل ناظر قلم الترجمة ، مستند وأستاذ لتاريخ مدر العلوم ، ونشأ سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) صحيفه (وادى النيل) كما عدم بياه

وعظم حوادث مصر في كتاب سماه (سعة أهل العصر عنتى تاريخ مصر) ، ووصف كتاب (الفرس العام في التاريخ العام) طبع قسم منه سنة ١٢٨٩ . وعرب كتاب (تاريخ مصر) لدهمه ، لمريب باشا . نج . ولد ديون شعر مطبوع ، وبه ترجمه عظم ميا سيره محمد على وشازاد رفاعه بك وتلاميذه في ترجمة الكود (قانون المليون) ، وتولى هو وحسن أفندى مهمى المصري تريب قانون المرافعات

وسجل سنة ١٨٧٦ قاضياً محكمة الاستئناف ، وتوفى في فبراير سنة ١٨٧٨ ، وهو من موانع الأدباء والسياسة في عصر إسماعيل

عصر إسماعيل

أعلام الأدب في عصر إسماعيل

رفاعه بك ورافع الطهطاوى ، وعلى باشا مبارك

أفرك رفاعه بك عصر إسماعيل ، وله القصل الكبير على العلم والأدب كما أسلفنا في ترجمته (عصر محمد على ص ٤٧٠ من « طعة الأول ٣٨٢ من الطبة لثانية) . وعلى باشا مبارك هو صاحب الأيادى البيضاء على الأدب والعلم والتعلم في مصر كما يينا ذلك في ترجمته .

السيد جمال الدين الأفطاني

هو باحث روح الحياة في البصة العلمية والأدبية والسياسية ، فواجب أن نعهه في مقدمة أعلام الأدب في عصر إسماعيل ، وسترجم له في القصل الثاني عشر

الشيخ حسن الروصى

(توفى سنة ١٨٨٩)

شيخ الأدباء في ذلك العصر . وأستاذ الطبة الأولى من دار العلوم ، نشأ في (مرسى) ماطليوبه ، وهى بلدة نجست طائفة من أعلام الأدب والعهه والده ، كال والده « شيخ أحمد حنى الروصى من « نمة العجم في عصره . ويطغ للتتوس بالأزهر ، ونشأ المرحم ميالا للعلم والأدب . ذكر عنه البلاء على باشا مبارك في المظف . توديهه (ح ١٥ ص ٤٠) أنه « من « بلاء لطلبه وأفاضلهم . أنه اند الطولى في كل من . وقول ن يسع نت (لا وحفظه مع رفة بزواج ، وحنة بدهر . وشده الخندق ، وصلى ينتتوس فقر بالأزهر كزار كتب . ثم تولى تدريس لغة والآداب في دار العلوم ، وتتم طلبة الفرسية . وله مؤلفات منه ميا « الرسالة . الأدب إلى العلوم العربية طبع عصر سنة ١٢٨٩ هـ في جزئين

٢ . وه كتاب في الأدب والاستماع سماه (الكلام الثمان) في الأنة والوطن والحكومة والمدل والظلم والسياسة والحرية والذرية

الشيخ محمد عبد

(توفي سنة ١٩٠٥)

الاستاذ الإمام ، وفيلسوف الإسلام ، وأكبر العلماء وأعلم الكتاب (٣٣) ، كانت شأنه العلمية والأدبية في عصر إسماعيل ، واتسوى إلى لواء السيد جمال الدين الأصاني ، وصار من نخبة تلاميذه منذ قدم السيد إلى مصر سنة ١٨٧١ ، فكان هذه الفترة من الزمن الأثر الأكبر في اتجاهه العلمي والروحي ، وكتب بعض الرسائل في صحيفتي (التجارة) و(مصر) لأديب أسبق ، ثم عظمت شخصيته في عصر الثورة العربية كما سيجي بيانه في كتابنا (الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي) .

إبراهيم بك المولوي

(١٨٤٦ - ١٩٠٦)

رسم الكتاب في عصره ، وأستاذ المدرسة الحفيدة في الأدب والإنشاء ، من أسرة المولوي الشهيرة ، وهي أسرة عربية ، أصلها من «الوليج» من نغور الحجاز التي كانت تابعة لمصر ، وكان جده السيد إبراهيم المولوي من كبار موظفي الحكومة في عهد محمد علي ، يميل للأدب والأدباء ، فبرزت عنه للترجم هذا الليل ، وكان أبوه من أسرة مصر ، وله بيت تجاري كبير اشتهر بصناعة الحرير وتجارة

ولد للترجم في أوائل سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) وترعرع في حجر والده ، في مهاد الر والعمه ، إلى أن توفي أبوه سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وهو لا يتجاوز العشرين بكثير فتولى تجارة أبيه مشاركاً أخاه عبد السلام المولوي (باشا) ، ولكنها لم يوفقا في التجارة وآل بيت المولوي من الناحية المالية إلى الحسبان ، لولا مودة الحديو إسماعيل ، فقد نظر إلى هذا البيت نظرة عطف وسخاء ، فوهب للترجم وأعطاه من المال ما في ديوبها ثم أتم على إبراهيم بالربة الثانية ، وجعله قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره وأنتم

(٢٣) تميم : المصطفى ، في : محلاته .

على حد السلام بهله الرتبة أيضاً ، وابقاه يراول التجارة استقاه هذا البيت التجاري القديم وظهر ميل المترجم إلى الأدب من مشاركته محمد عارف باشا في تأسيس جمعية المعارف التي عنت بإحياء الكتب العربية ، وقد سبق الكلام فيها ، ثم نشر مع محمد بك عثمان جلال في إصدار جريدة سياسية اسمها (نزهة الأفكار) ولكن لم يصدر منها إلا عددان وصدر أمر إسماعيل بإلغائها

وكان المترجم من تلاميذ السيد جمال الدين الأصاني ، وقد اتصل من طريقه بالحركة السياسية التي ظهرت في عصر إسماعيل ، والتي انتهت بوضع اللائحة الوطنية وتأييد وزارة شريف باشا الأولى كما سيجي بيانه في موضعه ، وعين سكرتيراً لإسماعيل راعب باشا وزير المالية في الوزارة الوطنية ، وكان المترجم من رجال إسماعيل المخلصين لشخصه . المديون بكرمه ، ولازمه في مقام عدة سنوات ، اشتغل خلالها بالصحافة حيناً ، ثم ذهب إلى الاستاذ سنة ١٨٨٥ ، فأكرم السلطان عبد الحميد وفادته ، وعينه عضواً في مجلس المعارف ، وظل في هذا المنصب نحو تسع سنوات ، ثم عاد إلى مصر ، وكتب في المصحف مقالات جامعة في الأدب والسياسة والاجتماع ، جمع بعضها في كتاب سماه (ما هنالك) ، ثم أنشأ صحيفة (مصبح الشرق) وهي صحيفة أسبوعية قالت في عالم الأدب والكتابة مكانة لم تبلغها صحيفة أخرى ، وله فيها المقالات الرائعة التي كادت تبلغ عليا مراتب البلاغة والإنشاء لولا ما شابها من الإنداع في المسج ، والتقلب مع الأهواء ، وتوفي في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ .

محمد بك عثمان جلال

(١٨٢٨ - ١٨٩٨)

واضح أساس الفضة الحديثة في الأدب المصري ، ولد في (وفا القس) بمديرية بني سويف وتلقى العلم في مدرسة قصر لعيني (وكانت لم تزال مدرسة إعدادية) ، ثم في مدرسته التي زعم ، ثم في مدرسة الأنس ، فهد من تلاميذ رفاة بك رافع بطهطاوي ونجح في العلوم وبدا عليه الميل إلى الشعر والأدب والتعريب ، وكان ميالاً إلى الفن الروي يمدح نعره به مع تصدير ما يعر به أحبناً . وله كتاب (العيون اليواظ) وهو تعريب شعري لروايات لاهوتين وسواعه . وبعد هذا الكتاب أعظم آثاره الأدبية وأشهرها ، وعرب رواية (يول وفرجين)

من الفرنسية . ووضع كتاب (النحلة السبية في لغتي العرب والفرنسية) منظومة ، وحرث بعض الروايات القبلية . منها (تنزه) لوليبر . حربيا بتصرف وأسماعها (الشيخ مطوف) بعد أن أسبغ عليها مسحة مصرية ، وقد مثلت هذه الرواية على المسرح في مصر ، وله أرجوزة في رحلة الحديبو سنة ١٨٨٠ .

أدرك مترجم عصر محمد علي وحملته إلى أوائل عهد عباس الثاني ، وظل متعصب حدة في الحكومة ، وآخر ما تولاه منها منصب القضاء في عكا كم اعطته سنة ١٨٨١ ، وأحيل إلى المعاش سنة ١٨٩٣ ، وتوفي سنة ١٨٩٨ عن سبعين سنة .

عائلة عصمت تيمور

(١٨٤٠ - ١٩٠٢)

« طليعة القفلة النسوية »^(٢١) ، في تاريخ مصر الحديث ، وقول من نبغ من المصريين في الشعر والأدب ، نشأت من بيت كرم ، إذ كان أبوها إسماعيل باشا تيمور ، أحد كبار الحكام في عصر عباس الأول وسعيد وإسماعيل ، وشقيقها العلامة أحمد باشا تيمور ، بدت عليها ملكة الأدب والشعر وهي بين السابعة والثالثة عشرة ، ورأى أبوها منها هذا الميل ، فحسب بتخفيفها ، وأنحضر لها أستاذين لتأخذ عنهما الأدب والعلوم ، وكانت الشعر وهي في الثالثة عشرة ، فأعجب بها والدها وحبيب إليها إيجاده ، فأكتب على نظم الشعر بلغات ثلاث ، الفارسية والعربية والتركية ، وتزوجت في الرابعة عشرة بمحمد بك تولق بن محمود بك الاسلامبولي ، فمثلها الحياة الزوجية من الأدب حيا . فلما ثبت ابنها (توحيد) عهدت إليها شئون المنزل ، وبعد وفاة والدها سنة ١٨٨٢ وزوجها سنة ١٨٨٥ تفرغت للشعر والأدب . راقبت الشعر والعروض على يد ملحنين من أهل العلم في هذا العصر ، مما فاطمت الأرمية ، وسيتت الطلاوية ، وعادت إلى نظم الشعر ، ثم توفيت ابنها توحيد فاشتد حزنها عليها ، وشملت بالدكروى والبكاء سبع سنين عددا ، ثم عادت إلى الكتابة والشعر ، وكانت وفاتها سنة ١٩٠٢ .

(٢١) تيمور الكاتبة الأديبة (الآلة م) في رجسنا لعائلة عصمت تيمور

وكان له أدب حية طرر وهو ديب - شعره ممدود - شكوة وممدود - كى وممدوس . وله نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال وهو قصة أدبية كتبها بأسلوب ممدود .

عبد الله باشا فكري

(١٨٣٤ - ١٨٨٩)

من علماء الأدب في عصر إسماعيل ، ولد بمكة المشرفة ، وكان أبوه محمد أفندي بليغ قد تخرج في المدارس الملكية حتى نشأها محمد علي ، ومهر في العلوم الرياضية ، إلى أن صار من المهتمين والتحق بخدمة الحكومة وحضر مواعيد حربية ، أمضاها في حرب المورة ، فمقد في المورة على والده المترجم ، وعاد بها إلى الحجاز ، فوضعت بمكة خلافا هو صاحب الترجمة ، وحتى باسم حده الشح عبد الله أحمد علمه الأزهر ، ثم عاد بليغ أفندي إلى مصر ، وما زال في خدمة الحكومة ، حتى تقلد منصب باشمهندس الشرقية ، ثم معتنش هندسة البحيرة والبحيرة ، وتوفي سنة ١٢٦١ هـ . ومترجم لم يتجاوز الخدمة عشرة . فأخذ يطلب العلم بالأزهر وأحسن اللغة العربية وعلومها ، والحديث والتفسير ولطلق ، وتعلم اللغة التركية أيضا . والتحق بالمناصب مع استمراره حينما على تلقى العلوم بالأزهر ، وانتظم في عهد سعيد باشا بالعبية السبية ، وتولى كتابة الإنشاءات الديوانية بالعربية والتركية ، واستمر بالعبية إلى عهد إسماعيل ، ورافقه في رحلته إلى الامتانة ، وظل متصلا به ، مشغولا برعايته وعهد إليه سنة ١٢٨١ ملاحظة تعلم أبنائه الأمراء فاصطلح بهذه المهمة وكان يلاحظ الدروس التي تلقى إليهم وأحيانا يدرس هم بنفسه .

وكان يتولى كتابة رسائل الحديبو إسماعيل في مهام الدولة ، فبهض بأسلوب الكتابة الرسمية ، ومعظم هذه الرسائل منشورة في (الفوائد المصرية) ، وتدرج في المناصب على عهد إسماعيل وروبو . وكان له المكاتب الأهلية بوزارة المطابع جعل وكيلها سنة ١٨٧١ ، وصار وكيلها لورد المعارف في بوليه ١٨٧٩ . واسمير يعلى حد منصب إلى ديسمبر سنة ١٨٨١ . بدتألف مجلس لنواب على عهد الثورة العربية ، فعمل كبير كتاب المجلس ، ولما ستألت وزارة شريف باشا وألف محمود باشا حامي البازوى الوزارة في فبراير سنة ١٨٨٢ ،

السيد عبد الله نديم

(١٨٤٣ - ١٨٩٦)

الكاتب الشهير الأديب . والمحطوب الوطني الموقر . أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفندي ، ومن الذين استمسكوا بتعاليمه ومبادئه طول حياته ، ولد بالإسكندرية ، ونشأ محباً للأدب ، حباً للحضارة والشعر . جريئاً مقدماً ، مولماً بالحرية . بذت شخصيته الأدبية والسياسية تظهر في أواخر عهد إسماعيل ، وبدأ بشر رسائله في حريته (مصر) و (التجارة) ، وأسست سنة ١٨٧٩ الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية ، التي ضمت أعيان الثغر ووجهاءه ، وكانت باكورة أعمالها إنشاء مدرسة أهلية لتعليم البنين والبنات ، وهو أكبر خطباء الثورة ، وله فيها دور كبير منفصله في عروصه من كتاب (الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي) .

أديب اسحق

(١٨٨٥ - ١٨٥٦)

الشاعر النادر ، والصحفي السياسي الحر ، ولد في دمشق ، ومدا منه مند صباه الميل إلى الشعر والأدب ، والتملق بالحرية ، لما أن جاء مصر حتى اتصل بجمال الدين وصار من أخصى تلاميذه ، وأصدر جريدة (مصر) ثم جريدة (التجارة) وامتازت بالأسلوب البليغ والروح الوطنية ، وكان السيد جمال الدين يكتب فيها أحياناً ، وكذلك الشيخ محمد عبده ، ولقيت الصحيفتان إقبالاً عظيماً ، ثم ألغيت بأمر رياض باشا ، وهجر أديب اسحق مصر سنة ١٨٨٠ ، ورحل إلى باريس حيث أصدر فيها جريدته باسم (القاهرة) ، وهناك أصيب بمرض الصدر ، وعاد إلى بيروت ، ثم رجع إلى مصر في عهد الثورة العربية . وعاد إصدار جريدته (مصر) ، وعين رئيساً لقلم الترجمة بوزارة المعارف ، ثم كاتباً نائباً لمجلس النواب ، ولما أُنشئت الثورة هاجر من مصر ضمن من هاجروا إلى سوريا ، واشتدت به علة الصدر ، فجهده مصر للاستشفاء ، فلم تندم صحته ، فعاد إلى بيروت ، ولم يخلص عليه ثلاثون يوماً حتى عاجلته المنية سنة ١٨٨٥ وهو في ريعان الشباب ، وقد جمعت أقواله وأشعاره في كتاب اسمه «لدي» .

اشترك المترجم فيها متولياً وزارة المعارف لعمومية . فكان حضوراً في «وزارة الثورة» التي عارضت الخديو توفيق باشا واستقالت احتجاجاً على مسلكه في مايو سنة ١٨٨٢ ، ومن هنا سقط الخديو على المترجم ، فلما أُنشئت الثورة كان من المقصود عليهم بتهمة الاشتراك في القتل ، ثم أطلق سراحه بعد أن أثبت براءته منها . ولكن معاشه كان موقراً من يوم اعتقاله ، فأنقذ نفسه من توفيق باشا المصروع في قصيدة طويلة أناب فيها من إخلاصه وولائه لملكه ، فأمر بإعادة معاشه ، وفي سنة ١٣٠٦ هـ تدبته الحكومة لرئاسة الوفد المصري في المؤتمر الذي انعقد بمدينة استوكهولم عاصمة السويد والنرويج ، وخرج على بعض بلاد أوروبا ، يصحبه بحه أمين باشا فكري ، ولما عاد اشتد به مرض أصابه أثناء رحلته ، حتى وافاه الأجل يوم ١٠ اغرم سنة ١٣٠٧ ، وكان كاتباً أدبياً وشاعراً بليغاً .

الشيخ عبد الهادي نجما الإيلاري

(١٨٢١ - ١٨٨٨)

من كبار الأدباء والكتاب في ذلك العصر ، وصفه علي باشا مبارك في خطط التوفيقية (ج ٨ ص ٢٩) بالخير العام وقدر العلماء الأعلام ، الإمام الأريب واللوحى الأديب ، الشاعر النادر ، الحافظ الماهر ، العلامة الشيخ عبد الهادي نجما ابن العلامة الشيخ رضوان الإيلاري ، ولد في إيلار غربية ، وتلقى العلم في الأزهر على يد شيوخه ، ونجح في علوم اللغة والفقه والأدب ، فذاعت شهرته ، وعهد إليه الخديو إسماعيل بتعليم أبنائه وتعليمهم ، ومهم الأمير توفيق باشا ، وكان وهو يتولى هذا المنصب تصدر للتدريس في الأزهر إلى بنته ، وأحد عنه كثيرون من حدة معلمه . كما منح حسن نصري والشيخ محمد نسوي . ولما بولى برص من الأرمكة المنحوبة عنه له وصحة ، ثم نعمة ومنتج . وشعر هذا المنصب حتى وفاته ، وكان كاتباً أدبياً ، وأصل أعلام الأدب في سائر الأقاصى كآحمد الأرس الشدياق والشيخ نصيف البارقي والشيخ إبراهيم الأحمد . وله مؤلفات قيمة في الأدب واللغة بلغت أربعين كتاباً .

الشيخ ابي

(توفى سنة ١٨٩٦)

شاعر الخديو إسماعيل - وشيخ الدماء في عصره - كان أديب دكتي الفؤاد - حاصر
البدية ، لطيف العشرة ، طو الحديث - حبيب الروح - محباً للحير ، محباً من معاصريه ،
قربه إليه الخديو ، وجعله مششاً بالمية - - وكان - ينصحه في غديره وروحائه - ويحترمه
ويأسى لسمه وأحاديثه ، وله ديوان شعر م وضع

علي أبو النصر المتلوطي

(توفى سنة ١٨٨١)

من شعراء ذلك العصر المحدثين ، ولد في متلوط - وتلقى منه صباه بالشعر والإنشاء ،
فقره إسماعيل إليه وحمله مششاً بالمية ، وقال جوائزه وحياته ، ورافقه في سفره إلى الأستانة
على عهد السلطان عبد العزيز ، وله ديوان شعر طبع بيولاق سنة ١٣٠٠ هـ

الشيخ حس الطويل

(توفى سنة ١٨٩٩)

هو أديب من درس المتلق في مصر قبل حضور السيد جمال الدين الأعفاني ، ومن كبار
علماء الأزهر وأساقفة دار العلوم ، وسجادة المنطق والعلوم الرياضية ، أخذ عنه العلوم
الشرعية والرياضية والفلسفية عدة من علماء مصر ونبياتها - توفى في ٤ يولييه سنة ١٨٩٩

السيد صالح محدي بك

(١٨٢٧ - ١٨٨١)

كاتب شاعر ، ومعرب ومؤلف ، ولد بقرية في رجبوا الغربية سنة ١٢٤٣ هـ وتلقى العلم
في مكتب حلوان من المكاتب النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، ثم في مدرسة الألسن -
فأثنى علوم اللغة العربية ، ودرس الفرنسية ، ومهر في الصريب على يد أستاذه رفاعة بك رافع

الطيطاري ، وبعد أن تخرج في مدرسة الألسن التحق بقلم الترجمة ، وتخصص في تعريب
كتب الرياضيات ، ثم انتقل إلى مدرسة المهندسة ، وتولى بها تدريس العربية والفرنسية
والترجمة - وعرب كثيراً من الكتب الرياضية وكانت كلها تدرس في المدارس ، وله غير
ذلك من الكتب التي نجل عن الحصر ، كما يقول عنه العلامة علي باشا مبارك (انشط ج ٨
ص ٢٢) ، وبعد أن قضى عشر سنوات بتولى التدريس في مدرسة المهندسة انتقل إلى
ألاي الهندسي والكورجية ، وتولى ترجمة وتصحيح ما يعرب من الفتون الحربية ، وانتقل إلى
عهد إسماعيل إلى قسم الترجمة للمستجد ، واشترك في ترجمة (الكود) قانون نابليون ، وتولى هو
تعريب قانون تحقيق الجنابات ، واستمر يرقى في للتصحيح حتى جعل سنة ١٢٨٧ هـ مأموراً
لإدارة المدارس ولما أُنشئت المحاكم المختلطة عين قاضياً بمحكمة مصر المختلطة ، وشغل هذا
للتصحيح حتى توفى سنة ١٨٨١ ، وكان شاعراً أديباً ، له ديوان شعر كبير طبع سنة ١٣١٢ هـ ،
وله مقالات أدبية في مجلة (روضة المدارس) ، ووضع كتاباً لم يطبع في ترجمة حياة رفاعة بك
والجسم (حلية الزمن بمناقب خدام الوطن) ، وقد أحصى العلامة علي باشا مبارك مؤلفاته
وترجمته بلغت خمسة وستين كتاباً ورسالة ، وكتب يده من لكراريس ما لا يدخل تحت
حصر

إبراهيم بك مروي

(١٨١٧ - ١٨٦٦)

شاعر أديب ، أدرك أوائل عهد إسماعيل ، وهو من تلاميذ رفاعة بك ، ترقى بالخرطوم
سنة ١٨٦٦ ، وله ديوان شعر جمعه محمد بك سعيد أمين جعفر مظهر باشا حاكم السودان
وسماه ، الدر البهي المسوق ، بديوان إبراهيم بك مروي ، طبع بيولاق سنة ١٢٩٤ هـ

أبو الوفاء نصر اللوزي

(توفى سنة ١٨٧٤)

من خرجي بمنازل محمد علي ، وكان يجيد الفرنسية ، وله كتاب المطالع النصرية
للمطالع المصرية في الأصول الخطية ، وكتاب : سلية المصاب على فراق الأحباب :

بقية أعلام الأدب

وثمة أدباء آخرون مثل الشيخ محمد قطب المعوى أحد كبار الأساتذة و مدرسة الألسن ، وقد أدرك أوائل عصر إسماعيل ، والشيخ أحمد عبد الرحيم الأستاذ بمدرسة الألسن ، والشيخ مصطفى سلامة ، وكلاهما من محرري الوقائع لمصرية ، والشيخ إبراهيم عبد النصار المتوفى كبير مصححي الكتب العلمية واستاد المشرق (بين) والمتوفى سنة (١٨٨٣) ، وإبراهيم بك النفاذ أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني ، وكان يكتب في جريدتي (مصر) و (التجارة) ثم في (مرآة الشرق) وغيرها من الصحف والوقائع الشعر الادب وعبد أهدى عبدالرازق المتوفى سنة ١٨٧٣ (١٢٩٠ هـ) عرب كتاب (غايه الأرب و حلالة تاريخ العرب) للمير سليم طبع سنة ١٢٨٩ هـ . والشيخ حمزة فتح الله وقد بدأت كتابته اللغوية تظهر في ذلك العهد ، وأمين بك فكرى محل عبد الله باشا فكرى ، وعمل بك مهمى رفاعة محل رفاعة بك ، وأحمد بك ضحى ناظر مدرسة رأس التين . وتادرس أفندى وهى (بك) . وعبد أفندى فى ، وعبد السلام أفندى سلمى . والشيخ عثمان ملوخ ، وهؤلاء ظهرت باكورة آثارهم الأدبية في مجلة (روضة المدارس) .. إلخ . إلخ .

علماء الهندسة والرياضيات

على باشا مبارك . مصطفى هجت باشا ، محمد مظهر باشا . أحمد فايد باشا ، حسين باشا مهدي المهار ، أحمد بك السكى . حسن بك نور الدين . وهؤلاء قد ترجمنا لهم في ١ عصر محمد على ، ص ٥١٥ وما بعدها (من الطبعة الأولى) .
حسن حسى باشا وقد ترجمنا له في الكتاب الحالى ص ٢٥٣

محمد باشا الفلكي

(١٨١٥ - ١٨٨٥)

هو محمد باشا حمدي الفلكي ، أنجب من أنجبهم مصر الحديثة في الفلك والرياضيات ، ولد سنة ١٢٣٠ هـ - ١٨١٥ م ببلدة الحصنة بمديرية الجفرية ، وصى أخوه بتريته وأدخله مدرسة الإسكندرية التي أنشئت سنة ١٨٢٤ في عهد محمد على ، فارتقى إلى رتبة بلوك أمين ..

محمد صفوت الساعاتي

(توفى سنة ١٨٨٠)

شاعر أديب ، توجه إلى البحار ، فأكرم أمير مكة مثواه ، وأبقى عنده مدة ثم عاد إلى مصر والتحق بالبنية ، وعرف بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، وإن لم يتركه ، وله ديوان مطبوع سنة ١٩٢٢

محمد عارف باشا

تم من أفاضل علماء ذلك العصر وأدبائه في اللغتين العربية والتركية ، وقد تجلّى ميله إلى العلم والأدب في إنشائه جمعية المعارف التي سبق الكلام عنها .

أحمد بك عييد

(توفى سنة ١٨٨٠)

من بوايع خريجي مدرسة الألسن ، ورئيس قلم الترجمة بوزارة الحرية ، وله تراجم في العود الخيرية والرياضية ، وترجم عن الفرنسية تاريخ بطرس الأكبر ، وكان وكيلاً للمحكمة التجارية بالقاهرة ، ثم قاضياً بمحكمة الإسكندرية المختلطة سنة ١٨٧٥

خليفة أفندي محمود

من خريجي مدرسة الألسن ، ومن أنجب تلاميذ رفاعة بك ، التحق بقلم الترجمة وصار رئيس القسم الخاص بترجمة التواريخ والأدبيات في هذا القلم ، وله تراجم كثيرة في التواريخ منها (إنحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا) وهو مقدمة لتاريخ الأباطور شارلكان الذي عربيه بعنوان (إنحاف ملوك الزمان بتاريخ الأباطور شارلكان) لروبرتسون ولم الموزج الإنجليزي في ثلاثة أجزاء طبعت سنة ١٢٦٦ هـ ولأدرك أوائل عصر إسماعيل وتوفى سنة ١٢٨١ هـ (٢٥) (١٨٦٤)

(٢٥) كما جاء في معطى التوفيقية ج ٨ ص ٢٣

علماء الهندسة والرياضيات في عصر ابن الخلد

وكان آخره قد سبقه إلى دخول هذه المدرسة وتخرج منها ضابطاً في الأسطول . ثم تخرج إلى مدرسة الهندسة عصره ، بعد أقرانه من التلاميذ في العلم والذكاء وحسن الاستعداد ، وتخرج من المدرسة سنة ١٢٥٥ هـ وكان من أوائل التاجين . معين "سار" مساعداً للعلوم الرياضية بها ، وقال رتبة ملازم ثان ، وكان من تلاميذه وفند على مريد (باشا) . وبقى يتولى التدريس بالهندسة ، وتعلم اللغة الفرنسية واستطاع أن يعرب بعض الكتب الفرنسية في الرياضيات ، وأعد يقين من ذلك الحين دراسة العلوم الفلكية في المزايدات التي وضعها كبار علماء الفلك بفرنسا ، ويدرس هذه العلوم لتلاميذ الهندسة ومن تلاميذه فيها إسماعيل (باشا) الفلكي ، وابنكر وضع التقويم السوية ، فوضع تقويميا لسنة ١٢٦٨ هـ تدرى فيه بين التواريخ المجرية والبلادية والقسطية ، وبين مواقع الشمس والقمر لثلاث السنة . وعرف بين الناس من ذلك الحين بلقب (الفلكي) ، الذي لاربه طول حياته .

وفي سنة ١٢٦٦ هـ (منتصف سنة ١٨٥٠) اعتزم عباس باشا الأول إعادة تنظيم رصدخانه بولاق (دار الرصد) المنشأة في عهد محمد علي ، فاختار ثلاثة من نوابغ المهندسين إلى باريس للتخصص في الفلك ، وهم المترجم وكان مقررا بالهندسة وحسين أفندي إبراهيم ، وإسماعيل مصطفى الفلكي ، وكانوا قد أتموا دراستها بالفرنسية . فسافروا إلى أوروبا سنة ١٨٥١ هـ ومكث المترجم نحو تسع سنوات مكيا على استكمال العلوم حتى نبع في الرياضيات والفلك

وكان يواصل الحصول بدار الرصد في باريس ، وزار عدد الرصد في مختلف الواسع بأوروبا ، وظهر نبوغه هناك بإدخاله بعض إصلاحات في الآلة السماء بالتبديد ، ونشر بعض مباحث فلكية في المجلات الأوروبية ، ووضع أثناء دراسته يلويس الرسائل الآتية

١- رسالة عن التقويم الإسلامية والإسرائيلية طبعت سنة ١٨٥٥ ببروكسل .
٢- رسالة عن التقويم العربية قبل الإسلام حقق فيها موكده التي عليه الصلاة والسلام ونشرت في المجلة الآسيوية ثم عرّبها الأستاذ أحمد زكي (باشا) بعنوان (نتائج الأبحاث في تقويم العرب قبل الإسلام)

٣- رسالة عن فعل (كان)

٤- رسالة عن المواد المتطايرة الأرضية قدمها سنة ١٨٥٦ إلى المجمع العلمي بفرنسا وقال : " جمع أعظم الشهادات العلمية " ثم عاد إلى مصر في عهد سعيد باشا سنة



١٨٥٩ . فأقيم عليه جرتبة أميرالاي ، وعهد إليه وضع خريطة مفصلة للنظر المصري فاصطلح بهذه المهمة وشرع في تخطيط تلك الخريطة بمعاونة بعض المهندسين . ورتب . . . وأبرر من جليل صنعه وجليل وضعه لما اتسرت منه العقول ووقفت على مقدار براعته ، فأخذ خريطة جامعة للوجه البحري لم يسبقه إليها أحد من العلماء والمهندسين ، ووضع خريطة أخرى للوجه القبلي ، وأخرى عن مدينة الإسكندرية .

وفي سنة ١٢٧٦ هـ عهد إليه سعيد باشا بالرحلة إلى دققة لملاحظة كسوف الشمس الكلي ، فأدى هذه المهمة ، وانجز هذه الفرصة فحقق الواقع الفلكي على النيل ، ووضع رسالة مسهبة عن هذا الكسوف قدمها إلى سعيد باشا وإلى أكاديمية العلوم بباريس قالت استحسان العلماء .

وخبط معالم الإسكندرية القديمة ، ونقب في خفاياها ، وهو أول عالم مصري كشف عن آثار الإسكندرية وموقع سورها القديم ، وله في ذلك رسالة يدوية باللغة الفرنسية عن الإسكندرية القديمة طبعها سنة ١٨٦٦ ، وهي رسالة تتضمن نتائج مكشفتها وما قام به من النقب والخفر ، وما وصل إليه من كشف معالمها القديمة ، كأنسوارها ، وشوارحها ، وأقبعتها ، ومراسمها ، ومنقحها ، ومكبتها الشهيرة ، وقصورها ، ومبانيها ، وضواحيها ، ولم يسبقه إلى هذه المكشفات المؤسسة على عمليات الخفر عالم مصري من الأفرنج ، لأن مهندسي الحملة الفرنسية لم يكن لديهم الوقت ولا الوسائل الكافية للحرر والتنقيب^(٢٦) ، وقد عثا ثنائ منهم في مواقع الإسكندرية ، أولها المسيو سان جنيس Sciaï genis أحد مهندسي الحملة ، وله في الإسكندرية القديمة بحث مستفيض منشور في الجزء الخامس من كتاب (تخطيط مصر) Description de L'Egypte ولكن المسيو سان جنيس لم ينقب ولم يخفر الأرض كما فعل محمود باشا الفلكي . بل اكتفى بذكر نتائج مشاهداته وآرائه التاريخية ، وكذلك كتب المسيو جرييان نوبير Griseau Lepere عما في وصف الإسكندرية بشرق الجزء الثامن عشر . فخصر فيه على تدوين مشاهداته وما نقله عن مؤرخي الأفرنج والعرب ، والمسيو جرييان Norry والمسيو مارتان Martin وكلاهما من مهندسي الحملة الفرنسية فكان أول أهميه من . . .

(٢٦) عن رحمة حياته بقلم إسماعيل بك (باشا) الفلكي والأميرالاي محمد عتار بك (باشا) في حاضرة أقباطها بالمسيب خربية ليلة ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ونشرت في مجلة الجمعية جريدة ٢ عدد ١٢ (٢٧) من كتابها تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١٦٦ (طبعة أول)

سان جنيس وجرييان نوبير ، منشور في الجزء الخامس عشر من كتاب (تخطيط مصر) وكل هذه المباحث لم تكن مقرونة بأعمال الخفر والتنقيب .

لمحمود باشا الفلكي هو أول عالم مصري خبط معالم الإسكندرية القديمة ، على ما كشفت له أعمال الخفر تحت الأرض ، وقد بدل في مكشفتاته جهوداً كبيرة . وكان تحت مرته جماعة من المهندسين المصريين ، ونحو مائتي عامل يشغون في النقب والخفريات ، ومما أفرد عمله وميزه أنه استثار الأرض في عهد الخديو إسماعيل باشا . أي قبل أن تعطي لملائي الحديثة ، وتضيق معالم الآثار ، فهو أول من سطت سور البطالة القديم لتخطيطاً مباحاً على الاكتشاف والنقص الدقيق .

ورسالة محمود باشا الفلكي مقرونة بخريطة هي أبعد ما رسمه العلماء والمهندسون عن الإسكندرية القديمة ، وإليها يرجع علماء أوروبا في أبحاثهم .

وقد خالف علماء الحملة الفرنسية في بعض آرائهم . فعين لمدينة (كاتوب) مكاناً غير الذي عبوه ، وكشف أطلال مدينة نابوريريس (برصير - غربي الإسكندرية) التي يسمى الفرنسيون برجها برج العرب .

وله رسالة ممتدة في التوضيح عن عمر الأهرام والفرض الأصلي من تشييدها ، وتناسيها مع كوكب الشعرى ، وأخذ بنفسه مقياس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكي .

قال الأميرالاي محمد مختار بك (باشا) في هذا البلد : «وكت موجوداً معه عند شروعه في أخذ مقياس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكي ، وأعلم علم اليقين أنه وصل إلى معرفة العرص من تشيدها ، إذ وجدها محكمة البناء في رسم يقابل كوكب الشعرى عند طلوعه ، فكان الذي بناها قصد أن يجعلها مزولة ليعرف بها يوم شم تسم العلماء ، وكذلك لأجل تزيين جثث المدفونين فيها لموافاة صعود الكوكب المذكور ، فيسبح عليهم من آياته رحمة وعرفانا ، لأن كوكب الشعرى كان من معبودات المصريين القدماء »

وله رسالة في التثنية بارتفاع النيل قبل وقوعه ، وأخرى عن ضرورة إنشاء دار الرصد بمصر ، وأخرى في توحيد موازين العملة في الديار المصرية ، ورسالة في القاييس والمكاييل في مصر ، وترجم كتاب (حساب التفاضل والتكامل)

وعين سنة ١٨٧١ ناظراً للمدرسة للمهندسة ، وتولى نظارة الرصدخانه ، وإدكان وكيلاً للجمعية الجغرافية ، فقد ناب عن الحكومة المصرية في المؤتمر احمراي الذي عقد بباريس سنة

عهد إليه بطاقتها ، وقد عهد إليه دراسة مشروع سكة حديد سواكن - برون ماسود .
فصله ووضع تصميمها له ، ولكنه لم يشد ، ونائب عن الحكومة سنة ١٨٧٣ في مؤتمر الإحصاء
الدولي بوسكو ، فأعجب العلماء بكفاءته وسعة اطلاعه ، وتولى نظارة الرصدخانه ونظارة

مدرسة الهندسة

ومن أمثاله أن أصلح مقياس النيل في أسوان سنة ١٨٧٠ ، وله مؤلفات في لذلك

وربما يصيات أهمها

١ - الآلات الناهرة في النجوم الزاهرة ، طبع ديلا لحلة روضة المدارس .

٢ - الدرر لتوفيقه

٣ - تقاويم طليقة كان يشرها كل عام بالحرية والفرنسية

٤ - وصحة المرضية في اللقايس والنوازين القوية معربة عن الفرنسية شاركة في تحريرها

صاحبه بك شمس .

سلامة باشا

هو سلامة باشا إبراهيم ، مفتش هندسة الوجه البحري ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي ،
ثم مفتش صوم ديوان (وزارة) الأشغال ، وهو من كبار المهندسين في ذلك العصر ، وأصله
من الإسكندرية وأبوه السيد إبراهيم شراييه من صالح شراييه من مال القبر (٢٨) ، وله آثار
شاهد له بالكفاءة في الأعمال الهندسية ، منها أنه أنشأ نزع الساحل ، وكان وقتئذ وكيلًا لظهير
باشا مفتش عمر الشرق (مرج دਿਆد) على عهد سعيد باشا . واشترط مع مصطفى بهجت باشا
في إنشاء نزع الإبراهيمية ، وهي من أصل غال العمران التي بنيت في ذلك العصر ، ولما
قامه فطاطر لتقسيم على النزع المذكورة ، وهي من أعظم فطاطر الذي في العالم

محمد ثالث باشا

من أمثالي القترشية بمصرية العربية ، ومن مشاهير المهندسين في عصر محمد علي وإسماعيل ،
حضر بعض المواقع الحربية على عهد محمد علي ، وعاون مصطفى بهجت باشا في بناء القناطر
الحربية . وصار مفتش هندسة الوجه القبلي ، توفي سنة ١٨٧٤

من سنة نزع حردما سلامة باشا في عام الأحد ١٥ لفرم سنة ١٣٠٠ سبعة بمسكة عصر الشريعة

٢٧٤

والذكر الميراثي الآخر الذي عهد بمدينته الهندية سنة ١٨٨١
ومن أمثاله ، يسه مدفع حقل . وثالثًا على سطح منزله (عبيد الله الكلب) مروقة نهب

سعدت البلاد . ورغب من مكها بعد وفاته

وقد تولى وزارة الأشغال سنة ١٨٨٢ في عهد وزارة إسماعيل راعب باشا ، وعين وكيلًا

وزارة الحربية في وزارة شمس ، سنة ١٨٨٢ ١٨٨٤

ثم عهد إليه بوزارة المعارف في عهد وزارة باشا الثالثة سنة ١٨٨٤ ، وتولى رئاسة

جمعية خيرية خيرية ، وهي يتولاها مع الوزير إلى أن توفي في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٥

وقد تولى الجمعية الخيرية الخيرية في اجتماعها يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ، وألقى كل من

إسماعيل بك مصطفى الكلب والأمرالي محمد عسكر بنت محصورة في ترجمة حياته وآثاره .

والنوح الأميرالي محمد عسكر بك افتتح مكتبة الترجمة ، وما فيها من عتاس الكتب ،

وما سطره وما دونه من ملاحظاته ومعلوماته ، وتنوع استعاراته العلمية ، وكان الترجمة يتكرر في

عداد قاعة عامة للمعاملة مدرة يحرص فيها كل يحرص من محبي الإطلاع كل ما وصل إليه من

عتاس الكتب والمخطوطات والمطبوعات ، وقد تحققت هذه الفكرة سنة ١٩٢٩ ، إذ وهبت

مكتبة مكتبة القيد إلى الحكومة .

إسماعيل باشا الكلب

(توفي سنة ١٩٠٩)

هو إسماعيل باشا مصطفى الكلب ، من تلاميذ محمود باشا الكلب ، ومن رايح علمه
الزراعيات وملك . ثم درسه في مدرسة الهندسة ببولاق والتحق سنة ١٨٤٥ على عهد
محمد علي بالرصداخانه القديمة التي كانت ببولاق ، ثم أوقده عتاس الأول سنة ١٨٥٠ ضمن
البحر التي تخصصها لدراسة الفلك ، وكانت مؤلفة من محمود حمدي (باشا) الكلب ، ومن
الترجم وحسين ، الذي إبراهيم ، ومكث إسماعيل أربعة عشر عامًا في فرنسا يدرس علوم
الفلك . وتعلم فيها ، وتلازمها في دور الرصد ، فصار يتقن هو ومحمود باشا لقب
(الفلكي) ، ومارس أيضا صناعات الآلات الفلكية ، وأنشأ في باريس ، وعاد إلى مصر في
أوائل عهد إسماعيل ، فقدر كفاءته وأتم عليه بالرة الداية ، ولما أنشأ الرصدخانه بالعباسة

إسماعيل باشا محمد

ناظر قلم الهندسة ورئيس إدارة دروس المدارس الملكية ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي .
واشترك في إتمام ترعة الإبراهيمية وقناطرها ، وهو الذي صار رئيس مجلس شورى القواحي
سنة ١٨٩٩ .

أحمد بك نجيب

أستاذ الرياضة بمدرسة أركان حرب والطوبجية ، وله كتاب (التحفة البهية في الهندسة
الوصفية) ، طبع سنة ١٢٩٠ هـ .

حسين أفندي علي التلجك

مدرس الحساب بمدرسة الخاسبة ، وله كتاب قيم في مسك الدفاتر اسمه (حدة الحساب
ومعدة الكاتب) طبع سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) وله كتاب (عمل الدولتين المتواتر في بيان
رموز الدفاتر) طبع سنة ١٢٩١ .

علي أفندي عزت

أستاذ العلوم الرياضية بالاهتمام بالهندسة ، توفي سنة ١٨٧٢ وله كتاب (حسن الصناعة في علم
الطبيعة) طبع سنة ١٢٧٠ هـ ، و (النجاة النزية في تهذيب الأصول الهندسية) طبع سنة
١٢٧٤ و (الخلاصة العربية في تهذيب الأصول الحسابية) طبع سنة ١٢٨٥ .

عامر بك سعد

أستاذ الرياضيات بالمدارس الحربية ، وله (النجاة القهرية في الأعمال الحربية) طبع سنة
١٢٦٩ هـ ، و (أحسن الوسائل لتصريف السوائل) طبع سنة ١٢٩١ ، وهو ملخص القواعد
النظرية في تصريف المياه من البحيرات والخدود

السيد حمادة

من تلاميذ رفاة بك ، وله كتاب (تهذيب العبارات في من أجد المساحات) عربي من
العربية بإرشاد رفاة بك

علماء الطب والجراحة

محمد علي الفيل باشا ، أحمد حسن الرشيد بك ، محمد الشامي بك ، حبيب عوف
باشا . هؤلاء قد ترجمنا لهم في عصر محمد علي ، من ٥٢١ وما بعدها (طبعة أول)

محمد حري باشا

(١٨٤١ - ١٩٠٠)

كبير الجراحين في عصره ، ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٢ هـ ، وأبوه السيد عبد الرحمن أحمد
من محلة أبي علي القنطرة (غربية) ، تلقى التعليم الابتدائي والثانوي ، ثم التحق بمدرسة
المهندسخانة في عهد نظارة علي باشا مبارك ، لكنه كان ميالاً إلى الطب ، فمارال يسمى في
الانتقال إلى مدرسة قصر المعيني حتى وفق إلى غرضه سنة ١٢٦٩ هـ ، والتحق بها . وأكب
على الدراسة ، ولحق في الامتحان السنوي ، ولكن سعيد باشا أمر بإلغاء مدرسة الطب وأخرج
متي تلاميذها ، فكان المترجم ضمن من أُلحقوا بإحدى الأورط العسكرية في الجيش ، فلم
يتسرب اليأس إلى نفسه ، وأخذ يجمع بالإطلاع على المعلومات الطبية ما استطاع . ذلك
سيلا . واشتغل عرضاً في الجيش ، وظل كذلك إلى أن أعاد سعيد - فتح مدرسة طب .
فعاد إليها المترجم ، وأتم دراسته بها ، وظهرت عليه علام الدكاء والبرق . فنج مساعداً
ومعيداً للجراحة بالمدرسة

وفي سنة ١٢٧٩ هـ رعد سعيد باشا بعد من لأطباء لإتمام دراسته في باريس مؤتمه من
الأطباء محمد بك فوزي ، ومحمد بك عامر ، وقاسم بك فتحي ، ومحمد بك الفتاوى . وعلى
بك رياضي ، ومحمد بك دهران ، وعقبانوي أفندي ، والمترجم ، وكان أصغرهم سناً . وقد
استدعت الحكومة هؤلاء الأطباء في أوائل عهد إسماعيل ، قبل تمام دراستهم . لاحتياج

علماء الطب والجراحة في عصر اسماعيل

حكومه إليهم ، فرجعوا إلى مصر ، عاد المترجم فقد استقر بهم لمصر سنة ، فأكمل معارفه الطبية وأتم دروسه على أشهر جراحى العالم وقتئذ ، وبقى يوالى الدرس واتخصص في باريس بحوسب سوات ، وتبع في الجراحة بوعاً عظيماً ، شهد له به أساتذته ، وفي خلال هذه المدة قابل الحيدري إسماعيل في باريس ، فتمسك به فطفه وورعاه ، إذ سمع من أساتذته الثناء المستطاب على كفاءته واجتهاده .

وعاد المترجم إلى مصر ، ففقد الناصب الطبية ، وأهم ما نقله من كتب كبر الجراحين بمشقى قصر العيني ، والأستاذ الأوب للجراحة بمدرسة الطب ، وأنهم عليه بالرتب إلى أن نال الباشوية سنة ١٣١٥ هـ ، وسطح لجمه في الجراحة ، وفقدت شهرته فيها حتى عمت أرجاء البلاد ، وبلغ ذروة الشهرة بما عرف عنه من النجوى في فنه ، والمهارة في إجراء العمليات الجراحية الخطيرة ، والدقة في تشخيص الداء والدواء ، والتمكان في الإحلاس لعمله وفنه ، وحب الإنسانية ، والبر بالفقراء والمعوين ، هذا إلى تعلقه بالعلم والتأليف ، فقد أنشأ مكتبة علمية من أقدس المكاتب ، وألف مجموعة تشريعية من أعظم ما جمعه الأطباء ، وأنشأ لنفسه مطبعة لطبع مؤلفاته ورسائله ، سميت المطبعة القديرة ، كان يطبع فيها المؤلفات الطبية التي ظهرت في عصره ، وقد ظل مطبعاً لثنيه وللعلم حتى وافته الملية ليلة ٣٠ يويه سنة ١٩٠٠ ، وأهم مؤلفاته الطبية « بلوغ المرام في جراحة الأجسام » طبع بالمطبعة القديرة في أربعة مجلدات ، وله « الإسعافات الصحية في الأمراض الوبائية » طبع سنة ١٣٠٠ هـ

حسن بك عبد الرحمن

(تولى سنة ١٨٧٥)

تخرج من مدرسة الطب بقصر العيني ثم تولى تدريس التشريح فيها ربح في هذا الفن ، وترجم كتاب (العلل الصحيح في علم التشريح) طبع سنة ١٢٨٣ هـ بإشراف محمد علي باشا البقل إذا كان فاضلاً لمدرسة الطب



أحمد الشافعي بك



محمد علي باشا



حسن بك شامخ



علماء الفقه والقانون



عبد الرحمن بك المروای

(نور: ۱۹۰۶)

من غرضي إدارة قصر الحبي، أنم دراسة بأوروبا، وعين بعد عودته أساساً للتعليم وأراض الحبي، ثم صار وكيلاً للمدرسة سنة ١٨٨٠، وله كتاب في التعليم ج١ له طبع

علماء الطبيعيات

٥٣٤ (الطبعة الأولى)
عبد الله فدا ، عبد الحمدي إسماعيل ، وقد ترجمنا لها في كتابنا (مصر محمد علي)

مجلس

(توفی سنہ ۱۸۸۹ء)

طوق الصيداة بمصر ، وأنتم دراسته في أوروبا ، وتولى تدريس الأقران في الكليات .

- ٣ التوقيعات الأولية و التوقيع الطبيعي، طبع سنة ١٢٩٨ هـ.
٢ - الأحرار الرافضة إلى المادة العلمية سنة ١٢٩٨ هـ.
١ - النسخة الخامسة في الأعمال الأخرى طبع سنة ١٢٨٩ هـ.

مصور الفتى أحمد

نهاد الكبياء عبرية الهندسة ومؤلف كتاب (عدة التطير و فن الصيد)
المعروف بالأفرادس (طبع سنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦)

إمام

(144-147)

العالم المشرق الكبير ، ولد بملوى حوالي سنة ١٨٢٦ ، من أب أنثاسول وأم مصرية ، وتلقى التعليم الأول بكتب ملوى ، ثم التحق بمدرسة الألسن على عهد وقاعة بك رابع
الطهطاوى ، فظهر نبوغه وبيله بل العلم والترجمة ، وبعد أن تخرج فيها حصل تربيته مساعداً
لـ **واجب** . ادخل دار المعلمين سنة ١٢٩٠ هـ ، ثم انتقل إلى الأوربية . حضر
مع **أبوس** العقد بالآخر ، وأقبل على كتب الشرع بدرستها وعلمها ، وحل شعب ، فأنصب
لداشته في حكمة في أرمويه الخديو إسماعيل واختار . مرت لوقت عهده الأمير محمد توفيق ،
ثم **عبد** . **بامنه** . وحكمه التجاري بالإنكليزية . وفيه ظهر منه حزمه وعزمه ،
ومشاققة وقادة مث في تعريب الكتب (فلول دابول) وأخص خرسوس وارين الخاكم
الاصط . تهيئ . أصبح قوين غنائم الأهمه الخديده . وحصل مستار محكمة الاستئناف
والخطبة ، وله آثار عديدة عليه . أهمها كتاب الثلاثه ، عدلته الى جمع فيها أحكام الشرع

الإسلامية ، وصاحبها في مودع محكمة الوضع على أسلوب القوانين الأوروبية ، وهذه الكتب هي : (مرشد الخبير إلى معرفة أحوال الإنسان) على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في المعاملات المدنية الشرعية . وكتاب (الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية) ، وكتاب (قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف) ، وكتاب (الكلب في مرجع رجال القضاء والقانون في المحاكم الأهلية والشرعية والمختلطة) وصحيفة لكل مشغل بالعلوم الفقهية والقانونية

وله أيضا كتاب لم يطبع في (تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقا لمذهب أبي حنيفة) . وتولى وزارة الحجابة في وزارة شريف باشا الدستورية سنة ١٨٨٩ على عهد الخديو تومس باشا ، ووضع في هذا العهد مشروع النظام القضائي للمحاكم الأهلية الجديدة ، وفي سنة ١٨٨٣ التفتحت هذه المحاكم وصدرت قوانينها ، وهي القانون المدني وقوانين التجارة والمرافعات والمقبوضات ، وكان المترجم وقتئذ وزيرا للمعارف في عهد وزارة شريف باشا الرابعة . وهي الوزارة التي امتنعت احتجاجيا على إخلاء السودان .

الشيخ محمد العباسي المهدي

(١٨٢٧ - ١٨٩٧)

شيخ الإسلام ، وفقه الديار المصرية ، وصاحب الفتاوى للمهدية التي تعد مرجع العلماء في الفقه الإسلامي ، وهو ابن الشيخ محمد أمين المهدي وفقه الديار المصرية الأسبق ابن الشيخ محمد المهدي أحد كبار علماء مصر في عهد الحملة الفرنسية وأوائل عهد محمد علي (ترجمنا له في كتابنا الجزء الثاني من تاريخ الحركة القومية ص ٢٩٩ - الطبعة الأولى) .

تلقى العلم بالأزهر ، ونجح في علوم الفقه ، وتولى منصب القضاة وهو بعد في الحادية والعشرين من عمره ، على عهد إبراهيم باشا . وظهرت مزايده التي رغب مكائته ، وأظهرها الذكاء ، وسعة العلم ، وقوة الحجج ، وقد وقف من الحكومات المتعاقبة موقف الكرامة والاستمسك بالحق ، حتى استهدف في بعض المواطن لتغيب ولاية الأمر ، فلم يكن يبالي بحسبهم ، ولم يتحس عن الحق ، وتلك كبرى مزايده وقصافته ، وقد راد مقامه علوا في عهد إسماعيل ، إذ جمع بين الإفتاء ومشيخة الأزهر سنة ١٨٧١ ، وقال لإسماعيل الخديو وقتئذ ،

وكان يرجع إلى رأيه في كل ماله مفسر بالشريعة الإسلامية . وبدأ على يده إصلاح نظام التعليم في الأزهر كما تقدم بيانه ص ٢٠٨ . واستمر محافظا على مكانته في عهد الخديو تومس ، ولما قامت ثورة العربية لم يكن من أنصارها . واستهدف لمصعب العرابيين ، وحرص على مشيخة الأزهر ، ولما انتهت الثورة أعيد إلى مشيخة الأزهر واستمر متقلدا الإفتاء والبطانة حتى عزل عنها لمعارضته الحكومة على عهد توفيق باشا فيما يخالف الشريعة ، ثم عاد إليه . لا يفتي بحرف ولا بدع . إلى أن وافته منيته ليلة ١٦ رجب سنة ١٣١٥ هـ .

• • •

ومن علماء الفقه المدعوين في هذا العصر : الشيخ محمد عيش ، والشيخ إبراهيم الشافعي ، والشيخ عبد الرحمن البحراوي ، والشيخ حسونة النواوي إلخ

علماء القانون الطرية والبحرية

على باشا إبراهيم ، حماد عبد الحافظ باشا ، وقد ترجمنا لها في كتابنا (عصر محمد علي) ص ٥٣٠ (الطبعة الأولى) .

محمود باشا فهمي

(توفي سنة ١٨٩٤)

أحد زعماء الثورة العربية ، ولد سنة ١٢٥٥ هـ في الشنطور بمركز بيا من مديرية بني سويف ، وتخرج في مدرسة المهندسخانة ببولاق ، ومارس الفنون الهندسية والحربية وانتظم في سلك الجيش ، ثم جعل أستاذا لعلم الاستحكامات والقانون العسكرية في المدارس الحربية ، على عهد سعيد وإسماعيل ، وعهد إليه الخديو إسماعيل بتحصين شواطئ مصر الشمالية من أبو قير إلى البرلس ، فاصطلح بهذه المهمة ، وسدد الحصون القديمة ، وأقام حصونا جديدة ، وارتقى في الرتب العسكرية ، واشترك في حرب البلقان سنة ١٨٧٦ - ١٨٧٧ ، وكان من أركان حرب الفرقة المصرية بها .



محمد مختار باشا
(١٨٣٥ - ١٨٩٧)

من رجال السيف والقلم ، ولد في بولاق سنة ١٨٣٥ ، تلقى العلم الابتدائي ، ثم تلقى الفنون الحربية ، وانتظم في خدمة الجيش وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وارتقى في المناصب العسكرية حتى تولى رتبة لواء في سنة ١٨٨٦ ، واشترك في حملة مصر كما تقدم بيانه ص ١٤٠ ، ثم جعل رئيس أركان حرب الجيش المصري بالسودان ، وعين مأموراً للمحافظة الحديوية في عهد الخديو عباس حدى الثاني ، وبقى يتولى هذا المنصب إلى أن تولى في ٢٠ نوفمبر ١٨٩٧

وقد أسفت عليه حياته العلمية منزلة ممتازة ، وبحسب من المؤلفين والعلماء أكثر مما يعد من رجال الحرب ، وحديث أنه صاحب الكتاب القيم (التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ هجرية بالسني الإبراهيمية ولقبطة) من السنة الأولى للهجرة إلى عام ١٥٠٠ هـ طبع سنة ١٣١١ هـ

وقد ذكر إزاء كل شهر أهم الحوادث التاريخية التي وقعت في مصر والعالم - وله كتاب (المجموعة الشدية في عمم الجغرافيا) ورسائل أخرى في الرياضيات والفلك ، ومقالات بمجلة في مجلة الجمعية الجغرافية



محمود باشا فهمي
(تولى سنة ١٨٩٤)

ولما شبت الثورة العراقية كان من رحائبها كما سيحيى بيته في موضعه من كتاب (الثورة العراقية) ، وتولى وزارة الأشغال في وزارة محمود باشا سليم البارودي سنة ١٨٨٢ ، وأسر قبل واقعة التل الكبير ، فكان أسره من أنساب حركة الجيش المصري ، وحكم ضمن زعماء الثورة ، ونفى إلى سيلان ، وهناك وضع كتبه (البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر) ، وتوفي في منفاه سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٤) وبطلان طبع كتابه سنة ١٣١٢ هـ في أربعة مجلدات

شحاتة عيسى بك

ناظر مدرسة أركان الحرب في عهد الخديو إسماعيل

محمد صادق باشا

(تولى سنة ١٩٠٢)

من تلاميذ مدرسة الخانكة الحربية المنشأة في عهد محمد علي ، وس أعضاء اللجنة الخامسة ، عاد من البعث مهندساً وانتظم ضابطاً في سلاح الجيش ، وهو الذي وافق سعيد باشا في رحلته بالحجاز ، وعين مكشاً بمصلحة المساحة برئاسة استون باشا ، وله بحث قيمة في مجلة الجمعية الجغرافية .

سليمان قبردان حلاوة

(تولى سنة ١٨٨٥)

من المتوفية ، ولد سنة ١٢٣٥ هـ وتخرج في مدرسة الطوبجية على عهد محمد علي ، وحقق الفنون الحربية والرياضية ، وجعل أستاذاً للهندسة والحساب بالمدرسة البحرية القديمة ، ومهر في الفنون البحرية وقضها ، وصار رباناً للباخرة سمود ، فأظهر براعة في قيادتها ، وطافت بها حول القارة الإفريقية ، وجعل في عهد إسماعيل سنة ١٨٧٠ ملحقاً للفنون الحربية والهندسية ، فأعاد للتلاميذ فوائد جمة ، وألف في الملاحة كتاباً اسمه (الكوكب الزهر في فن البحر الزاخر) وتولى سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م

الهيئة الفنية

إن الهيئة تسمى تشمل على الطهر المعروفة بالفنون الجميلة . وهي الفنون التي تستلزم في النفس إحساس الجمال ، وتسمى فيها ملكته ، ولا مرأه في أنها من هوامل هيئة الأمة ، لما تنتج من تهذيب القوموس ، ونشاط العقول ، وترقية المواطن . وتوسيع المدارك ، وتفتح

لأذهان إلى دقة الملاحظة . وصواب النظر

والكلام عن الفنون الجميلة يتناول الموسيقى أو الغناء . والتخيل . والرسم ، والتصوير ، والنقش والزخرفة والعمارة

أما الرسم فقد بدأت مدارس الهندسية والصناعية والبيئات تعني به من عهد محمد علي ، فتخرج فيها طائفة من الرسامين تولوا تدريس الرسم في المدارس العالية والثانوية ، والابتدائية ، ولكن نهضة الرسم والتصوير لم تثل سطاً من الازدهار في ذلك العهد . وتخرج في مدرسة الهندسة والبيئات مهرة المهندسين في النقش والبناء ، وتقدم في المهرة بما أقامه أولئك المهندسون من القصور والمساجد والدواوين والعمائر الجميلة التي تشهد لهم بحسن الذوق والخلق في هندسة البناء ، وظهور أيضا حذقهم فيما شيدوه من القناطر على النيل والرياحات والترع الكبرى ، فإن بعض هذه المنشآت تعد قطعة من لص

التخيل والغناء

كان المجتمع في عصر إسماعيل ميالا إلى المرح والخيول ، وكان إسماعيل ذاته طويلاً ، عجباً للتمتع بالملهي والمسرات ، وهذه لذيول هي غناء للبهجة القية وخاصة الغناء (٢٩)

أما التخيل فقد ساعد إسماعيل الناحية الأوروبية منه ، ثم بدت منه العناية غلبة الجدوى إلى التخيل العربي ، فأنشأ أول ما أنشأ بالقاهرة مسرح (الكوميدي) بالأريكية ، وكان الشروع في بنائه في نوفمبر سنة ١٨٦٧ واحصل بافتتاحه في ٤ يناير سنة ١٨٦٨ (٣٠) ثم بنى دار الأوبرا سنة ١٨٦٩ مناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس ، وتم بناؤها في خمسة أشهر ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ ألف جنيه . ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ أول أوبرا واسمها (برجوليتو) ، وكانت الأميرة أوجيى حفلة نابليون لثالث في مقدمة من شهدوا «تخيل» في تلك الليلة ، وعهد إسماعيل إلى الموسيقار الإيطالي الشهير (فردي) أن يصح أول أوبرا مصرية تمثل بدار الأوبرا ، فقام بهذه المهمة ووضع العلامة الفرنسي مارييت باشا موضوع الرواية ، وهي رواية

(٢٩) الغناء والموسيقى على واحد

(عائدة) ، ومثلت بالقاهرة لأول مرة في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧٦ . مثلت نجاحاً عظيماً ، وحظيت بالحكومة من ذلك الحين الجوائز الإفرنجية وأخذت حباً الأموال والفت ، فبلغ ما صرف على فرد إحدى الحفلات في شتاء سنة من سق إسمايل ١٢٠ ألف جنيه ، ولا عربة في ذلك فإن المثلثة الواحدة كانت تأخذ أحياناً ألف ومائة جنيه في الشهر وأشيء في الإسكندرية مسرح (زينا) ، ومسرح آخر اسمه Albert شارع

سقاى

وقد ولد على مصر حوالي سنة ١٨٧٦ جماعة من الأديباء والمثليين لسوريين ، منهم يوسف خياط ، فتلوا على مسرح زينا بعض الروايات ، ثم انتقل يوسف خياط بجوته إلى القاهرة سنة ١٨٧٨ ، فلقى تصديداً من الحديدي إسمايل ، وأذن له أن يمثل رواياته في دار الأوبرا ، فمثل رواية الظلوم ، وحضرها الحديدي ، فلم يرقه أسلوبها ، وغضب مما يحملها من ذكر الظلم والتعريض بالظالمين . إذ ظن أنه المقصود بهذا التعريض ، فأمر بإخراج الخياط وجوته من مصر فسادوا إلى سوريا ، ووقفت البهجة الخيلية في عهد إسمايل عند هذا الحد .

الموسيقى (الفناء)

مرت روح البهجة والتجديد إلى الموسيقى والفناء ، فقد كان الفنانون يتبعون إلى ذلك العهد الأساليب والتوشيح القديمة ، حتى ظهر (عبد الحمول) المسمى الشهير ، فألهته حبه للموسيقى بإصلاح هذه الأساليب وإدخال روح العصر والتجديد فيها



عبد الحمولي

عبد الفناء في عهد إسمايل

ولد عبد الحمول في طنطا حوالي سنة ١٨٤٥ ، أي أنه استقبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، عصر التجديد الاجتماعي ، فحين فيه لواء النهضة الفنائية ، وهو ابن تاجرين في طنطا ، وكان له أخ أكبر منه سناً ، وكان أهما يقسو في معاملتها ويسمى إليها بالفقر والاضطهاد ، فلم يطيق صبراً على هذه العظلة ، ففر من عنده وسارا هائمين في الأرياف ، صاقتها المصادفة إلى رجل يشتمل بالبناء ويعرف على القانون ، فسمع صوت عبده ، فأطربه وأعجب به إعجاباً كبيراً ، وعاد به إلى طنطا ، وهناك أخذ ينفق معه ، ثم جاء به إلى مصر ، لما أن سمعه عبر الطرب حتى اجتذبهم بصوته الجميل ، وظهرت عليه علامة السجى للموسيقى فترك صاحبه وأستاذة القديم ، وانتقل إلى من مشهور اسمه (الشيخ المقدم) فاشتغل على فنه ، وأخذت شهرته تزدج في الأوساط الاجتماعية ، وبدأ يتنكر أساليب جديدة في الفناء نالت إعجاب أهل الفن وعشاق الطرب ، وبلغت شهرته الحديدي إسمايل فاجتذبه وألفه بحبه ، وكان ذلك فاتحة مجده ، إذ أنصب فيه الحديدي صوته الجميل ، فآخذه بديه في حملاته وسهراته ، وأغنى عليه الهبات والمطايا ، واصطاحه في رحلاته إلى الاسكندرية ، وهناك التقى عبده بالموسيقين الترك وسمع ألحانهم ، فاقبض منها ما يلائم الروح المصرية ، وابتكر في الفناء ألحاناً جديدة هي مزيج من الموسيقى العربية والتركية ، فصار رعي المجددين في الموسيقى

مصرية . واسمها ياديس النساء وسكن بالمر وبطرب الدس حـ . ولا عرو فهو
بليل الصدايح الذي كان يحرك أوتار القلوب بصوته الطيب . وأحد ، ليديمة ، وأنغامه
الحميلة . وقد ظل ثلاثين سنة وثيقاً مصلو السرور والطرب ، للأفراد ، جمعت ، وكان دقيق
لمزاج دمى الأخلاق ، ككرم الصانع ، عزيز النفس ، غفصاً له يوماً به . وهذا هو
سر نبوغه وعبقريته ، وكانت وفاته سنة ١٩٠١

واشتهر في عصره بعض السيدات في الغناء ، منهم (نئاس) الممثلة مشهورة ، وقد تزوج
بها عبده ، وضعها من الغناء في مجالس لناس ، وكانت له من أحسن دود حادثة استهتف فيها
لنفسه إسماعيل ، إذ طلب يوماً أن تحضر (نئاس) إلى قصره وتغني به ، فرفض عبده أن
تذهب ، فغضب الخديو ، وأمر بإحضارها قوة واعتدلاً ، فاستسلم عبده ، وأصر على
الإبقاء ، ووسط الشيخ علي اللقي شاعر الخديو في الأمر ، وانتهت الحادثة بدول الخديو عن
طلبه

وفي هذا العهد بدأ محمد العقاد ، الموسيقى المشهور ، أقدر من صرب على القانون ، في
المصر الحديث ، وقد أدرك عصر إسماعيل ، وإن كانت شهرته لم تكمل إلا من بعد ،
وصحب عبده الخانوي ، وحاكاه في توقيعه وأنغامه .
وصفوة القول أن عصر إسماعيل كان للبهجة العاتية عصر الإحياء والتجديد ، وظهر فيه
عباقرة لناس لذين رهوا شأنه ، وأحلوه من الموس مكاناً علياً

م اسماء الأول

ويليه آخر الثاني

(وفيه ختام الكلام عن عصر إسماعيل)

راجع هذا الكتاب المشتمل

على السبعين شاهين

نائب رئيس قضاة الحكومة

المهرس

صفحة	صفحة	صورة المؤلف
٧	٣	مقدمة الطبعة الثالثة
٩	٥	مقدمة الطبعة الأولى

الفصل الأول

الرجعية في عهد عباس الأول

٢١	١٥	نشأة عباس
٢٢	١٦	ولاية الحكم
٢٢	١٦	أخلاقه
٢٢	١٧	أعماله
٢٢	١٧	سياسة العامة
٢٤	١٨	إصلاح الطرق بين مصر والسويس
٢٦	٢٠	السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة
	٢١	عبط الأس
		لندارس ونصائح
		البيئات
		السودان
		الجيش والبحرية
		اشتراك مصر في حرب القرم
		مقتل عباس
		ميرة عباس

الفصل الثاني

البهجة الوطنية في عهد محمد باشا

٣٢	٢٩	مطرة عامة
٣٢	٢٩	نشأة سيد
٣٣	٣٠	أخلاقه
	٣٠	إصلاحاته فردية
٣٤	٣٠	اللائحة السمنية
٣٧	٣٢	لائحة المعاشات للموظفين
		أعمال العمران
		تطوير ترعة الميمنية
		السكك الحديدية والطرقات
		إصلاحاته الخيرية وشه
		روح القومية في الجيش
		البحرية

الفصل الثالث عصر إسماعيل

صفحة	موضوع	صفحة
٨٢	لقية (مجنون)	٧٣
٨٢	لهو الملاقات ثم إطفاء نيران مصر وزيكيا	٧٤
	رومان ٢٩ يوليو سنة ١٨٦٩ ومبايعه من	٧٦
٨٤	التقيد	٧٦
٨٥	تخصي الملاقات	٧٦
٨٥	رومان سجن سنة ١٨٧٢	١
٨٥	المرمان بالمبع (٨ جريدة سنة ١٨٧٣)	٧٨
٨٦	مودة المظاهرة	٧٨
	٢	٧٩
٨٧	سيرة إسماعيل جوان الممول الأوربية	٧٩
٨٨	فرنسا	٧٩
٩٠	إيطاليا	٧٩

الفصل الرابع قناة السويس

٩٣	تيرة إسماعيل في إتمام القناة
٩٣	سيرة في تحصيل شروط الامتياز
٩٤	١٨٦٩
٩٩	انتهاء قبول رخصات القناة
١٠٤	خسائر عصر الملاحة في القناة
١٠٥	بيع أسهم مصر في القناة
١٠٦	جسائر ناصية
١٠٧	قناة السويس وثايرتها المالية

مضم

٥٢	١
٥٢	استيل قناة السويس
٥٣	نظرة عامة
٥٧	بداية في تاريخ المشروع
٥٧	في عهد الخديوة والفتح الإسلامي
٥٨	في عهد الخديوة الفرنسية
٥٨	في عهد محمد علي
٥٩	خلال سنة ١٨٤٦
٦٠	في عهد سعيد باشا
٦٢	منح لجنار القناة
٦٢	حصص الأجانب
٦٣	ملحة دولية لدرسي المشروع
٦٣	شروط الامتياز
٦٩	مقاومة إنجلترا للمشروع
٦٩	مناقشة سعيد للمشروع
٦٧	تأجيل لشركة
٦٧	البداية في حفر القناة
	٢
٦٩	بدء القروض الأجنبية
٧٠	قروض سنة ١٨٦٢
٧٠	البنس لشار
٧١	وفاء سعيد باشا

مضم

٣٧	مستحلات الأسطول
٣٩	شركة الملاحة الدولية
٤٠	شركة الملاحة البحرية
٤٠	إصلاح ميناء السويس
٤١	حروب مصر في عهد سعيد باشا
٤١	١- حرب القرم
٤٣	٢- حرب لكيبك
٤٤	السودان
٤٦	رحلة سعيد باشا إلى بلطيمار
٤٨	العلم
٤٩	نظام الملوك في عهد عباس وسيد
٤٩	النظام السياسي-
٤٩	إعطي المصروع
٤٩	الوزارات
٥٠	النظام القضائي
٥٠	يولي الأحكام
٥٠	يجلس أو يحاكم الأقاليم
٥٠	ولاية القضاء
٥١	إقامة مجلس الأحكام ثم إعادته
٥٢	قضاء الأجانب
٥٣	ثغرات التسلل الأجنبي

الفصل الخامس السودان في عهد إسماعيل

صفحة	صفحة
١٠٩	توسيع نطاق السودان المصري
١٠٩	كلمة إيجالية
١١٠	فتح فاشرقة
١١١	ضم سواكن ومصبوع
١١٢	فتح إقليم خط الاستواء والوصول إلى
١١٢	منابع النيل
١١٢	مهمة السير حصول بيكر
١١٢	رحلته في عهد سعيد
١١٣	مهمته في عهد إسماعيل
١١٦	رفع العلم المصري على غندكرو
١١٨	فتح مملكة أوبورو
١١٩	ولاء ملك أوقندة لمصر
١٢١	تعيين الكولونيل غردون مديراً لخط
١٢١	الاستواء
١٢٢	توسيع نطاق الحكم المصري في مديرية
١٢٢	خط الاستواء
١٢٤	يسقط حامية مصر على مملكة أوقندة
١٢٤	مذكرة شريف باشا إلى الدول عن
١٢٦	احتلال مصر منطقة البحيرات
١٢٧	موقف غردون
١٢٨	اكتشاف بحيرة إيراخيم
١٣٠	استفتاء غردون من منصبه
١٣٠	مصبوع بمديرية خط الاستواء
١٣١	منع تجارة الرقيق
١٣٣	ظهور فريق باشا رحمت
١٣٤	فتح منطقة دارفور
١٣٤	معركة منواشي
١٣٦	ضم زيلج وبربره
١٣٨	فتح حرد
١٤٢	حملة الصومال
١٤٣	اعتراف إنجلترا بسلطة مصر على الصومال
١٤٤	التزام بين مصر والحبشة
١٤٥	الحرب بين الإنجليز وراحت
١٤٦	مرسخة باشا
١٤٧	فتح سيوت وصم إقليم البوحيوس
١٤٧	حرب الحبشة
١٤٨	حملة أرنست روبنسون
١٤٩	هزيمة جومليت
١٤٩	حملة مرجع باشا
١٤٩	مقتل منجر باشا
١٥٠	لحملة الكبيرة بقيادة راتب باشا
١٥١	هزيمة حرد
١٥١	عقد الصبح مع حشه
١٥٢	تأجيل حرب الحبشة
١٥٣	احتلال السودان في عهد إسماعيل
١٥٣	موسى باشا حردى

صفحة	صفحة
١٥٣	جهر صادق باشا
١٥٣	إنعقاد ثورة كمالا
١٥٤	جهر مظهر باشا
١٥٥	مقتل باشا
١٥٦	إسماعيل باشا أيوب
١٥٦	غردون باشا
١٥٩	التضيق الإداري
١٦٠	الجيش المصري في السودان
١٦٢	أعمال العمران
١٦٢	استيلاءه الأس
١٦٢	الزراعة
١٦٣	طرق المواصلات
١٦٤	المواصلات لتيه ودار الصدة بالخرطوم
١٦٤	الملاحة البحرية والمعارف
١٦٥	مشروع السكة الحديدية
١٦٥	المقارس
١٦٧	التجارة
١٦٨	البريد
١٦٨	التطبيقات
١٦٩	ميزانية السودان
١٦٩	الرحلات والبحاث الجغرافية
١٧٤	الحكم لمصر في السودان وشهادة
١٧٤	الفتن من الأجانب
١٧٦	حدود السودان المصري أمس واليوم

الفصل السادس الجيش

صفحة	صفحة
١٨١	كلمة إيجالية
١٨١	المقارس الحربية التي أنشأها إسماعيل
١٨٢	مدرسة للشاة
١٨٢	مدرسة القرماع
١٨٢	مدرسة المدعية
١٨٣	مدرسة أركان الحرب
١٨٣	المقارس الأخرى
١٨٣	حجة أركان حرب الجيش
١٨٤	المصحات الحربية
١٨٥	تجديد السلاح والمصانع الحربية
١٨٦	إنشاء ميدان للرماية
١٨٦	إدخال النظام الألماني
١٨٧	إحصاء الجيش
١٨٧	اختار الجيش إلى قائد عظيم

صفحة	المجلد الفني
٢٦٧	أبو بودة مصر الخوري
٢٦٨	محمود مصوت الساعاتي
٢٦٨	محمد عارف باشا
٢٦٨	أحمد بك حيد
٢٦٨	خليلة أفندي محمود
٢٦٩	بقية أعلام الأدب
٢٦٩	علماء امنية والرياضيات
	علي باشا مبارك هب باشا مظهر
	باشا - فايد باشا - حسي باشا
	فهي التمار أحمد بك السكي .
	حسن بك نور الدين - حسن باشا
٢٦٩	حسي
٢٦٩	محمود باشا الفلكي
٢٧٤	إسماعيل باشا الفلكي
٢٧٥	سلامة باشا
٢٧٥	محمد التلي باشا
٢٧٦	إسماعيل باشا محمد
٢٧٦	أحمد بك الجيب
٢٧٦	حسي أفندي حل القيث
٢٧٦	علي أفندي عزت
٢٧٦	عالم بك سعد
٢٧٧	السيد صارة
	علماء الطب والجراحة
	محمد علي باشا البقل . أحمد حسن
	الرشيد بك . محمد الشامي بك
٢٧٧	حسي عوف باشا
٢٧٧	محمد دري باشا
٢٧٨	حسن بك عبد الرحمن

صفحة	المجلد الفني
٢٨٠	محمد بك حافظ
٢٨٠	سالم باشا سالم
٢٨٠	خليلة ترمزان
٢٨٠	محمد بك بلو
٢٨١	أحمد حمدي باشا
٢٨١	حسن باشا محمود
٢٨١	إبراهيم باشا حسن
٢٨١	حسي باشا حمدي
٢٨٢	عبد الرحمن بك الخراوي
	علماء الطبيعيات
٢٨٢	أحمد بك ندا
٢٨٢	عبد المولى إسماعيل
٢٨٢	علي بك رياضي
٢٨٢	منصور أفندي أحمد
	علماء الفلك والتقانون
٢٨٢	محمد قسري باشا
٢٨٤	الشيخ محمد القباسي لهندي
	علماء الفنون الحرة والبحرية
٢٨٥	علي باشا إبراهيم
٢٨٥	حماد عبد الحافظ
٢٨٥	محمود باشا قهي
٢٨٧	محمد مختار باشا
٢٨٨	شحاته حسي بك
٢٨٨	محمد صادق باشا
٢٨٨	سليمان . دان حلاوة

صفحة	المجلد الفني
٢٩٢	ألفاس
٢٩٢	محمد المقاد
٢٩٣	نهرت الجزء الأول
٣٠٤	نهرت الخواطر والصور

٢٧١	علماء اختلفوا في عصر إسماعيل
٢٧٩	علماء الطب والجراحة في عصر إسماعيل
٢٨٠	محمد قنبري باشا
٢٨٦	محمد فهمي باشا
٢٨٧	محمد مختار باشا
٢٩١	عهد الخوص

• • •

فهرست الخرائط والصور

١٩	مياس باشا الأول والى مصر
٤٧	سعيد باشا والى مصر
٦٨	ابتداء العمل في حفر القناة
٧٥	إسماعيل باشا خليف مصر
١٠٠	حفلة افتتاح قناة السويس بيوم سعيد
١٠١	دخول اليونان للقناة للأمرام قناة السويس
١٠٢	ولمة المشاء التي أقامها الخديو إسماعيل إبتهاجاً بالافتتاح القناة
١٠٣	حفلة الرقص التي أقامها الخديو إسماعيل إبتهاجاً بالافتتاح القناة
١٠٧	خريطة قناة السويس
	نقل أجزاء اليونان النيلية على ظهور الأبل في صحراء النوبة سنة ١٨٦٩
١١٢	استعداداً لفتح إقليم خط الاستواء
١١٥	الأسطول النيل الذي تحرك من الخرطوم لفتح إقليم خط الاستواء
١١٦	حفلة رفع العلم للمصرى على غندكرو (الإسماعيلية) سنة ١٨٧١
١١٧	المسكن للمصرى في غندكرو (الإسماعيلية) سنة ١٨٧٢
١١٨	ريونجا ملك أونيجرو يصافح صديقه بيكر باشا سنة ١٨٧٢
١٢٠	صديقه بيكر باشا مدير خط الاستواء في عهد إسماعيل ولوكان حربه
١٢٥	خريطة مديرية خط الاستواء
١٣٥	السودان للمصرى في عهد إسماعيل
١٣٩	مدينة حرر سنة ١٨٧٦
١٦١	مديريات السودان المصرى في عهد إسماعيل
١٦٦	رأس جردفون (جردفون)
١٧١	الرحلات والبعثات الجغرافية في عصر إسماعيل
١٧٧	حدود الدولة المصرية أمس واليوم
٢١١	على باشا مبارك
٢٥٧-٢٥٦	أعلام الأدب في عصر إسماعيل

فصول الجزء الثاني من الكتاب

الفصل العاشر -	: أحوال العميران
الفصل الحادى عشر	: مسألة الديوان
الفصل الثانى عشر	: الحركة الوطنية والحياة النيابية
الفصل الثالث عشر	: ختام النزاع بين الحداثيين والمعتدلين
الفصل الرابع عشر	: نظام الحكم
الفصل الخامس عشر	: الحالة المالية والاقتصادية
الفصل السادس عشر	: الحالة الاجتماعية
الفصل السابع عشر	: شخصية إسماعيل والحكم على عصره

• • •

للمؤلف

حقوق الشعب :

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية وحقوق الإنسان . طبع سنة ١٩١٢ .

نقابات التعاون الزراعية :

يتضمن تاريخ التعاون الزراعى ومنشأته فى أوروبا ، ونشأة التعاون فى مصر وتاريخه ونظامه ، وحالاته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية . طبع سنة ١٩١٤ .

الجمعيات الوطنية :

مصحفة من تاريخ النهضة القومية يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والنهضات القومية فى طائفة من البلدان مع شرح أصول المناسبات ، والتنظيم المبررات لها والمقارنات بينها . طبع سنة ١٩٢٢ .

تاريخ الحركة القومية (فى جزئين) :

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية فى تاريخ مصر الحديث ويأتى الدور الأول من أحوالها وهو عصر المقاومة الأهلية التى امتدت لحوالى مائة سنة فى مصر . وتاريخ مصر القومية فى هذا العهد (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩)

الجزء الثانى : من إعادة النشوان فى عهد ناهليون إلى عهد ولاية محمد على (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩) .

عصر محمد على :

يتناول تاريخ مصر القومية فى عهد محمد على (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠)

عصر إسماعيل (فى جزئين) :

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢)

الجزء الثانى : ويلى ختام الكلام عن عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢) .

الثورة العربية والاحتلال الإنجليزى (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧) .

مصر والسودان فى فترات عهد الاحتلال :

تاريخ مصر القومية من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢) .

مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومية من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩)

محمد فريد : رمز الإنعاش والتضحية

تاريخ مصر القومية من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤١).

ثورة سنة ١٩١٩ في جزئين :

تاريخ مصر القومية من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ (في جزئين) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦.
الجزء الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة. وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شجب الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم.

الجزء الثاني : وفيه الكلام عن معاهدة الثورة واستمرارها وحاكمات الثورة ولجنة ملوك. والحوادث التي لايتسا ومنعوضات ملوك واستشارة الأمة في مشروع ملوك. والتبليغ البريطاني بأن الحياة علاقة غير مرضية. ونتائج الثورة في حياة مصر القومية.

في أعقاب الثورة المصرية (ثورة سنة ١٩١٩) : في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : تاريخ مصر القومية من أبريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة سعد زغلول في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧).

الجزء الثاني : تاريخ مصر القومية من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ إلى وفاة تلكم فراد سنة ١٩٣٦ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ - سنة ١٩٤٩).

الجزء الثالث : تاريخ مصر القومية من ولاية فاروق عرش مصر في ٩ مايو سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١ (الطبعة الأولى سنة ١٩٥١).

مطامير ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

(الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧)

الكفاح في القتال سنة ١٩٥١ - حروب القاهرة سنة ١٩٥٢.

وزارات للثوقين - أسباب الثورة - فاروق يهود للثورة.

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩ (طبع سنة ١٩٥٩)

تاريخ الحركة القومية في مصر الحديثة :

من عصر التاريخ إلى الفتح العربي (طبع سنة ١٩٦٢)

مذكراتي (١٨٨٩ - ١٩٥١) :

نواظمي وشاهدي في الحياة.

شعراء الوطنية في مصر :

ترجمهم. وشعرهم الوطني. والتسابيح التي نظموها فيها فصلاهم الطبعة الأولى سنة ١٩٥١

جمعية القرائ وأعمال في البرلمان : (جلسات النواب الأول) طبع ١٩٦٥

أربعة عشر عامًا في البرلمان.

في جلسات النواب سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥

وفي جلسات الشيوخ من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١١٥١ (طبع سنة ١٩٥٥)

كتب مختصرة

مصطفى كامل :

باحث للثقة الوطنية (طبع سنة ١٩٥٢)

بطل الكفاح : الشهيد محمد فريد : (طبع سنة ١١٥١)

الزعيم البار أحمد عرابي :

(الطبعة الأولى - يناير سنة ١٩٥٢)

جمال الدين الأفطاري : (طبع سنة ١٩٦٦)

بحث وتحليل مطبوعة سنة ١٩٣٦ :

استقلال أم حاية (طبع سنة ١٩٣٦)

كتب لطلبة المدارس الثانوية :

(طبع سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩)

مصر المجاهدة في العصر الحديث :

في ست حلقات تشتمل على كفاح الشعب في عهد الحملة الفرنسية ثم كفاحه في العهود التالية إلى بداية

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

تاريخ مصر القومي :

من الفتح العربي حتى عصر المقاومة والحملة الفرنسية طبع بعد وفاة المؤلف

(بحث الطبع)

مشاركاتي من دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام.

To

WWW.AL-MOSTAFA.COM